دور الآباء

في تربية الأبناء



دور الآباء فيِ تربية الأبناء

بقلم الشيخ

محمد على محمد إمام

كفر ميت العز ـ ميت غمر ـ دقهلية

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى ٢٠٢١

٣٠٠ صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

♠ أهدي كتابي: (دور الآباء في تربية الأبناء بطريقة السؤال والجواب):

- إلى كل أب يريد تربية أبناءه على أداء الأمانة وحمل الرسالة.
- إلى كل أم تريد أن تُربي أبنائها مثل تربية أبناء الصحابة.
- إلى كل ابن يريد أن ينشأ مثل أولاد الصحابة.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق.

(المؤلف)



بسم الله الرحمن الرحيم

((مُقَدِّمَةٌ))

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

إخواني وأحبابي في الله تعالى! لقد اتصل عليَّ أحد أحبابي وأصدقائي (المهندس/ أشرف عبد العزيز) وأشار عليَّ أن أشرع في كتابة كتاب خاص بالأطفال بطريقة أهل التبليغ والدعوة، فوجدت همتي لا تنهض لذلك، وقلت وما عسى أن أكتبه للأطفال في هذا الجهد المبارك، فلم أعده بذلك، وقلت له: نسأل الله أن ييسر لنا ذلك ويعيننا عليه، وذلك من عدة أشهر، فلم أكتب إلا بعد أن شرح الله صدري لذلك، والحمد لله والمنَّة أن شرح صدري ووفقني وأعانني، لتحقيق أمنية أخي وصديقي المخلص.

فقمت بوضع عنوان له وسميته:[دور الآباء في تربية الأبناء] (بطريقة السؤال والجواب أثناء حلقة التعليم البيتية)،حيث أن تربية الأبناء على الدين من خلال التعليم في البيت ما هي إلا وصية الله تعالى لنا: { يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }(١).

كيف نقي أنفسنا وأهلينا من نار جهنم، الأمر يحتاج إلى فكر، ولكن لا تطيلوا الفكرة، فلا بد أن يكون لنا قدوة في هذا الأمر، والنبي هو قدوتنا، فكان في بيته يربي أهله بالتعليم، ولذا قال تعالى: ﴿ وَاذْكُـرْنَ مَا يُتْـلَى فِي بُيُوتِكُـنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِّ وَالْحِكْـــمَةِ إِنّ اللهّ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾ (٢).فكان النبي كل يوم يعلم أهله ويرشدهم.

تعالوا معا للنظر ما هو أثر حلقة تعليم البيت على آل بيت النبي(صلى الله عليه وسلم) ؟.

أولا: بسبب التعليم في البيت: تخرج من بيته الصديقة بنت الصديق.

ثانيا: بسبب التعليم في البيت: تخرج العابدات الخائفات:﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾(٣). فيروي لنا القاسم (رحمه الله) (٤) طرفا من خوف أم المؤمنين عائشة، فقال: كنت إذا غدوت(٥) أبدأ ببيت عائشة

---

(١) سورة التحريم_ الآية ٦ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٣٤.

(٣) سورة الطور – الآية ٢٦ .

(٤) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، فعائشة عمته.

(٥) يعني: إذا صلى الغداة أو الصبح .

رضي الله عنها فأسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح(١) وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (٢)، تدعو وتبكي وترددها، فظللت منتظرًا حتى مللت القيام.ثم ذهبت إلى السوق لحاجتي فرجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي وتقول: { فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ } (٣).

وهي التي قَالَتْ(عند موتها لما دخل عليها ابن عباس وأثنى عليها) : دَعْنِي مِنْ تَزْكِيَتِكَ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا "، قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .(٤).

ثالثا: وبسبب هذا التعليم: قالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دَعَتْنِي أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ (ﷺ) عِنْدَ مَوْتِهَا، فَقَالَتْ: قَدْ كَانَ بَيْنَنَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَتَجَاوَزَ، وَحَلَّلْتُكِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: سَرَّرْتِنِي سَرَّكِ اللَّهُ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ " وَتُوُفِّيَتْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٥).وهذا الخوف من ثمار حلقة التعليم.

---

(١) أي: تصلي النافلة، وهي صلاة الضحى.

(٢) سورة الطور – الآية ٢٧ .

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٤) المستدرك على الصحيحين» كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ » ذِكْرُ الصَّحَابِيَّاتِ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) » ذكر أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ـ رقم الحديث: ٦٨١٤ ـ ج ٤/ ٩ .

(٥) حياة الصحابة ـ كتاب خروج الصحابة عن الشهوات ـ باب استرضاء المسلم ٢/ ٤١٨ .

رابعا: بسبب التعليم تخرج من بيته المنفقات، مثل: عائشة، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش.

خامسا: بسبب التعليم تخرج من بيته: فاطمة بنت محمد، التي كانت تستحي أن يراها الناس بعد موتها على السرير (النعش) بدون غطاء.. فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ، قَالَتْ:" يَا أَسْمَاءُ ، إِنِّي قَدِ اسْتَقْبَحْتُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ أَنْ يُطْرَحَ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبُ، فَيَصِفُهَا ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، أَلَا أُرِيكِ شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطِبَةٍ فَحَنَّتْهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ، تُعْرَفُ بِهَا الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَاغْسِلِينِي أَنْتِ وَعَلِيٌّ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيَّ أَحَدٌ، ....إلخ . أخرجه البيهقي (١). هذا الحياء نتاج حلقة التعليم في البيت.

سادسا: وبسبب تعليم البيت تخرج من بيته العالمات الفقيهات، فعن هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ:" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ وَلا بِفَرِيضَةٍ وَلا بِحَلالٍ وَلا بِحَرَامٍ وَلا بِشِعْرٍ وَلا بِحَدِيثِ الْعَرَبِ وَلا بِنَسَبٍ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا " (٢). والروايات في هذا الأمر كثيرة.

سابعا: بسبب تعليم البيت تخرج من بيته: التي بشرها الرحمن ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

---

١) السنن الكبرى للبيهقي » كتاب الجنائز» جماع أبواب وقت الصلاة على الجنائز» باب ما ورد في النعش للنساء (٦٧٨٩).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم» عَائِشَةُ زَوْجُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ... رقم الحديث: ١٥١٩ .

ثامنا: بسبب تعليم البيت تخرج من بيته، مثل أسامة بن زيد وأبيه، وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس.

تاسعا: بسبب تعليم البيت: كان بيت سيدنا لوط نظيفًا من الشرك والمعاصي: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(١). مع أن قريته كانت تعمل الخبائث.

عاشرًا: سيدنا نوح ﷺ قال:﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾(٢).بيوتهم نظيفة من الشرك ومن المعاصي والخبائث بسبب حلقات التعليم في البيت.

فأول ميدان يعمل فيه الداعى هو بيته، ولا ينفع أن يستخلف فيه غيره.

فعندما يستمر التعليم في البيت تتنافس النساء مع الرجال في الأعمال والصفات:{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (٣).

وبحلقة التعليم في البيت يخرج من حياة أبنائنا الفرعونية والقارونية(حب الملك والمال)، ويصبح أبنائنا مثل: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد

---

(١) سورة الذاريات – الآية٣٦.

(٢) سورة نوح – الآية٢٨.

(٣) سورة الأحزاب _ الآية ٣٥.

الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وأسامة بن زيد، والحسن والحسين وعلي زين العابدين... يحبون الله ورسوله.

وبحلقة التعليم في البيت تذهب الشياطين من بيوتنا وتحل محلها الملائكة، ويأتي الدين ويزداد الإيمان، وبزيادة الإيمان تذوب كل الخلافات في البيوت بين الأزواج، فالكل يتنازل عن حقه لبناء بيته.

بحلقة التعليم في البيت يأتي في الرجال(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (١).

وبحلقة التعليم في البيت تقوم الزوجة على حقوق زوجها بالحب ابتغاء مرضاة الله.

فحلقة التعليم في البيت تضرب على جدار الباطل في العالم.

حلقة التعليم لنقل الصغار من ميدانهم إلى ميداننا، يا ولد أترك اللعب وتعال معنا.. هذا عندما نكون مشغولين بأعمال الدين، لكن عندما نكون جالسين ونلعب نضحك والولد يلعب فالآن هو ينقلنا إلى ميدانه، بابا تعال العب معنا، لأن أبيه ما عنده شغل الدين.. ولا بأس أن نلعب.. ولكن ليس كل الوقت لعب.

هكذا أحبابي عندما يكون في البيوت جهد للكبار، ففكر الكبار ينقل إليه الصغار شيئا فشيئا.

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ.

هكذا التربية، فما كان هناك مدرسة تعلم الدين فقط في حياة نبينا وفي حياة الخلفاء الراشدين.. بل كان عندهم بيئة في البيت وبيئة في المسجد ينهلون منها العلم والتربية الإيمانية.

أعظم فترة ، فترة الخلفاء الأربع، ما كان فيه مدرسة اسمها مدرسة الفاروق أو مدرسة الصديق، وبالرغم من عدم وجود المدرسة لم يوجد جاهل، لأن كل بيت مدرسة.

فكما نهتم بالخمس أعمال في المسجد، نهتم بأعمال البيت(التعليم، الشوري، الأذكار، قراءة القرآن) نرفع مستوى البيت حتى يكون مثل مستوي المسجد.. في العهد النبوي.

لا يكون مستوى الرجل في الدور العاشر والزوجة في الدور الأول، ويقول اصعدي اصعدي، طيب صعدها معاك، نجتهد ليكون مستوى الجهد واحد.

ولعل سائل يسأل كيف نقيم حلقة التعليم في البيت؟.

هذا هو ما تراه في السبعة وعشرين حلقة على مدار صفحات هذا الكتاب..
وهو أن تجلس الأسرة يوميا في مكان مخصص للتعليم في البيت ويقومون بقراءة القرآن وتجويده كما هو موضح في الحلقات، ثم نقرأ بابا من كتب الفضائل مثل:(كتاب رياض الصالحين أو مشكاة المصابيح أو من الأحاديث المنتخبة أو

من الأدب المفرد للبخاري، أو المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) ثم مذاكرة صفات الصحابة(١).

ولذا جعلت محور هذا الكتاب يرتكزعلى إقامة حلقة التعليم في البيت وبيان ما لها من ثمار وفوائد.

ولذا جعلتُ الكتاب على لسان أسرة مكونة من(أب وأم وولدين وبنت)، وبعد إقامة حلقة تعليم يوضح الأب بعض الشيء الغامض في الحلقة، وأهله وأولاده يسألونه وهو يجيبهم، وهكذا كان يفعل النبي(ﷺ) فعن القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ» (٢).

وكَانَتْ عَائِشَة لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُّ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} (٣)، قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ" متفق عليه (٤).

---

(١) ومن أشكل عليه كيف يقيم هذه الحلقة في بيته فليتصل بنا.

(٢) أخرجه: البخاري/ صحيحه (٨/ ١٠٩)..

(٣) سورة الانشقاق _ آية ٨.

(٤) صحيح البخاري - باب من سمع شيئاً فراجع فيه حتى يعرفه انظر فتح الباري ١/ ٢٠٧.

وحاولت جهدي أن يكون بطريقة سهلة وأسلوب واضح ليستوعبه الكبير والصغير، ومشوقا ومرغبا في الأعمال الصالحة، وضمنته بعض الردود بالقصص الشيقة التي تبين مغزى الموضوع، وكذلك ضمنته بعض الأسئلة التي تبين فوائد وفضيلة الدعوة والتبليغ وآدابه وأصوله.

وحرصت على أن يكون المعنى واضح والعبارة سهلة لينتفع به الصغير والكبير.

وضمنته بعض الفوائد والشروح من كتب التفسير وشروح الحديث النبوي وكتب الرقائق، لتعم فائدته.

وبالله التوفيق

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

محمد بن علي محمد إمام



تمهيــد

قبل أن أدخل في موضوع كتابنا أريد أن أنوه أن صلاح الأحوال(أي صلاحنا وصلح أولادنا، بل صلاح الكون كله) بصلاح الأعمال.

والأدب من الآباء للأبناء، وصلاح الأبناء من الله عز وجل.

يقول الشيخ إلياس(رحمه الله) موجها كلمة للآباء، يقول فيها: إذا قصرتم في تربية الأبناء وإرشادهم فلا تحملوا تقصيركم عليهم، فإنهم لا يحتاجون بذل المستحيل، بل يكفي لهم إلقاء الشيء في الأذنين، وأن يروا بأعينهم الأعمال الصالحة والمناخ العملي، وأن يحسوا بالأمر إحساسا، حيثُ تقدم لهم الأمور ببساطة شديدة وأساليب حكيمة، فتؤثر عليهم وترسخ صورها في قلوبهم، فإذا لم تكن تلك الأمور مؤثرة فما معنى الآذان في أذني المولود(١).

قَاَلَ نَجْمُ الدِّينِ ابنِ قُدَامَةَ المَقْدِسِيِّ الحَنبلِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: الصَّبِيُّ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ، وَقَلْبُهُ جَوْهَرَةٌ سَاذَجَةٌ، وَهِيَ قَابِلَةٌ لِكُلِّ نَقْشٍ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ نَشَأَ عَلَيْهِ، وَشَارَكَهُ أَبَوَاهُ وَمُؤَدِّبُهُ فِي ثَوَابِهِ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ نَشَأَ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْوِزْرُ فِي عُنُقِ وَلِيِّهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَصُونَهُ وَيُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ، وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ

١) أهمية العلم والذكر في الإسلام صـ.٩٩

الْأَخْلَاقِ، وَيَحْفَظَهُ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَلَا يُعَوِّدَهُ التَّنَعُّمَ، وَلَا يُحَبِّبَ إِلَيْهِ أَسْبَابَ الرَّفَاهِيَةِ فَيَضِيعَ عُمُرُهُ فِي طَلَبِهَا إِذَا كَبُرَ؛ لِأَنَّهُ اعْتَادَهَا فِي الصِّغَرِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاقِبَهُ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ، فَلَا يَسْتَعْمِلُ فِي رَضَاعَتِهِ وَحَضَانَتِهِ إِلَّا امْرَأَةً صَالِحَةً مُتَدَيِّنَةً تَأْكُلُ الْحَلَالَ؛ فَإِنَّ اللَّبَنَ الْحَاصِلَ مِنَ الْحَرَامِ لَا بَرَكَةَ فِيهِ(١).

وأحكي لكم قصة عجيبة في التربية والتوجيه: كان هناك طفل صغير في التاسعة من عمره، أراه والده زجاجة عصير صغيرة وبداخلها ثمرة برتقال كبيرة، تعجب الطفل كيف دخلت هذه البرتقالة داخل هذه الزجاجة الصغير، وهو يحاول إخراجها من الزجاجة لكن من دون فائدة!.

عندها سأل والده كيف دخلت هذه البرتقالة الكبيرة في تلك الزجاجة ذات الفوهة الضيقة.

أخذه والده إلى حديقة المنزل وجاء بزجاجة فارغة وربطها بغصن شجرة برتقال حديثة الثمار ثم أدخل في الزجاجة إحدى الثمار الصغيرة جدا وتركها، ومرت الأيام فإذا بالبرتقالة تكبر وتكبر حتى استعصى خروجها من الزجاجة!

حينها عرف الطفل السر، وزال عنه التعجب، ولكن الوالد وجد بـالأمر فرصة لتعليم ابنه، فقال: هذا هو الدين لو زرعنا الإيمان والمبادئ والأساس

١) مختصر منهاج القاصدين – فصل في رياضة الصبيان في أول النشوء صـ ١٥٩ – المكتبة الشاملة الحديثة

بالطفل وهو صغير سيصعب إخراجها منه وهو كبير، تمامًا مثل البرتقالة التي يستحيل أن تخرج إلا بكسر الزجاجة!.

ولذا قالوا: التعليم في الصغر كالنقش علي الحجر.. والتعليم في الكبر كالنقش علي الماء.

وقالوا :

أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم فليس ينفع بعد الكبرة الأدب

إن الغُصُونَ إِذا قَوَّمْتَها اعتدلْت ولا يلينُ إذا قَوَّمْتَهُ الخَشَبُ

وقالوا:

قد يبلغُ الأدبَ الأطفالُ في صغرٍ *** وليس ينفعهُم من بعدِه أدبُ

وقالوا:

يَنْشا الصغيرُ على ما كانَ والدُهُ *** إنّ العُرُوقَ عليها يَنْبُتُ الشجرُ



الحلقة الأولى

باب الإخلاص وإحضار النية

جلس الأب كعادته مع أولاده لإقامة حلقة التعليم في البيت.

وقبل أن يبدأ التعليم، قال له ابنه الأكبر محمد: أبي نريد أن تبين لنا فضائل حلقة التعليم.

فرد عليه الأب وقال: أحسنت يا محمد، نحن نجلس في حلقة التعليم لنتحصل على فضائل عديدة نذكر منها:

١. الحصول على معرفة الله تعالى.

٢. الحصول على خشية الله تعالى.

٣. حلقة التعليم في البيت تجعل الشيطان يفر من البيت، وتجعل هذا البيت مزارًا لملائكة الرحمة، ويَتَرَاءَى هذا الْبَيْتُ لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَتَرَاءَى النُّجُومُ لأَهْلِ الأَرْضِ.

٤. وحلقة التعليم هي الزاد اليومي للمسلم فكما أن الجسد خلق من طين فغذاؤه ما يخرج من الأرض وإذا منع عنه الطعام يموت، كذلك الروح خلقت من أمر الله فغذاؤها من كلام الله وكلام رسول الله.

وإذا منع الجسد غذاؤه يموت، وإذا منعت الروح غذاؤها تموت.

قالت الأم للوالد: سيدي الفاضل نريد أن نسمع من باب الإخلاص.

فقرأ الوالد من كتاب رياض الصالحين(باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأقوال والأحوال البارزة والخفية)، وسنذكر بعض أحاديث الباب التي قرءت:

الأول: عن أمير المؤمنين أبي حَفْصٍ عمرَ بنِ الخطابِ (ﷺ)، قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله (ﷺ)، يقُولُ:" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا ، أَو امْرأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ(١).

الثاني: عن أبي عبدِ الله جابر بن عبدِ الله الأنصاريِّ رَضي اللهُ عنهما، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ (ﷺ) في غَزَاةٍ، فَقالَ:" إِنَّ بالمدِينَةِ لَرِجَالاً ما سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً، إلاَّ كَانُوا مَعَكمْ حَبَسَهُمُ المَرَضُ". وَفي روَايَة :" إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأجْرِ)) رواهُ مسلمٌ، ورواهُ البخاريُّ عن أنسٍ (ﷺ)، قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبيِّ(ﷺ)فقال:" إنَّ أقْواماً خَلْفَنَا بالمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْباً(٢) وَلاَ وَادياً ، إلاّ وَهُمْ مَعَنَا ؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ ".

الثالث: وعن أبي موسى عبدِ الله بنِ قيسٍ الأشعريِّ (ﷺ) قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله (ﷺ) عَنِ الرَّجُلِ يُقاتلُ شَجَاعَةً، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، ويُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذِلكَ في

---

(١) رَوَاهُ إمَامَا المُحَدّثِينَ ، أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ إسْمَاعيلَ بْن إبراهِيمَ بْن المُغيرَةِ بن بَرْدِزْبَهْ الجُعْفِيُّ البُخَارِيُّ ، وَأَبُو الحُسَيْنِ مُسْلمُ بْنُ الحَجَّاجِ بْنِ مُسْلمٍ الْقُشَيريُّ النَّيْسَابُورِيُّ رضي اللهُ عنهما في صحيحيهما اللّذَيْنِ هما أَصَحُّ الكُتبِ المصنفةِ ..

(٢) الشِّعب : ما انفرج بين جبلين . اللسان ٧/ ١٢٦ .

سبيلِ الله ؟ فقال رَسُول الله (ﷺ):" مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيَا، فَهوَ فِي سبيلِ الله " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وبعد الفرغ من القراءة، قال الوالد، يا محمد نريد أن تذكر لنا ما استفدته من هذه الحلقة.

قال الأب: ماذا استفدت يا معاذ من حلقة اليوم؟.

قال الابن معاذ: أن أراقب نيتي وأصححها قبل كل عمل، وأثناء العمل، وفي نهاية العمل.

قال الأب: وأنت يا محمد! ماذا استفدت من حلقة اليوم؟.

قال الابن محمد: استفدت أن لا أعمل شيئا إلا لله تعالى حتى ولو كانت طاعتك أنت وأمي يا أبي.

قال الأب: ما شاء الله عليكم على هذه النوايا الطيبة.

أبنائي الأعزاء! الإخلاص مهم جدا في حياتنا وإذا عملنا بلا إخلاص فتكون العاقبة سيئة: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)قَالَ:" إِنَّ رَجُلًا حَمَلَ مَعَهُ خَمْرًا فِي سَفِينَةٍ يَبِيعُهُ وَمَعَهُ قِرْدٌ قَالَ فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا بَاعَ الْخَمْرَ شَابَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ بَاعَهُ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكِيسَ فَصَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقَلِ قَالَ فَجَعَلَ يَطْرَحُ دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى قَسَمَهُ "(١).

قالت الابنة مريم: وهل بيع الخمر حلال يا أبي؟.

---

(١) مسند الإمام أحمد » باقي مسند المكثرين » مسند أبي هريرة رضي الله عنه(٧٩٩٤).

قال الأب: لا يا بنيتي! فقد جاءت نصوص كثيرة تحرمها نذكر منها:

الأول: عن ابْنِ عُمَرَ قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ):" لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ". وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١).

الثاني: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:" لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِي لَهَا وَالْمُشْتَرَاةُ لَهُ " (٢).

قالت الابنة مريم: فلماذا ذكر رسول الله (ﷺ) أن الرجل كان يبيع الخمر؟.

قال الأب: أحسنت يا بنيتي! فالحديث كما في رِوايةِ الطَّبَرانيِّ في الأَوسطِ أنَّه كان مِنَ الأُمَمِ قَبْلَنا؛ فرُبَّما كان هذا جائزًا في مِلَّتِهم، أو أنَّه مُجرَّدُ حِكايَةٍ مِنَ النَّبيِّ (ﷺ)، لا تدُلُّ على جَوازِ بَيْعِ الخمرِ، وقد جاءَ في رِوايةٍ للبَيهقيِّ أنَّه جَعَلَ في كُلِّ زِقٍّ نِصفًا ماءً ثم باعَه على أنَّه خَمْرٌ خالِصٌ، فأَخَذَ القِرْدُ الكِيسَ فصَعِدَ الذِّروةَ يعني: أعلى السَّفينةِ حيث لا يَستطيعُ صاحِبُه الإمْساكَ به،"وفَتَحَ الكِيسَ، فجَعَلَ يأخُذُ دِينارًا فيُلْقيهِ"، أي: يَرْميهِ "في السَّفينَةِ، ودِينارًا في البَحْرِ حتى جَعَلَهُ نِصْفينِ" يعني: ما غَشَّ وخَدَعَ الناسَ فيه رماهُ له في البَحْرِ، وتَرَكَ له باقيَ مالِهِ، فهو لَمَّا خَدَعَ الناسَ بالغِشِّ في

(١) رواه أبو داود (٣٦٧٤) وابن ماجه (٣٣٨٠).

(٢) رواه الترمذي (١٢٩٥).

البَيعِ، وأَخَذَ أَموالَهم، سلَّط اللهُ القِرْدَ على إتْلافِ مالِهِ؛ جزاءً وفاقًا؛ وفي هذا عِبْرةٌ وعِظَةٌ لكلِّ تاجرٍ؛ حتى لا يَغُشَّ ولا يَخْدَعَ؛ فإذا أَخَذَ المالَ مِنَ الغِشِّ، فمالُهُ محكومٌ عليه بالخُسْرانِ وبالهَلاكِ.

قال الابن معاذ: ويحكى أن بعض أصحاب الماشية، كان يَشوب اللبن(١) ويبيعه على أنه خالص، فأرسل الله عليه سيلا فذهب بالغنم، فجعل يعجب، فأتي في منامه، فقيل له: أتعجب من أخذ السيل غنمك؟ تلك القطرات التي شبت بها اللبن، اجتمعت وصارت سيلا(٢).

قال الأب: أريد أن أحكي لكم يا أبنائي قصة رجل كانت له نية صالحة، كان لها الأثر الطيب في أبنائه الثلاث، وهو ابن الأثير، له ثلاث بنون رباهم تربية طيبة ونوى أن يكونوا علماء كبار يخدمون الإسلام، فحقق الله نيته، فـابنه/ نصر الدين بن الأثير.. عُرف بالأدب.. ومن كتبه (المثل السائر)، وابنه/ محمد مجد الدين بن الأثير.. نبغ في علم الحديث.. ومن كتبه(

---

(١) أي يخلطه بالماء.

قال ابن القيم معلقا على هذه الحكاية: فقس على هذه الحكاية ما تراه في نفسك وفي غيرك تعلم حينئذ ان الله قائم بالقسط وانه قائم على كل نفس بما كسبت وانه لا يظلم مثقال ذرة.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة صـ ٢٧٣ (الطبعة الثالثة)مطبعة حميدو ٢٦ ش النبي دانيال – إسكندرية – مصر.

قال ابن القيم معلقا على هذه الحكاية: فقس على هذه الحكاية ما تراه في نفسك وفي غيرك تعلم حينئذ ان الله قائم بالقسط وانه قائم على كل نفس بما كسبت وانه لا يظلم مثقال ذرة.

النهاية في غريب الحديث، وجامع الأصول في أحاديث الرسول)، وابنه علي عز الدين بن الأثير.. نبغ في علم التاريخ، وهو صاحب كتاب الكامل في التاريخ).

وكأن الله عز وجل حقق فيهم نية والديهم، فقد ظهرت نواياهم من خلال أسمائهم (نصر الدين .. مجد الدين ..عز الدين) .. هل فهمتم ؟.

فمن منكم يريد أن يكون مثل واحد من هؤلاء الثلاثة الأعلام؟.

قالوا جميعا: كلنا يا أبي.

قالت الأم: وأنا أريد أن أذكر لكم قصة في الإخلاص.

فقال لها الوالد: تفضلي سيدتي الغالية.

فقالت: كان هناك مهندسا ماهرًا لا مثيل له فى دقة وروعة صنعته وقد تقدم به العمر، وطلب من رئيسه فى العمل وصاحب المؤسسة أن يحيله إلى التقاعد ، ليعيش ما تبقى من عمره مع زوجته وأولاده

فى البداية رفض صاحب العمل طلب المهندس، وحاول أن يغريه بالاستمرار فى عمله عن طريق زيادة راتبه، إلا أن المهندس رفض وأصر على طلبه.

وعندما لم يجد صاحب العمل مفر من إجابة طلب النجار، قال له: لى عندك رجاء أخير، وهو أن تبنى منزلا أخيرا، وسوف أحيلك بعدها للتقاعد، ولن أكلفك بأى عمل آخر قط، وافق النجار على مضض، وبدأ فى عمله.. ولعلمه

أن هذا هو البيت الأخير الذى سوف يبنيه، لم يحسن المهندس صنعته، وأسرع فى الإنجاز، دون تحقيق الجودة المعروفة عنه فيما قبل.

وعندما انتهى المهندس من البناء، سلم صاحب العمل مفاتيح المنزل الجديد، وطلب السماح له بالرحيل كما هو الإتفاق المبرم بينهم إلا أن صاحب العمل إستوقفه، وقال له: هذا المنزل هديتي لك عوضا عن بيتك القديم المتهالك نظير عملك مع المؤسسة بإخلاص وتفاني.

ذُهل المهندس من المفاجأة، لأنه لو علم أنه يبني منزله، لما توانى فى الإخلاص فى الأداء، وما تأخر عن الإتقان فى العمل.

انظروا يا أبنائي: كيف كانت عاقبة عدم الإخلاص في العمل؟.

والذي يعمل بالإخلاص لا بد أن ينفعه يوما ما في مراحله في الدور الثلاثة :(الدنيا ، القبر، اليوم الآخر).

أرأيتم أبنائي! لو أرسل أحدكم إلى صديق له رسالة بريدية ولم يضع عنوان صديقه على ظرف الرسالة، هل تصل رسالته ؟.

قالوا جميعا : لا.

قال الأب: **والإخلاص:** هو عنوان كل عمل الذي لا يقبل إلا به.

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): الإخلاص هو الحجر الأساسي لقبول العمل لأن كل عمل مهما صلح وحسن لا قيمة له عند الله إذا لم يقترن بالإخلاص، وإذا ركزنا الفكر، وأمعنا النظر في هذا الموضوع، علمنا أن الإخلاص مضاد للشرك، وإن اختلفت درجاته، فإذا خلا عمل من الإخلاص،

فهو رياء، والرياء هو الشرك الخفي، ولابد للعبد ألا يبتغى بأعماله غير وجه الله، وأن يذكر دائما أن كل حظ من حظوظ الدنيا التي تستريح إليها النفس ويميل إليها القلب، قليلها كثير، وإذا تطرق الرياء إلى العمل تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه، لأن العمل الخالص هو الذى لا باعث إليه سوى التقرب من الله تعالى(١).

الخلاصة: كل منا هو نفس ذاك الرجل المهندس يبنى لنفسه فى هذه الحياة، ولابد أن يحافظ على حسن الأداء فى جميع الأزمان والأحوال، لأن المستفيد الأول من ذلك هو نفسه قبل الآخرين.. إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قال الابن معاذ: أحسنت يا أماه فإنها قصة جميلة، نتمنى أن نسمع كل يوم قصة مثل هذه القصة العجيبة.

فقالت الأم: ولا تنسوا قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار في باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال البارزة، والخفية والذي قد سمعناها منذ قليل ففيها من الفوائد الجليلة والعظيمة.

وكذلك الذين منعهم العذر من الخروج مع النبي والصحابة، فكانوا معهم بنيتهم الطيبة" إِنَّ بالمدِينَةِ لَرِجَالاً ما سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً، إلاَّ كَانُوا مَعَكمْ حَبَسَهُمُ المَرَضُ". وَفي روَايَة :" إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأجْرِ "

---

(١) الأمراء الثلاثة بقلم المؤلف صـ ١٩٩.

رواهُ مسلمٌ، وفي رواية البخاري:" إِنَّ أقْواماً خَلْفَنَا بالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْباً(١) وَلاَ وَادياً ، إلاّ وَهُمْ مَعَنَا ؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ "(٢).

قال الأب:(لي كلمة قصيرة يا أبنائي قبل أن نختم هذه الحلقة) وهي: أن الإسلام يدعو إلى العبادة الخالصة، ولا يدعو إلى العبادة التي لا روح فيها ولا حياة لها، والتي لا تزيد المسلمين إلا بعدا عن ربهم وسخطا منه عليهم.

فالإسلام يريد منا عبادات تفيض بالحياة وتضطرم بالروح وتمتلئ بالصدق والإخلاص، تكون خالصة لوجه الله وحده، بريئة من الرياء والشرك، تقودنا رويدا رويدا نحو المعرفة الصادقة بالله، والتوحيد الخالص له، والاعتماد الكلى عليه، حتى لا يطمع المسلم إلا فيه، ولا يخاف إلا منه، ولا يعتمد إلا عليه، ولا يستنصر إلا به، وهذا ما يهمنا معالجته، وما يجب أن يحرص المسلمون عليه، وبذا يتحصل المسلم على السمو والعزة فى الدنيا، والسعادة والنعيم في الآخرة، وذلك هو الفوز العظيم .

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}(٣).

---

(١) الشِّعب : ما انفرج بين جبلين . اللسان ٧/ ١٢٦ .

(٣) وقد مر تخريج الحديث صـ ١٧ من هذا الكتاب.

(١) سورة الكهف _ الآية ١١٠ .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ) حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي، قَالَ:" أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ ".
"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

وإلى اللقاء في حلقة أخرى بإذن الله تعالى.



(٢) المستدرك على الصحيحين _كتابُ الرِّقَاقِ (٧٩١٤) .

الحلقة الثانية

الصدق

جلس الأب كعادته مع أولاده لإقامة حلقة التعليم في البيت، وقبل أن يبدأ التعليم.

قال له ابنه معاذ: أبي نريد أن تبين لنا آداب حلقة التعليم كما بينت فضائلها بالأمس.

قال الوالد: نعم، نجلس في حلقة تعليم ببعض الآداب نذكر منها:

١- نجلس على وضوء.

٢- نشوص فمنا بالسواك.

٣- نجلس على هيئة حِلْقة.

٤- نجلس الجِلْسة الجبرائيلية (على هيئة الجلوس في الصلاة).

٥- نجلس بالتوجه، نوجه(السمع والأذن والبصر) فإنها مصبات القلب.

٦- نسمع بالشوق والرغبة.

٧- نجلس باليقين على كلام الله وكلام الرسول.

٨- نسمع بنية العمل والتبليغ.

وأكتفي بهذا القدر لنبين باقي الآداب في حلقة قادمة إن شاء الله.

ثم قال الوالد للأم: سيدتي الفاضلة! نريد أن نسمع منك اليوم حلقة التعليم.

فقالت الأم: أنا مستعدة وحملت كتاب رياض الصالحين، وقالت: من أي باب تريد أن أقرأ ؟.

فبادر معاذ قبل أبيه وقال: نريد أن نسمع اليوم من باب الصدق يا أماه..

فبدأت الأم تقرأ من باب الصدق حتى أتت على آخره.. ونذكر منه:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).

وعن أبي سفيانَ صَخرِ بنِ حربٍ (رضي الله عنه) في حديثه الطويلِ في قصةِ هِرَقْلَ(٢)، قَالَ هِرقلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ: يَقُولُ:" اعْبُدُوا اللهَّ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ"(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وعن أبي ثابت ، وقيل: أبي سعيد ، وقيل: أبي الوليد، سهل ابن حُنَيْفٍ وَهُوَ بدريٌّ(٤)(رضي الله عنه): أنَّ النَّبيّ (ﷺ)، قَالَ:" مَنْ سَأَلَ الله تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ " رواه مسلم .

وبعد انتهاء الحلقة: لاحظت الأم أن عيني ابنها محمد قد دمعت.

---

(١) سورة التوبة _ الآية ١١٩.

(٢) اسم ملك الروم . النهاية ٥/ ٢٦٠ .

(٣) العفاف: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. والصلة: صلة الأرحام.دليل الفالحين ١/ ٢٥٧.

(٤) شهد بدراً ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

فقالت له الأم: ما يبكيك يا بني؟ **فقال:** لأنني كنت قبل أن أسمع فضائل حلقة التعليم، أكذب كثيرا على أبي حين يسألني هل صليت في المسجد، فكنت قبلها أسأل الخارجين من المسجد من الذي صلى بكم إمام فيقوقون فلان، _ لعلمي أن أبي يسألني من صلى بكم إمام _ فأخبر أبي باسم الإمام حتى يصدقني.

فبادرته الأم فماذا استفدت من حلقة اليوم؟ .

قال محمد: إن شاء الله لا أكذب أبدا.

فقال: الأب: أحسنت يا بني! الله تبارك وتعالى بسبب توبتك الصادقة وندمك على ما فات يغفر ذلك كله لك.

وقال معاذ: أبي! **قال الأب:** تفضل يا معاذ ! قال وأنا استفدت أن لا أكذب أبدا، حتى أكتب عند الله صديقا لحديث الرسول الذي سمعناه:أخرج مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما عَنْ عَبْدِ الله(ﷺ)قَال: قَالَ رَسُولُ الله(ﷺ):« عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا». (١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، وأبو داود (٤٩٨٩)، وأحمد (٣٦٣٨) باختلاف يسير، والترمذي (١٩٧١) ، وابن ماجه (٤٦).

ففرح الأب، وعبر عن شعوره بالفرحة بقوله: (الله الله الله).

فقالت الابنة مريم: أُريد منك يا أبي أن تسمعنا قصة في الصدق.

فقال الأب: أحكي لكم قصتين:

القصة الأولى: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَمْسَاءِ قَالَ بَايَعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ: " يَا فَتًى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ"(١) وهي مظهر عجيب من مظاهر الصدق الرفيع العالي عند سيد البشر.

والقصة الثانية: يحكي أن هاربًا لجأ إلى أحد الصالحين، وقال له: أَخْفِني عن طالبي، فقال له: نَمْ هنا، وألقى عليه حزمة من خوص، فلما جاء طالبوه وسألوا عنه، قال لهم: ها هو ذا تحت الخوص، فظنوا أنه يسخَرُ منهم فتركوه، ونجا ببركة صدق الرجل الصالح(٢) .

قال الابن محمد: وأنا أقص عليكم قصة سيدنا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ

---

(١) سنن أبي داود « كتاب الأدب » باب في العدة (٤٩٩٦)، والبيهقي (٢٠٨٣٥) والخرائطي في "مكارم الأخلاق" (١٩٣).

(١) كتاب منهاج المسلم _ الفصل التاسع في خلق الصدق.

لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ ؟».قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ ». (١).

ومن هنا نأخذ أن الآباء والأمهات لا يكذبان في الحديث مع أبنائهم، حتى لو كان الحديث في التسلية أو الضحك.. حتى لا يتعلم الأبناء الكذب وهم لا يشعرون.

فلو طُرق الباب وفتح الولد الباب فسأله الطارق عن أبيه، نعوده أن يقول الصدق.

وقالت الأم: ويحكي لنا الشيخ عبد القادر الجيلاني _ قصة وقعت له وهو طفل _ يقول: عقدتُ أمري منذ طفولتي على الصدق، فخرجتُ من مكة إلى بغداد لطلب العلم، فأعطتْني أمي أربعين دينارًا لأستعين بها على معيشتي،

---

٢) رواه أبو داود (١٥٨٨ ح٤٩٩١) و ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٦) ، وأحمد (٣/ ٤٤٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥/ ١١) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٨) وسَمّى مولى عبدالله بن عامر زيادًا، وله شاهدان :حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – : رواه أحمد (٢/ ٤٥٢) بسنده عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ قال لِصَبيٍّ: تعال هاك، ثَمّ لم يُعْطِهِ فهي كِذْبَة» و حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– رواه الحاكم مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم :« إِنَّ الكَذبَ لاَ يَصْلُح مِنْهُ جدّ ولاَ هَزْلٌ ولا أَنْ يَعدَ الرجُلُ ابنهُ ثُمّ لاَ يُنْجز له إنّ الصِّدْقَ يَهديْ إلى البرِّ وَإِنَّ البرَّ يَهديْ إلى الجَنَّةِ .. » الحديث .وإسناد الحديث ضعيف لجهالة زياد مولى عبدالله بن عامر، وبقية رجاله ثقات غير محمد بن عجلان فهو صدوق وأما الشواهد : فما رواه أبو هريرة فَعِلَّتُه عدمُ سماع الزهريّ منه ، وما رواه ابن مسعود فقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص . وإنما تواترت هذه الروايات بتوقيف أكثر هذه الكلمات.

وعاهدتْني على الصدق، فلما وصلنا أرضَ همدان، خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة كلها، وقال لي واحدٌ منهم: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظن أني أهزأ، فتركني وسألني آخر، فقلت: أربعون دينارًا، فأخذهم مني كبيرهم، فقال لي: ما حملك على الصدق؟ فقلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فأخذت الخشيةُ رئيسَ اللصوص، فصاح وقال: أنت تخاف أن تخون أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟ ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائبٌ على يدك، فقال مَن معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا بسبب الصدق..

قال معاذ: أمي جزاك الله عنا كل خير فأنت مثل هذه الأم التي عاهدت ابنها على الصدق، فدائما تحثينا على فعل كل ما هو خير، وتنهينا عن كل شر.

وقال محمد: يا أمي أنا أعاهدك أن لا أكذب أبدًا.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

وإلى اللقاء في حلقة أخرى بإذن الله تعالى.



الحلقة الثالثة

باب المراقبة

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وقبل أن يبدأ التعليم، قالت له الأم: سيدي العزيز نريد أن نسمع اليوم في باب المراقبة.. فرحب الأب بذلك الرأي وبدأ يقرأ من كتاب رياض الصالحين:قال تعالى:﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾(١)،وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾(٥).

الأَوَّلُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ(ﷺ)قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ(ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيّ (ﷺ) فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ

---

(١) سورة الشعراء ـ الآيتان ٢١٨ ، ٢١٩.

(٢) سورة الحديد ـ الآية ٤ .

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ٥ .

(٤) سورة الفجر ـ الآية ١٤ .

(٥) سورة غافر ـ الآية ١٩ .

إلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرنَي عَنِ الإسلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): "الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً" قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ .قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحْسَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: "مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ". ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

سأل معاذًا والده! فقال: يا أبي! لماذا جاء جبريل في صورة بشر ؟.

فرح الأب بهذا السؤال، لأن الأبناء يجلسون في حلقة التعليم منتبهين متفكرين، فقال: يا بني! ليستأنس به النبي(ﷺ)، وإلا فلا يتحمل أن يراه كل مرة في صورته الملكية، ولقد رآه (ﷺ) في صورته الملكية مرتين{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ }(١).يعني: رآه مرة في الأرض ومرة في السماءعلى صورته الحقيقة وبأجنحته التي تسدّ الأفق، وقوله: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ }(٢) دنا

---

(١) سورة النجم _ الآيتين ١٤ ، ١٥.

(٢) سورة النجم _ الآية ٨.

جبريل من محمد { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } (١) أي: قرب من رسول الله وصار منه على هذه المسافة.

وكان ينزل بصورة دحية الكلبي لأنه كان وسيما.

قالت الابنة مريم: لي سؤال يا أبي ؟ .

قال الأب: تفضلي ابنتي الكريمة.

قالت: لماذا أتى جبريل بهذه الصفات:(إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحد) ؟.

قال الأب: أحسنت يا ابنتي الغالية، أما(بَيَاضِ الثِّيَابِ): يستحب طلب العلم وقراءة القرآن فيها.. و(شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ) يستحب طلب العلم في الصغر لأن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، كل ما يكتب في العقل والقلب يثبت، أما التعلم في حال الكبر كالنقش على الماء أي لا يثبت.. (وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحد) دليل على استحباب الترحال والغربة والتضحية من أجل تحصيل العلم، وقد جاء سيدنا جابر بن عبد الله بعد وفاة النبي من المدينة المنورة إلى مصر ليطلب حديث واحد.

قال الابن محمد: لماذا جاء إلى مصر والعلم في المدينة حيث يوجد أصحاب النبي؟.

فقال الأب: اعلموا يا أبنائي أن عدد الصحابة في حجة الوداع كما جاء في كتب السيرة حوالي ١٢٤ ألف صحابي(١)، وفي تلك الحجة النبي حملهم

---

(١) سورة النجم _ الآية ٩.

مسؤولية البلاغ وأداء الأمانة(فليبلغ الشاهد منكم الغائب) فانتشروا في الأرض ليبلغوا الدين لكل الناس في العالم، وكان العلم (القرآن والحديث) في صدورهم.

فقال معاذ: كيف نتحصل على مراقبة الله تعالى؟.

قال الأب: لا بد من الجلوس كثيرا في بيئات الإيمان التي تثمر المعرفة بالله تعالى، وكثرة الدعوة إلى الله عز وجل.. ودائما نستشعر آيات القرآن:قال تعالى: (إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (٢).وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٣) .

إذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يوماً فَلا تَقُل خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

وقد مر في الحديث:" أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"

قالت الأم: سيدي الفاضل أود أن أحدثكم عن قصة تدل على مراقبة الله تعالى.

---

(١) كما في السيرة الحلبية والخصائص الكبرى للسيوطي.. وقد نقل السخاوي كلام أبي زرعة أنهم مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، واختاره، بعد أن ذكر أقوالاً أخرى للعلماء في ذلك وانظر : "فتح المغيث" (٤/ ٤٩ – ٥٤) .

(٢) سورة النساء _ الآية ١ .

(٣) سورة المجادلة _ الآية ٧.

قال الأب: تفضلي يا غالية.

قالت الأم: يحكى أن أحد العلماء أراد أن يربي تلامذته على المراقبة فأحضر سبع حمامات بعدد التلاميذ وقدم لكل واحد منهم حمامة وقال لهم إنى أريد من كل واحد منكم أن يذبح تلك الحمامة فى مكان بحيث لا يراه أحد. وانطلق التلاميذ ليقوموا بما طلب منهم. وعادوا بعد فترة وكل واحد منهم قد ذبح حمامته إلا تلميذ لم يذبح حمامته، فسأل العالم كل واحد منهم، كيف ذبحت حمامتك وفي أي مكان؟ وقال كل واحد منهم يجيب. عندئذ سأل الشيخ، التلميذ المفضل «لماذا لم تذبح حمامتك؟» صمت التلميذ برهة ثم قال «كلما ذهبت إلى مكان لأذبح الحمامة أدركت أن الله سبحانه وتعالى يرانى فلم أذبحها وعدت إليك بها» عندئذ نظر الشيخ، وقال لهم: لقد رسبتم كلكم في الامتحان عدا هذا التلميذ النجيب الفطن.

قال الأب: ويحكي لنا عبدُ اللهِ بنُ دينارَ قصة يقول: خرجتُ معَ عمرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إلى مكَّةَ، فَعَرَّسنَا في بعضِ الطَّريقِ، فانحدَرَ عليه راعٍ من الجبلِ، فقال له: يا راعي، بِعنِي شاةً من هذهِ الغنمِ.فقال: إنِّي مملوكٌ.فقال: قُل لِسيِّدِكَ: أكَلَها الذِّئبُ.قال: فأينَ اللهُ؟ قال: فَبَكى ابن عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، ثمَّ غَدَا إلى المملوكِ فاشتراهُ من مولاهُ، وأعتَقَهُ، وقال: أَعتَقَتْكَ في الدُّنيا هذهِ الكلمةُ، وأرجو أن تُعتِقَكَ في الآخرةِ. (١).

---

(١) وذكر هذه القصة ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة، إلا أنه ذكرها عن ابن عمر.

قالت الأم: تسمح لي يا سيدي أن أحكي لكم قصة جميلة في مراقبة الله تعالى؟.

قال الأب: تفضلي جزاك الله عنا كل خير.

قالت الأم: كانت في العهد العمري امرأة،(اسمها / أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله الثقفي) تبيع اللبن وتخلطه بالماء، وبينما أمير المؤمنين عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَعُسُّ بِالْمَدِينَةِ، إِذْ أَعْيَا فَاتَّكَأَ عَلَى جَانِبِ جِدَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَقُولُ لابْنَتِهَا: قُومِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَامْذُقِيهِ بِالْمَاءِ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّتَاهُ، وَمَا عَلِمْتُ مَا كَانَ مِنْ عَزْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ ؟ قَالَتْ: وَمَا كَانَ مِنْ عَزْمَتِهِ ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيًا ، فَنَادَى: لا يُشَابُ اللَّبَنُ بِالْمَاءِ، فَقَالَتْ لَهَا: يَا بِنْتَاهُ قُومِي إِلَى اللَّبَنِ فَامْذُقِيهِ بِالْمَاءِ، فَإِنَّكِ فِي مَوْضِعٍ لا يَرَاكِ عُمَرُ، وَلا مُنَادِي عُمَرَ، فَقَالَتِ الصَّبِيَّةُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لأُطِيعُهُ فِي الْمَلإِ، وَأَعْصِيهِ فِي الْخَلاءِ، وَعُمَرُ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ عَلِّمِ الْبَابَ، وَاعْرِفِ الْمَوْضِعَ، ثُمَّ مَضَى فِي عَسِّهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ: يَا أَسْلَمُ امْضِ إِلَى الْمَوْضِعِ، فَانْظُرْ مَنِ الْقَائِلَةُ، وَمَنَ الْمَقُولُ لَهَا، وَهَلْ لَهُمْ مِنْ بَعْلٍ، فَأَتَيْتُ الْمَوْضِعَ، فَإِذَا أَيِّمٌ لا بَعْلَ لَهَا، وَإِذَا تِيكَ أُمُّهَا، وَإِذَا لَيْسَ لَهُمْ رَجُلٌ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَدَعَا عُمَرُ وَلَدَهُ فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ أُزَوِّجُهُ، وَلَوْ كَانَ بِأَبِيكُمْ حَرَكَةٌ إِلَى النِّسَاءِ مَا سَبَقَهُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَى هَذِهِ الْجَارِيَةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لِي زَوْجَةٌ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لِي زَوْجَةٌ وَقَالَ عَاصِمٌ: يَا أَبَتَاهُ لا زَوْجَةَ لِي، فَزَوِّجْنِي، فَبَعَثَ إِلَى الْجَارِيَةِ، فَزَوَّجَهَا مِنْ عَاصِمٍ، فَوَلَدَتْ لِعَاصِمٍ بِنْتًا، وَوَلَدَتِ الابْنَةُ ابْنَةً، وَوَلَدَتِ الابْنَةُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ

الْعَزِيزِ. قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: كَذَا قَالَ: وَالصَّحِيحُ مَا تَقَدَّمَ، أَنَّ أُمَّ عَاصِمٍ بِنْتَ عَاصِمٍ لا بِنْتُ ابْنَتِهِ (١).

قال الأب: قصة رائعة نسأل الله تعالى أن يجعل نساء وفتيات المسلمين مثل هذه البنت الطاهرة النقية.

كيف رأيتم يا أحبابي كيف كان سلف هذه الأمة يراقبون الله تعالى.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

وإلى اللقاء في حلقة أخرى بإذن الله تعالى.



١) تاريخ المدينة لابن شبة» أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه» تَقْدِيرُ الدِّيَةِ فِي عَهْدِ عُمَرَ ، رضي الله عنه ...رقم الحديث: ١٢٠٤ .

الحلقة الرابعة

اليقين والتوكل

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وقبل أن يبدأ التعليم.

قالت له الابنة مريم: أبي العزيز نريد أن نسمع اليوم في باب اليقين والتوكل.. فرحب الأب بذلك الرأي وأعطى كتاب رياض الصالحين للإبن محمد ليقرأ لهم، فقرأ ما شاء الله قراءة جيدة مع تجويد الآيات، وظل يقرأ حتى انتهى من الباب، ونذكر بعض الأحاديث التي قرأت من الباب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ، قَالَ : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إبرَاهيمُ ﷺ حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا : إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيْماناً وَقَالُوا : حَسْبُنَا الله ونعْمَ الوَكيلُ. رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ آخر قَول إبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ : حَسْبِي الله ونِعْمَ الوَكِيلُ .

عن جابر ﷺ : أَنَّهُ غَزَا مَعَ النبي ﷺ قِبلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُول الله ﷺ قَفَلَ معَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ(١) في وَادٍ كثير العِضَاه ، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ وَتَفَرَّقَ

(١) القائلة: أي الظهيرة . دليل الفالحين ٢/ ١٧ .

النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحتَ سَمُرَة فَعَلَّقَ بِهَا سَيفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً ، فَإذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونَا وَإذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ: " إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائمٌ فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ في يَدِهِ صَلتاً ، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : الله - ثلاثاً- " وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ (١).

وفي رواية قَالَ جَابِرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ ، فَإذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ ، فجاء رَجُلٌ مِنَ المُشْركينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ ، فَقَالَ: تَخَافُنِي ؟ قَالَ : (لاَ) فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : (الله) .

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في "صحيحه"، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: (اللهُ). قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدهِ ، فَأخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: (مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟). فَقَالَ: كُنْ خَيرَ آخِذٍ . فَقَالَ : (تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأنِّي رَسُول الله ؟) قَالَ: لاَ، وَلكنِّي أُعَاهِدُكَ أنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عند خَيرِ النَّاسِ.

ففرحت الأم بقراءة ابنها وتأثرت من قراءته ودمعت عيناها، فعقب الوالد، وقال ما شاء الله، اليوم تحقق شيئا من تعليمنا هذا وهو تأثر والدتكم، فإن من مقاصد حلقة التعليم أن تتأثر قلوبنا بكلام الله وكلام الرسول، فنشتاق

---

(١)قَولُهُ : ((قَفَلَ)) أي رجع ، وَ((الْعِضَاهُ)) الشجر الَّذِي لَهُ شوك، و((السَّمُرَةُ)) بفتح السين وضم الميم : الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْح ، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ ، وَ((اخْتَرَطَ السَّيْف)) أي سلّه وَهُوَ في يدهِ . ((صَلْتاً)) أي مسلولاً ، وَهُوَ بفتحِ الصادِ وضَمِّها .

للتطبيق الفوري، وإلا تقسواْ قلوبنا .. ولذا قالوا نسمع ثم نعمل ثم نبلغ، وإلا تحول هذا العلم لمجرد ثقافة في الدماغ.

قال الابن معاذ: ما شاء الله يا إخواني هذه الحلقة استفدت منها كثيرًا، فبادره أخيه محمد: فماذا استفدت؟ قال: عندما أتيت على قول الرسول(هذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ(١) ألفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ) سألت الله تعالى أن يجعلني منهم، وأحسست من داخلي أن الله استجاب لي.

فقال الأب: أحسنت يا بني! ففي الحديث: الذي أَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: «ادْعُوا اللهَّ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَّ لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

وَفِي "الْمُسْنَدِ"عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دُعَاءً مِنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ ».

وقالت الأم: ابني الغالي معاذ ! وعليك أن تتذكر أننا لا نتحصل الموعود حتى نؤدي المطلوب(هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ(٢)، وَلا يَسْتَرْقُونَ(١)، وَلا يَتَطَيَّرُونَ(٢)؛ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُون).

---

(١) وقد ورد أن مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً أيضاً ، فتكون النتيجة بعد الضرب (٧٠٠٠٠ × ٧٠٠٠٠ = ٤٩٠٠.٠٠٠٠٠٠ مليون) هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . اللهم اجعلنا منهم . شرح رياض الصالحين ١/ ٢٩٠ .

(٢) قال ابن عثيمين: والمؤلف رحمه الله قال: إنه متفق عليه، وكان ينبغي أن يبين أن هذا اللفظ لفظ مسلم دون رواية البخاري، وذلك أن قوله: (لا يرقون)، كلمة غير صحيحة، ولا تصح عن=

فقال الابن معاذ: أمي الغالية ! أريد توضيح أكثر لهذا الكلام، فقالت: أبنائي الأعزاء، لو أن ولدا من الأبناء في الصف السادس الابتدائي وعده أبوه لو نجح في الامتحان وصار من الأوائل، لاشترى له دراجة، فأخذ هذا الولد كل يوم يأخذ أصحابه إلى معرض الدرجات ويقول لهم: أبي سيشتري لي هذه الدراجة، ولم يذاكر دروسه فكانت النتيجة أنه رسب في آخر العام ، فلم يشتري له والده الدراجة، لأنه انشغل بالموعود عن المطلوب.

فهكذا لو انشغلنا بالموعود عن المطلوب لحرمنا الله من الموعود، فعلينا أن ننشغل بالمطلوب فيعطينا الله الموعود.. مفهوم.

قالت الابنة مريم: يا أبي، سمعت الحديث الجميل:" لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً " (٣).

معناه: تَذْهبُ أَوَّلَ النَّهَارِ خِمَاصاً : أي ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ ، وَتَرجعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَاناً . أَي مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ .

قال الأب: ابنتي الجميلة : أريد أن أقص لكم جميعا قصة توضح لنا كيف أن الطيور تتوكل على الله بينما القبرة(١) تتنقل بين الحقول هي وابنتها ليتناولا

=النبي ﷺ ؛ لأن معنى (لا يرقون) أي: لا يقرؤون على المرضى، وهذا باطل، فإن الرسول ﷺ كان يرقي المرضى . شرح رياض الصالحين ١/ ٢٩٠.

(١) أي لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم إذا أصابهم شيء .

(٢) أي لا يتشاءمون ويعتمدون على الله وحده . شرح رياض الصالحين ١/ ٢٩٠ .

(٣)رواه الترمذي ، وَقالَ: حديث حسن.

وجبة الفطور من حبات القمح، وهما يتنقلان فوق السنابل، فقالت لها ابنتها: يا أماه! أين حقولنا؟ قالت كل ما تراه عينك من الأرض فهو ملك لنا ؟ فقالت الابنة: وما بال هؤلاء الناس الذين يعملون في تلك الحقول، قالت الأم لابنتها: هؤلاء الفلاحون الذين يشتغلون عندنا.

قال الابن محمد: لو سمحت يا أبي أريد أن أقص عليكم قصة في تربية أم الحارث بن أسد لابنها علي اليقين.

قال الأب: تفضل يا بني!.

قال الابن محمد: كانت أم الحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ (رحمها الله) تريد أن تُربي ولدها " الحارث "علي اليقين بالله ﷻ.. فإذا أراد الطعام تقول له: صلي، واسأل الله أن يرزقك الطعام فيقوم إلي الصلاة فتضع له الطعام تحت زنبيل، فإذا صلي يكشف الزنبيل فيجد الطعام.. فذهبت يوما إلي السوق، فتأخرت، فتوجهت إلي الله ﷻ وقالت: يا رب ! الآن ابني لا يجد الطعام فيخرب يقينه وتوجهت إلي الله أن يرزقه.. وعاد الحارث من الكتاب، فلم يجد أمه، فقام إلي الصلاة كما يفعل كل يوم ، وبعد أن انتهى من الصلاة، كشف الزنبيل فإذا بالطعام فأكل وشبع.. ثم عادت أمه، فسألته عن الطعام، فقال لها: فعلت مثل ما أفعل كل يوم فوجدت الطعام تحت الزنبيل، ولكن يا أماه ! طعام اليوم لم أذق مثله قط .. فحمدت الله عز وجل .

---

(١) القبرة طائر صغير يشبه العصفور، ونسميه في مصر القنبرة.

قال الأب: أتدري يا محمد ما ثمرة هذه التربية الإيمانية التي يحتاج أبناء المسلمين مثلها؟.

قال الابن محمد (في لهفة): ما هي الثمرة يا أبي؟.

قال الأب: قَالَ الجُنَيْدُ: اجْتَازَ الحَارِثُ يَوْمًا بِي، فَرَأَيْتُ فِي وَجْهِهِ الضُّرَّ مِنَ الجُوعِ، فَدَعَوْتُهُ وَقَدَّمْتُ لَهُ أَلْوَانًا، فَأَخَذَ لُقْمَةً ، فَرَأَيْتُهُ يَلُوكُهَا، فَوَثَبَ وَخَرَجَ، وَلَفَظَ اللُّقْمَةَ، فَلَقِيتُهُ فَعَاتَبْتُهُ، فَقَالَ: أَمَّا الْفَاقَةُ فَكَانَتْ شَدِيدَةً ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنِ الطَّعَامُ مَرْضِيًّا، ارْتَفَعَ إِلَى أَنْفِي مِنْهُ زَفْرَةٌ ، فَلَمْ أَقْبَلْهُ(١).

لما ربته أمه على الإيمان واليقين أثمر في قلبه الورع ، ولما جاء الورع، فجاءه عطاءه من الله وهي الفراسة الإيمانية (التي يميز به بين الحق والباطل، بين الخير والشر ، بين الحلال والحرام.) (٢).

قالت الأم: سيدي الغالي! ما معنى التوكل على الله؟

قال الأب: أيتها الغالية! قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيْرِهِ: التَّوَكُّلُ الاِعْتِمَادُ عَلَى اللهَّ مَعَ إِظْهَارِ العَجْزِ.. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الإِمَامِ سَهْلِ بن عَبْدِ اللهَّ التُّسْتَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَيْثُ وَضَّحَ مَعْنَى التَّوَكُّلِ بِقَوْلِهِ: "التَّوَكُّلُ أَنْ يَكُوْنَ العَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ كَالمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الغَاسِلِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يُرِيْدُ".(٣) .

---

١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

٢) صلاح البيوت ١/ ٥٧٥.

(٣) رَوَاهُ الإِمَامُ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي شُعَبِ الإِيْمَانِ..

وَلَا يَتَعَارَضُ التَّوَكُّلُ مَعَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ، وَفِي الحَدِيْثِ إِشَارَةٌ لِهَذَا؛ فَالطَّيْرُ الجَائِعَةُ تَبْحَثُ عَنْ مَا يَسُدُّ رَمَقَهَا فَتَجِدُ مَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهَا، فَالعَالِمُ لَا يَكُوْنُ عَالِماً إِلَّا إِذَا جَلَسَ مَعَ العُلَمَاءِ وَنَظَرَ فِي الكُتُبِ، وَالمَحْظُوْرُ الاعْتِمَادُ عَلَى الأَسْبَابِ، أَمَّا الأَخْذُ بِهَا مَعَ الاعْتِقَادِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بِيَدِهِ الرِّزْقُ فَهَذَا هُوَ المَطْلُوْبُ، وَهُوَ الَّذِيْ حَثَّ الشَّرْعُ عَلَيْهِ، أَمَّا مُجَرَّدُ اللَّفْظِ بِالتَّوَكُّلِ دُوْنَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ فَمَمْنُوْعٌ، وَهُوَ التَّوَاكُلُ، وَهُوَ لَا يُجْزِئُ، كَمَا أَنَّ التَّلَفُّظَ بِالإِيْمَانِ دُوْنَ العَمَلِ لَا يُجْزِئُ.

ذَكَرَ الإِمَامُ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي شُعَبِ الإِيْمَانِ أَنَّ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّ بِأَهْلِ اليَمَنِ فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ المُتَوَكِّلُوْنَ. فَقَالَ: بَلْ أَنْتُمُ المُتَّكِلُوْنَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالمُتَوَكِّلِيْنَ؟ رَجُلٌ أَلْقَى حَبَّةً فِي الأَرْضِ ثُمَّ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّوْنَ وَلَا يَتَزَوَّدُوْنَ، وَيَقُوْلُوْنَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُوْنَ. فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَىٰ}(١).(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ سَعِيْدُ بن جُبَيْرٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ): التَّوَكُّلُ جِمَاعُ الإِيْمَانِ.

وَقَالَ الإِمَامُ التُّسْتَرِيُّ (رَحِمَهُ اللهُ): الطَّعْنُ فِي الحَرَكَةِ (يَعْنِيْ السَّعْيَ) طَعْنٌ فِي السُّنَّةِ، وَالطَّعْنُ فِي التَّوَكُّلِ طَعْنٌ فِي الإِيْمَانِ؛ فَالتَّوَكُّلُ إِيْمَانُ النَّبِيِّ (ﷺ)، وَالحَرَكَةُ سُنَّتُهُ، فَمَنْ عَمِلَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَتْرُكَنَّ سُنَّتَهُ.

---

(١) سورة البقرة _ الآية ١٩٧.

(٢)صحيح البخاري » كتاب الحج » باب قول الله تعالى _ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى(١٤٥١).

ثم قال الأب: أبنائي الكرام! والله تبارك وعد على الإيمان والتقوى الخير الكثير.

قالت الابنة مريم: كيف ذلك يا أبي؟.

قال الأب: يقول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(١).

وتصديقا لذلك قَالَ أَبُو دَاوُدَ: فِي (سُنَنِهِ): شَبَرْتُ قِثَّاءة بِمِصْرَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ شِبْراً، وَرَأَيْتُ أُتْرُجَّةً عَلَى بَعِيْرٍ، وَقَدْ قُطِعَتْ قِطْعَتَيْنِ، وَعُمِلَتْ مِثْلَ عِدْلَيْنِ(٢).

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ فِي ضِمْنِ حَدِيثٍ قَالَ: وُجِدَتْ فِي خَزَائِنَ بَعْضِ بَنِي أُمَيَّةَ، حِنْطَةٌ -أي قمح- الْحَبَّةُ بِقَدْرِ نَوَاةِ التَّمْرَةِ، وَهِيَ فِي صُرَّةٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: كَانَ هَذَا يَنْبُتُ فِي زَمَنٍ مِنَ الْعَدْلِ(٣).

ثم قال: لكن يا أحبابي! أحيانا الله تبارك وتعالى يأخر العطاء ليجزله، أو لحكمة يعلمها، فيوسف عليه السّلام مسجُونًا ومعَه شابان آخران، كَان يُوسف الأجمَل قلبًا وقالبًا، ومع ذلِك أخرجهُما الله قبله وبقِـي هو في السّجن بعدهُما

---

(١) سورة الأعراف _ الآية ٩٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي _ سيرة أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بنُ الأَشْعَثِ بنِ شَدَّادٍ. ومختصر تاريخ دمشق، ومراسيل أبوداود.

(٣)الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء صـ ٦٥ ، والتفسير القيم لابن القيم .

بضع سنين، الأول: خَرج ليُصبح خادمًا، والثَّاني: خرج ليُقتَل، ويُوسف خرج بعد زمَن ليُصبح "عزيز مِصر".. قَد تتأخّر الأمَاني لتكثُر العطَايا.. فلا نستعجل العطاء.

والعطاء والرزق ليس محصورا في المال وأعراض الدنيا وأشيائها، فالولد عطاء، والصحة عطاء، والسعادة والطمأنينة وراحة البال عطاء، والتقوى عطاء، وليقين والتوكل عطاء، والإخلاص وحسن النية عطاء، والبركة عطاء، والصبر عطاء، "وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" مُتَّفَقٌ عليه .

قالت الأم: كانت حلقة اليوم طيبة استفدنا منها كثيرًا، وأشكركم يا أبنائي على صبركم ومثابرتكم على هذه الحلقة، وأشكر والدكم الغالي الذي أفادنا اليوم كثيرا.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

وإلى اللقاء في حلقة أخرى بإذن الله تعالى.



الحلقة الخامسة

باب الأمر بالمعروف

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت.

وقبل أن يبدأ التعليم، قالت له الأم: سيدي العزيز نريد أن نسمع اليوم باب الأمر بالمعروف من كتاب مشكاة المصابيح.. فرحب الأب بذلك الرأي وأعطى كتاب مشكاة المصابيح لها فقرأت الباب كله بفصوله الثلاث، نذكر حديثين منهما:

عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) قَالَ: سَمِعت رَسُول الله (ﷺ) يقول:" مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ(١) الإِيمَانِ " رواه مسلم .

وعن حذيفة(ﷺ)عن النَّبيّ(ﷺ) قَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ " رواه الترمذي ، وَقالَ: حديث حسن.

قالت مريم: أبي الغالي لماذا قرأنا اليوم من كتاب المشكاة، وتركنا كتاب رياض الصالحين؟.

---

(١) قال المصنف في شرح صحيح مسلم ١/ ٢٣٨ (٤٩) : « معناه والله أعلم أقله ثمرة » .

قال الأب: ابنتي الغالية إن حلقتنا دائما في كتب الفضائل لنتشوق لفضائل الأعمال، وكتب الفضائل كثيرة نذكر منها (كتاب رياض الصالحين، وكتاب المتجر الرابح، وكتاب مشكاة المصابيح، وكتاب الأدب المفرد للبخاري) فمن أي كتاب من هذه الكتب شئنا فلنقرأ.

قال الابن محمد: أبي الغالي! ما هي شروط النهي عن المنكر؟.

قال الأب: أن يكون هذا المنكر أمر قد نهى عنه الشرع الحكيم، وأن يكون ظاهرًا من غير تجسس، أن لا يكون من المسائل المختلف فيها اختلافًا معتبرًا سائغًا.

قال الابن معاذ: كيف يكون ظاهرًا من غير تجسس.

قال الأب: أن يكون صاحب المنكر مجاهرًا به أمام الناس ولم يخفيه، ويجب ألا يتجسس عليه ليعلم حاله، وأضرب لكم قصة توضح لكم ذلك: خَرَجَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ بِضَوْءِ نَارٍ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: فَاتَّبَعَ الضَّوْءَ حَتَّى دَخَلَ دَارًا، فَإِذَا سِرَاجٌ فِي بَيْتٍ، فَدَخَلَ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَرَابٌ وَقَيْنَةٌ تُغَنِّيهِ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ:« مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ مُنْكَرًا أَقْبَحَ مِنْ شَيْخٍ يَنْتَظِرُ أَجَلَهُ »، فَرَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: بَلَى، يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا صَنَعْتَ أَنْتَ أَقْبَحُ، إِنَّكَ قَدْ تَجَسَّسْتَ، وَقَدْ نُهِيَ عَنِ التَّجَسُّسِ، وَدَخَلْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ.فَقَالَ عُمَرُ:صَدَقْتَ ثُمَّ خَرَجَ عَاضًّا عَلَى يَدَيْهِ يَبْكِي»،وقَالَ:« ثَكِلَتْ عُمَرَ أُمُّهُ إِنْ لَمْ

يَغْفِرْ لَهُ رَبُّهُ، يَجِدُ هَذَا، كَانَ يَسْتَخْفِي هَذَا مِنْ أَهْلِهِ »، فَيَقُولُ:« الْآنَ رَأَى عُمَرُ فَيَتَتَابَعُ فِيهِ »، قَالَ:" وَهَجَرَ الشَّيْخُ مَجَالِسَ عُمَرَ حِينًا، فَبَيْنَمَا عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعِيدٌ جَالِسٌ، إِذَا هُوَ بِهِ قَدْ جَاءَ شِبْهَ الْمُسْتَخْفِي، حَتَّى جَلَسَ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ، فَرَآهُ عُمَرُ فَقَالَ:« عَلَيَّ بِهَذَا الشَّيْخِ »،فَقِيلَ لَهُ: أَجِبْ.فَقَامَ وَهُوَ يَرَى أَنَّ عُمَرَ سَيُنَبِّئُهُ بِمَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:«ادْنُ مِنِّي»،فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ، فَقَالَ:« أَدْنِ مِنِّي أُذُنَكَ، فَالْتَقَمَ أُذُنَهُ »،فقَالَ:أَمَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ رَسُولًا، مَا أَخْبَرْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتُ مُنْكَرًا، وَلَا ابْنَ مَسْعُودٍ، فَإِنَّهُ كَانَ مَعِي، فَقَالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْنِ مِنِّي أُذُنَكَ، فَالْتَقَمَ أُذُنَهُ،فقَال: وَلَا أَنَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ رَسُولًا، مَا عُدْتُ إِلَيْهِ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي. فَرَفَعَ عُمَرُ صَوْتَهُ فَكَبَّرَ، مَا يَدْرِي النَّاسُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يُكَبِّرُ(١).

قال الابن معاذ: يا أبي، هل يأثم تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟.

قال الأب: أحسنت يا معاذ! قال الإمام النووي في شرح مسلم: إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَرْضُ كِفَايَةٍ، إِذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ؛ وَإِذَا تَرَكَهُ الْجَمِيعُ، أَثِمَ كُلُّ مَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ بِلَا عُذْرٍ، وَلَا خَوْفٍ. ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَعَيَّنُ، كَمَا إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ إلا هو، أو لا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِزَالَتِهِ إِلَّا هُوَ .. إلخ. وفي الحديث: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة.

---

(١)التّوبيخ والتّنبيه _ صـ١٣٦ - ١٣٧ رقم (١٠٦).

ثم قال الأب: يا معاذ ! إذا انتشرت المعاصي وقل الدعاة إلى الله فوجب على كل مسلم الدعوة إلى الله، بل تنتقل من فرض كفاية، إلى فرض عين، والمثال على ذلك شب حريق في قرية ريفية وكما تعلمون أن سطوح البيوت الريفية تكون ممتلئة بالقش والحطب، وتم إبلاغ سيارة المطافي وجاء بدلا من سيارة سيارتين، ولكن سرعان ما انتشر الحريق وشب في القرية، فما استطاع رجال الإطفاء وحدهم السيطرة على هذا الحريق فهنا اصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة الاشتغال بإطفاء الحريق.أ.هـ.

فكما أن الصيام والصلاة والصدقة فرض علي أمة الرسول جمعاء.. فكذلك الدعوة والتبليغ فرض علي الأمة المحمدية جمعاء.. بل هي أفرض الفرائض.. لأن بها تحيا كل الفرائض والسنن، وكل شُعَب الدين، وبدونها تختفي الفرائض والسنن، وجميع شُعَب الدين، ولا يبقي من الدين غير صورته ..مثل: صورة الصلاة والمنكرات موجودة.. وصورة الصيام بدون تقوى.. وصورة الحج والرفث والفسوق في الحرم ليس في السوق فقط.

أما حقيقة الدين.. فتغيب عن حياة الأمة بدون الدعوة، فقَصر الدعوة والتبليغ والجهد للدين علي فئة معينة من الناس وتسميهم:(جماعة الدعوة والتبليغ) خطأ كبير..لأنها وظيفة أُمَّة وليس وظيفة جماعة فرق بين تسميتها جماعة وما تقوم به من أعمال جماعية.

وأذكر أن الشيخ عبد الوهاب قال(حينما سُئِل عن الدعوة فرض أم سنة ؟ **) قال:** الدعوة أم الفرائض، بها تحيا كل الفرائض.أ. هـ.

ولذا أقول: كما أن الدعوة أم الفرائض، كذلك ترك الدعوة أم الكبائر فبتركها تنتشر المعاصي بل الكبائر في الأمة.

وأذكر لكم يا أبنائي كلاما للشيخ عبد الوهاب أمير الدعوة بالباكستان

(رحمه الله)**يقول:** نحن نستغفر الله ﷻ من الذنوب والمعاصي، ونسينا أن نستغفر الله ﷻ من ترك جهد الدعوة إلى الله ﷻ، الذي يسبب تركه جاءت الذنوب والمعاصي في أمة النبي ﷺ .

أم المعاصي بل المعصية الكبرى ترك جهد الدعوة إلى الله ﷻ.. الذي بسبب تركه ظهرت الكبائر والفواحش في الأمة .

فإذا نستغفر الله ﷻ ونتوب إليه من هذا الخطأ العظيم الله ﷻ يتوب علينا.

وعلينا أن نندم حق الندم على ما فرطنا في حق هذا الدين العظيم. (١).

قالت الأم: جزاك الله خيرًا يا سيدي على هذا الطرح الطيب في هذه المسألة المهمة.

قال الابن محمد: ومتى يعذر المرء يا أبي ؟.

قال الأب: جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره: إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ.

(١) انظر فرضية الدعوة بقلم المؤلف صـ ٦٩.

وقال صاحب عون المعبود: (وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكِ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ) أَيِ الْزَمْ أَمْرَ نَفْسِكَ، وَاحْفَظْ دِينَكَ، وَاتْرُكِ النَّاسَ وَلَا تَتْبَعْهُمْ. وَهَذَا رُخْصَةٌ فِي تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا كَثُرَ الْأَشْرَارُ، وَضَعُفَ الْأَخْيَارُ. اهـ.

قالت الأم: سيدي الغالي أبو محمد! كيف يكون إنكار المنكر باليد؟.

قال الأب: هذه المرتبة تقع لمن يستطع ذلك مثل الوالد مع أولاده والسلطان مع رعيته، والمحتسب الذي يعينه الحاكم على وظيفته، وهكذا.

ثم قال: ونحن بصدد الأمر بالمعروف لا بد أن نقف على فقه أحاديثه، فمثلا جاء في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ)يَقُولُ:" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

لا بد أن نقف عنده وقفة: هل قال النبي: (من رأى منكم منكرا فلينكره)؟ طبعا لا،بل قال(مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ) فلذا ليس المقصود الإنكار، إنما المقصود التغيير، فمثلا رأيت رجلا على معصية، فلو أنكرت عليه ربما يظل يرتكبها ويعاند، بل يصبح يجاهر بها، ولذا كان الشيخ يدرك حقيقة هذا الأمر فكان يذهب للعصاة ويتكلم معهم في عظمة الله وكبريائه، ويتحدث

---

(١)صحيح مسلم » كتاب الإيمان » بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ(٤٩).

لهم عن نعمه وبره وإحسانه وكرمه على الإنسان منذ أن أوجده وهو نطفة في بطن أمه وكيف رعاه وهو في بطنها، ولم خرج من بطنها حفته رعايته، ولما كبر لا يزال يرعاه ويرزقه ويحسن إليه، ويتكلم معه في أحوال الآخرة (الموت والبرزخ والحشر والبعث والنشور والقيامة والصراط والحوض وتطاير الصحف والجنة والنار، حتى يثوب العاصي إلى رشده ويعود للحقيقة التي ذهل وغفل عنها، فتتجلى أمامه، فيتوب إلى الله تعالى ويترك معصيته، وهذا هو معنى تغيير المنكر.

وكان إذا لم يستطيع أن يذهب لصاحب المنكر يقوم بزيارة من لهم علاقة به حتى يوصلوه إليه ويجلسوه معه، إن كلفه ذلك العشرات من الناس يفعل.

وكان إذا أتى إليه من يريد الفتوى يجلس معه ويتكلم معه عن عظمة الله وعظمة أوامره، وبعذ ذلك يفتيه فيجده يقبل الأمر بزيادة إيمانه، أما الذي يفتي الناس مباشرة بغير ذلك فربما الناس يستفتون ولا ينفذون الفتوى لضعف إيمانهم

والذين يريدون أن يلقون كلمة ثم يذهبون لعل هذه الكلمة تجرح العاصي ويعاند ويظل على عناده.

فهذا العمل يحتاج إلى الرحمة والشفقة على خلق الله تعالى.

أبنائي وأهلي الكرام: تعلمنا كل شيء ونسينا أن نتعلم كيف نعيش مقصود حياتنا، وكيف نتعلم وظيفتنا، ونتعلم كيف ندعو، ونتعلم حكمة الدعوة، ومتى ومتى نترك وماذا وماذا لا نقول، كل هذا يحتاج للميدان العملى في زيارة الناس والتجوال عليهم يأخذ الجديد من صاحب الخبرة ينصت له ويتعلم منه.

ولذا سمعت الدكتور نعمان أبو الليل يقول: أنا أقول للطلبة في الجامعة الإسلامية أنتم في سجن الدعوة أي تتعلمون النظري ولكن لما تخرجون في ميدان الدعوة إلى الله تتجولون على الناس وتطبقون ما تعلمتموه.

قال الشيخ محمد إنعام الحسن (رحمه الله): لكي نزيل المنكرات من الفرد المسلم أولا: نحاول نعطي الرجل ونؤلف قلبه حتى تتحكم الصلة بيننا وبينه ثم نلفت نظره عن تلك المنكرات التي في حياته، وهنا تكون النتائج عظيمة وقبلها على الفور ويتخلى عن تلك المنكرات.

ويقول: إننا نسعى عن طريق هذا العمل (الخروج في سبيل الله) الإتيان بالخير في الأمة أولا، لأن الإتيان بالخير يحتاج منا لجهود عديدة ومجاهدات كي يأتي هذا الخير في الناس، ومتى أتى فيهم فعل الخيرات فمثله مثل النور والضوء متى أشعل فتيله تبدد الظلام وزال ولسنا في حاجة لجهود لإزالة ذلك الظلام بحكم طبية الأشياء لذا ورد في القرآن (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ) (١) .

والمنكرات ظلام دامس تسلل لحياه المسلم في بيته وحارته وقريته ومجتمعه، كلما خبت نور الدعوة والتبليغ والأعمال والجهود لذلك والبذل والتضحية، والعكس صحيح من أوقد ثقاب كبريت في غرفة مظلمة عرف أين يضع رجله بها، فان أشعل الفانوس الضوئي تبدد الظلام أكثر، ومن أشعل المصابيح

---

(١) سورة هود _ الآية ١١٢.

الكهربائية زال الظلام وان طلعت الشمس زال الليل كله أمام أشعتها المباشرة والغير مباشرة ، فالحسنات يذهبن السيئات.

ويقول الشيخ محمد إنعام الحسن –*رحمه الله*– **في رسالته التي أرسلها للشيخ سعد الدين الحصين** إن هذه الدعوة ليست إلا للعودة بالأمة إلى كتاب الله وسنة رسول (ﷺ) وطريقة السلف الصالح وهو صراط المستقيم .

وقد نفع الله بهذه الدعوة.. والحمد لله.. خلائق لا يحصون في جميع أنحاء العالم وعادوا من الشرك والضلال والبدع والخرافات إلى عقيدة التوحيد النقية، وتاب كثيرٌ منهم من الإلحاد و الزندقة.. ومن شرب الخمور وتعاطي الربا وارتكاب شتّى المعاصي، ورجعوا إلى المساجد يعبدون ربهم وينيبون إليه متمسكين بهدي المصطفى ﷺ ملتزمين بسنته الطاهرة كما لا يخفى عليكم.(١).

أبنائي الكرام: من فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله وصف به المؤمنين والمؤمنات:فقال تعالى:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }(٢)،وتركهما من صفات المنافقين:{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ}(٣).

---

(١) الكلام البليغ في تأييد أهل الدعوة والتبليغ للمؤلف.

(٢) سورة التوبة _ الآية ٧١.

(٣) سورة التوبة _ الآية ٦٧.

ثم قال الأب: ووصيتي لكم يا أبنائي! إذا أمرتم بالمعروف فكونوا أول المؤتمرين به، وإذا نهيتم عن المنكر فكونوا أول المنتهين عنه، فإن الله تعالى قال في سورة البقرة : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }(١).وقال في سورة الصف:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }(٢).

قال الابن محمد: وفي الحديث: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله(ﷺ):" يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ:أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ" (٣).

وحديث أنس أن النبي(ﷺ)قال:" رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ.فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ" (٤).

وعن جُنْدُبٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ " (١).

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٤٤.

(٢) سورة الصف _ الآيتان ٢ ، ٣.

(٣)رواه البخاري (٣٢٦٧) ، ومسلم (٢٩٨٩)..

(٤)رواه الإمام أحمد (١٣٥١٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩١).

قال الابن معاذ: أبي الغالي.. فهذه النصوص الشرعية قد يفهم بعض الناس منها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يكن الآمر والناهي على قدرٍ من الاستقامة والطاعة أو ملتزماً بما يأمر به وينهى عنه على الأقل .

قال الأب: يا بني! المقصود من هذه النصوص ذم من يترك فعل المعروف الذي يأمر به، وذم من يرتكب المنكر الذي ينهى عنه، وليس فيها ذمه على الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر.

فهي ذمٌ له على تركه فعلَ ما يأمر به ، لا على أمره بما لا يفعله، وفرق ظاهر بين الأمرين!.

قال القرطبي (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) : " اعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ التَّوْبِيخَ فِي الْآيَةِ بِسَبَبِ تَرْكِ فِعْلِ الْبِرِّ ، لَا بِسَبَبِ الْأَمْرِ بِالْبِرِّ "(٢).

وقال الحافظ ابن كثير(رحمه الله): وَالْغَرَضُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّهُمْ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ وَنَبَّهَهُمْ عَلَى خَطَئِهِمْ فِي حَقِّ أَنْفُسِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُونَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ : ذَمُّهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْبِرِّ مَعَ تَرْكِهِمْ لَهُ ، بَلْ عَلَى تَرْكِهِمْ لَهُ .

فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَالِمِ، وَلَكِنَّ الْوَاجِبَ وَالْأَوْلَى بِالْعَالِمِ أَنْ يَفْعَلَهُ مَعَ أَمْرِهِمْ بِهِ، وَلَا يَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:(وَمَا

---

(١)المعجم الكبير » باب الجيم » من اسمه جندب » جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي » أَبُو تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيُّ ، عَنْ جُنْدُبٍ .(١٦٨١).

(٢)تفسير القرطبي" (١/ ٣٦٦) .

أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

فَكُلٌّ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَفِعْلِهِ: وَاجِبٌ، لَا يَسْقُطُ أَحَدُهُمَا بِتَرْكِ الْآخَرِ عَلَى أَصَحِّ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ .

قَالَ مَالِكٌ عَنْ رَبِيعَةَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ لَهُ: لَوْ كَانَ الْمَرْءُ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ، مَا أَمَرَ أَحَدٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ.قَالَ مَالِكٌ: وَصَدَقَ ، مَنْ ذَا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ؟

قُلْتُ: وَلَكِنَّهُ - وَالْحَالَةُ هَذِهِ - مَذْمُومٌ عَلَى تَرْكِ الطَّاعَةِ وَفِعْلِهِ الْمَعْصِيَةَ ، لِعِلْمِهِ بِهَا وَمُخَالَفَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ ؛ وَلِهَذَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ فِي الْوَعِيدِ عَلَى ذَلِكَ" (١).

وقال أبو بكر ابن العربي : إِنَّمَا وَقَعَ الذَّمُّ هَاهُنَا عَلَى ارْتِكَابِ مَا نُهِيَ عَنْهُ ، لَا عَنْ نَهْيِهِ عَنْ الْمُنْكَرِ(٢).

قال الأب: وفي نهاية حلقتنا اليوم نطلب من كل واحد طلب:

الأم: عليك بقراءة جزء قرآن والدعاء للأمة بأن يذهب عنها البلاء والوباء.

الابن محمد: عليك بعد قراءة القرآن الاستغفار ١٠٠٠ مرة وأن تدعو الله أن يفتح الحدود والسدود للخارجين في سبيلك.

---

(١)تفسير القرآن العظيم" (١/ ٢٤٨)..

(٢)أحكام القرآن" (١/ ٣٤٩).

الابن معاذ: عليك بكثر الصلاة على النبي_ صلى الله عليه وسلم _.

الابنة مريم: عليك بـ لا حول ولا قوة إلا بالله والدعاء للأمة بالهداية.

الدعاء:

اللَّهُمَّ ! لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ حَقٌّ وَلِقَاكَ حَقٌّ وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ! اجعلنا من المقبولين، ولا تجعلنا من المطرودين.

اللَّهُمَّ! اللهم اصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

(آمين)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة السادسة

باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت.

وقبل أن يبدأ التعليم:

قالت الابنة مريم: أبي العزيز نريد أن نسمع اليوم باب حفظ اللسان والغيبة والشتم من كتاب مشكاة المصابيح.. فرحب الأب بذلك الرأي وأعطى كتاب المشكاة لها فقرأت الباب كله والأسرة الكريمة يستمعون لها.

نذكرًا طرفًا منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:" إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ "رواه البخاري.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ:" إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".رواه مسلم.

وعن حذيفة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ:" لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ ".متفق عليه. وعند مسلم بلفظ:" لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ ".

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ (ﷺ): حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، _ تَعْنِي قَصِيرَةً _، فَقَالَ:« لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

وبعد انتهاء الحلقة:

قال الأب _ معلقا على الحلقة_: كيف رأيتم يا أبنائي خطر الكلمة، كلمة تحمل رضا الله توصل للجنة، وكلمة تحمل سخط الله توصل لنار جهنم.. فعلينا أن ننظر في كلامنا قبل أن نتكلم.

ثم قال: رأيتم كم يحرم اللعان من كل خير:« إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

قالت الأم: سيدي الفاضل، هذا الحديث وكأني أول مرة أسمعه:« لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ » فما معنى القتات؟.

قال الأب: سيدتي الغالية! الْقَتَّاتُ: هُوَ النَّمَّامُ وَوَقَعَ بِلَفْظِ نَمَّامٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ.

وَقِيلَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَتَّاتِ وَالنَّمَّامِ أَنَّ النَّمَّامَ الَّذِي يحضر الْقِصَّة فَيَنْقُلُهَا وَالْقَتَّاتُ الَّذِي يَتَسَمَّعُ مِنْ حَيْثُ لَا يُعْلَمُ بِهِ ثُمَّ يَنْقُلُ مَا سَمِعَهُ(١).

قال الابن محمد: أبي ! هل يؤبد فيها؟

---

(١) فتح الباري _ شرح صحيح البخاري» كتاب الأدب» باب ما يكره من النميمة (٥٧٠٩).

قال الأب: اسمع يا محمد! اتفق أهل السنة والجماعة أن أهل الفسق والكبائر لا يخلدون في النار، وإذا تابوا وأنابوا وأصلحوا غفر الله لهم ولم يدخلهم النار.

قال الابنة مريم: أبي أليس النبي كان يحب الصديقة بنت الصديق عائشة؟.

قال الأب: بلى يا ابنتي، فحين سأله سيدنا عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :« أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟» قَالَ:« عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟، فَقَالَ:« أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:«ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب»، فَعَدَّ رِجَالًا".(١).

فهي أول من ذكرها فيمن يحبهم.

قالت الابنة مريم: فلم عنفها بقوله:« لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» هكذا يا ابنتي يفعل الإنسان بمن يحب محبة له وخوفا عليه، ألا ترين أني أقسي عليكم أحيانا، خوفا على مصلحتكم؟ أرجو أن تكوني فهمتي كلامي.

سألت مريم الأب: يا أبي الغالي! لماذا نهينا عن الغيبة ؟.

قال الأب: ابنتي الغالية! :

أولا: لأنه أمر الله الذي خلقنا فيعلم ما يصلحنا وما يفسدنا، فقال تعالى: (... وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (١).

---

(١)رواه البخاري في"صحيحه" (رقم/ ٣٦٦٢)، ومسلم في "صحيحه" (رقم/ ٢٣٨٤).

ثانيا: الله يريد لخلقه أن يحيوا حياة السعادة، ومن المعلوم أن الغيبة تكدر حياتهم، لذا نهانا عن الغيبة..فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ(ﷺ) قَال:" أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:" ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ". قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ" .رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢).

فإذا ذكرت أخاك بما يكره فبالطبع يفكر أن ينسب لك مثل ما ذكرته به، أو يفتش لك عن عيوبك، ثم يفشيها، وبهذا تنتشر البغضاء في المجتمع.

ثالثا: ومن خطورة الغيبة أنها أشد من الزنا: فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا " . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ :" الرَّجُلُ يَزْنِي ثُمَّ يَتُوبُ ، فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ " . رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَفِيهِ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ الثَّقَفِيُّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ (٣).

قال الابن معاذ: نريد يا أبي أن تذكر لنا قصة من قصص المغتابين وكيف كان وبال الله عليهم؟.

قال الأب: يروي لنا سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا عُرِجَ بِي ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ ، يَخْمُشُونَ

---

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٢.

(٢)مشكاة المصابيح_ كتاب الآداب_ باب حفظ اللسان والغيبة والشتم(٤٨٢٩).

(٣)مجمع الزاوئد ومنبع الفوائدكتاب الأدبباب ما جاء في الغيبة والنميمة (١٣١٢٨).

وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ "(١).

قال الابن محمد: يا أبي وضح لنا ماهي الأمور التي تقع بها الغيبة.

قال الأب: ابني الغالي! لقد وضح لنا ذلك الإمام النووي(رحمه الله) فقال: اعْلَمْ أَنَّ الْغِيبَةَ مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ، وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَذِكْرُكَ فِيهِ بِمَا يَكْرَهُهُ عَامٌّ، سَوَاءٌ كَانَ فِي بَدَنِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِهِ أَوْ زَوْجِهِ أَوْ خَادِمِهِ أَوْ ثَوْبِهِ أَوْ مَشْيِهِ وَحَرَكَتِهِ وَبَشَاشَتِهِ وَعَبُوسَتِهِ وَطَلَاقَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ، سَوَاءٌ ذَكَرْتَهُ بِلَفْظِكَ أَوْ كِتَابِكَ، أَوْ رَمَزْتَ أَوْ أَشَرْتَ إِلَيْهِ بِعَيْنِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَضَابِطُهُ أَنَّ كُلَّ مَا أَفْهَمْتَ بِهِ غَيْرَكَ نُقْصَانَ مُسْلِمٍ فَهُوَ غِيبَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمُحَاكَاةُ بِأَنْ يَمْشِيَ مُتَعَارِجًا أَوْ مُطَأْطِئًا، أَوْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَاتِ مُرِيدًا حِكَايَةَ هَيْئَةِ مَنْ يَنْقُصُهُ بِذَلِكَ(٢).

أبنائي وأحبابي أزف لكم فائدتين نفعنا الله وإياكم بهما:

الأولى: لو نظرنا إلى الحياة الإسلامية لوجدناها تقوم على خمس أصول (الاعتقاد(الإيمانيات)، العبادات، المعاملات، المعاشرات، الأخلاق) وهذه الخمس بني عليها شجرة الدين.

(١)أخرجه أبو داود وأحمد ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٥٣).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح _ كتاب الآداب _ باب حفظ اللسان والغيبة والشتم(٤٨٢٩).

والأمة يوم تجتهد على شيء واحد وهو العبادات، ونسيت أنها لو نقص الجهد على تصحيح الإيمان، لفسدت العبادات، ولو تركت تصحيح المعاملات لضاعت العبادات، وكذلك لو ترك تصحيح الأخلاق لضاعت العبادات، فالمرأة دخلت النار في هرة، وكلكم تعلمون حديث المفلس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)قَالَ " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ". قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ . فَقَالَ " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَي مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"(١)، فتصحيح المعاملات أمر مهم لأنه وجه العملة الآخر مع العبادات، لأن العبادات إصلاح للداخل، والمعاملات إصلاح الخارج، وتصحيح المعاملات بإعطاء الناس حقوقهم ونسأل نحن حقنا من الله.

لذلك يقول فضيلة الشيخ/ محمد يوسف (رحمه الله) (٢)يدخل الدين في حياة الناس عن طريق العبادات ويخرج الدين من حياة الناس عن طريق المعاملات.

فنتنبه لتصحيح المعاملات والمعاشرات والأخلاق.

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) محمد يوسف الكاندهلوي صاحب كتاب حياة الصحابة.

الثانية: وهذه الآفة من أعظم ذنوب العلماء والدعاة إلى الله لا يسلم منها إلا القليل الخلص، وتنشأ بسبب الحسد، لمن هو أكثر منه علما، أو من هو أكثر منه قبولا.. نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يشغلنا بذكره.

قال الابن محمد: فما علاج هذه الآفة يا أبي؟.

قال الأب: ابني الغالي! علاج هذه الآفة هو الإخلاص لله رب العالمين، حيث أفرح بكل عمل يبذل من أجل نشر الإسلام، وأفرح بالذي قام به مهما كان وفي أي مكان.

أبنائي الكرام! عليكم برد غيبة المسلم فالنبي(ﷺ) وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ، قال: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله (ﷺ)فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِيْنَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ. (١).

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الحلقة السابعة

باب حق الجار والوصية بِهِ

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

ثم قرأ لهم من كتاب رياض الصالحين باب حق الجار والوصية بِهِ حتى انتهى من الباب بأكمله.

نذكر طرفًا منها:

عن أبي هريرة أن رَسُول الله ﷺ ، قَالَ:" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخرِ ، فَلاَ يُؤْذِ جارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وعن أَبي شُرَيْح الخُزَاعيِّ ﷺ : أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ:" مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ " رواه مسلم بهذا اللفظ ، وروى البخاري بعضه.

وعن عائشة رضي الله عنها ، قَالَت: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّ لِي جارَيْنِ، فإلى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ : ((إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنكِ بَاباً)) رواه البخاري .

وبعد الانتهاء من قراءة الباب: **قالت الأم:** هل تسمح لي سيدي الفاضل أن اقص لكم قصتين في حسن الجوار؟ قال الأب تفضلي.

قالت الأم: قرأت في كتاب جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال بقلم والدي: أنه كانت هناك امرأة هندية في الهند _ غير مسلمة_ وجاءها المخاض(حال وضع الجنين) وكان زوجها مسافرا لإحدى الدول العربية، فاستأذنت المرأة المسلمة التي تسكن بجوارها من زوجها أن تذهب إليها وتعينها، فأذن لها، فلما تعسرت المرأة في الولادة فأعلمت زوجها المسلمة فأخذ هذه المرأة الكافرة بسيارته ورفقة زوجته إلى المستشفى وتمت عملية الولادة ثم أرجعها إلى منزلها، ثم أعطى زوجته الطعام والدقيق واللحم وقال أطعميها، فما كان من هذه المرأة التي سرت بهذا الصنيع إلا أنها أرسلت إلى زوجها في الخارج وحكت له هذا الصنيع ففرح بذلك، وبعد أن رجعا من سفره، تذاكرا الأمر وقرروا اعتناق الإسلام وجميع الأسرة، فأخبر الجار المسلم، وبالفعل تم دخولها الغسلام وما كان ذلك بالإكرام والإحسان إلى الجيران، فالإكرام هو السحر الحلال.

وقال الابن محمد: جزاك الله خيرا يا أماه وأنا سمعت قصة عجيبة من جدي محمد إمام قال: كانت أسرة مسلمة با كستانية تسكن في إحدى الدول الأوربية، وكان في الشقة المقابلة لهم تسن امرأة عجوز وحدها لا يدخل عليها

أحد، وفي يوم من الأيام، طبخت الزوجة المسلمة طعام(الخبيزة) فأهدت صحنا منها لهذه المرأة العجوز، فتعجبت العجوز ودخلت عليه وقالت لهم: لماذا أهديت لي هذا الطعام الطيبن قالت لها: لأننا مسلمين ورسولنا الكريم قد حثنا على ذلك فقال:" إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ "(١).فقالت العجوز: دينكم يحثكم على ذلك: قالت: نعم. فقالت العجوز: أنا أريد أن أدخل في دينكم، فإن ابنتي تسكن في الدور الذي فوي منذ عشر سنوان ما دخلت عليَّ في عيد ولا غيره، فلقنوها الشهادة وأسلمن وعلموها تعاليم الدين من صلاة وغيرها.. وأصبحت تحضر معهم حلقات التعليم.

وسأل معاذًا أباه قائلا: أبي الغالي ! لماذا نقرأ من القرآن فقط العشر سور مع الفاتحة؟.

قال الأب: ابني الغالي! هذا سؤال مهم جدًا، فالاقتصار على العشر سور شيء مهم حيث يخرج العامي الذي لا يحفظ شيئا من القرآن ولايقرأ ولا يكتب، فلو قلنا له اقرأ معنا من سورة البقرة لترك الدعوة وذهب لكن نحن نعلمه العشر سور يتلوها تلاوة صحيحة مع معرفة أحكامها، فيتعطش لكتاب الله تعالى فيتعلم شيئا فشيئا فبعد ذلك يصير كثير منهم حافظين لكتاب الله ولقد رأيت كثيرا من الأمين بعد خروجهم حفظوا كتاب الله وصاروا من كبار الدعاة وجابوا المشارق والمغارب داعين إلى الله،ولو قلنا لهم اقرأوا من السور الطويلة لتركوا الدعوة وذهبوا وصاروا على جهلهم.. ولله المنَّة وحده.

(١)مشكاة المصابيح_كتاب الزكاة_باب أفضل الصدقة (١٩٣٧) ٤/ ١٣٥٣.

وبعد انتهاء الحلقة أوصاهم الأب أن يحرصوا على قراءة جزء من القرآن ، ومن كان حافظا يقرأ من ثلاثة أجزاء أو خمسة: فقد قيل من قرأ الخمسة لم ينس.

وقال العلامة الشنقيطي: لَا يُثَبِّتُ الْقُرْآنَ فِي الصَّدْرِ، وَلَا يُسَهِّلُ حِفْظَهُ وَيُيَسِّرُ فَهْمَهُ إِلَّا الْقِيَامُ بِهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، وَقَدْ كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لَا يَتْرُكُ وِرْدَهُ مِنَ اللَّيْلِ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً، وَقَدْ أَفَادَ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، فَكَانَ (ﷺ)إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ(١).

وقبل أن أنهي الحلقة أقول لكم مهما جفا الجار أو أساء فلا بد أن نحلم عليه: قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله) : من أسَاءَ إليكَ فَادفَعهُ عَنكَ بِالإحسَانِ إليهِ(٢).

قال الابن محمد: نريد بيانا في (عظمة الله) يا أبي.

قال الأب: اللـه (جل جلاله).. نور السموات والأرض.. ملك السموات والأرض.. له ما في السموات وما في الأرض..بديع السموات والأرض..فاطر السموات والأرض.. قيوم السموات والأرض.. خالق السموات والأرض.. له ميراث السموات والأرض.. له جنود السموات والأرض .

إليه المرجع والمصير..إليه يرجع الأمر كله علانيته وسره.. إليه تصير الأمور.. إليه ترجع الأمور.. وإليه تقلبون.. إليه ترجعون .. إليه تحشرون.. جبار السموات والأرض .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ط دار الفكر ج ٨ ص ٣٥٩ .

(٢)تفسير ابن كثير.

يكور الليل علي النهار.. يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.. يسلخ الليل من النهار ويسلخ النهار من الليل.. هو الرحيم الودود.. ذو العرش المجيد ..فعال لما يريد ..بيده ملكوت كل شي.. خالق كل شي..مالك كل شي ..يخلق ما يشاء..يفعل ما يشاء..يزيد في الخلق ما يشاء..يبسط الرزق لمن يشاء ..يؤيد بنصره من يشاء ..لطيف لما يشاء..يرحم من يشاء ..يعذب من يشاء .. يعز من يشاء .. ويذل من يشاء ..يهدي من يشاء.. ويضل من يشاء .. يسمع من يشاء.. يزكي من يشاء ..يؤتي الحكمة من يشاء.. يؤتي الملك من يشاء.. ينزع الملك من يشاء.. يرفع درجات من يشاء.. يؤيد بنصره من يشاء..يمحو ما يشاء.. يصيب برحمته من يشاء.. يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.. يمكن في الأرض من يشاء .. يورث الأرض من يشاء..يثبت علي الحق من يشاء..يصرف القلوب كيف يشاء.. شديد العقاب.. شديد العذاب.. شديد المحال.. سريع الحساب.. قولة حق.. ووعده حق .. يقضي بالحق.. يحكم بالحق.. ذو المغفرة.. ذو الطول.. ذو الانتقام.. ذو المعارج.. ذو الفضل العظيم.. ينزل الآيات .. يفصل الآيات .. فالق الإصباح.. فالق الحب والنوى.. أول الأولين.. آخر الآخرين.. أكرم الأكرمين.. أرحم الراحمين.. خير الناصرين.. خير الفاصلين.. خير الرازقين.. لا معقب لحكمه.. أحكم الحاكمين.. لا راد لقضائه.. لا مبدل لكلماته.. غالب علي أمره .. قاهر فوق عباده.. أمره بين الكاف والنون.. يقول للشئ كن فيكون.. لا يعجزه شئ.. لا يخفى عليه شئ .. لا يظلم ربك أحدا.. وما ربك بظلام

للعبيد.. لا يضل ربي ولا ينسي .. لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملو.. لا يحب الخير إلا الله.. لا يصرف السوء إلا الله .. وما بكم من نعمة فمن الله.. وما اتخذ صاحبة ولا ولدا.. لا تخالطه الظنون.. ولا تفنيه السنون.. ولا تغيره الحوادث .. ولا يخشي الدوائر .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الثامنة

فضل العلم

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ في بيان لهم فضل قراءة القرآن وقرأ ثلاثة أحاديث في صدر باب فضل قراءة القرآن من كتاب رياض الصالحين:

الأول: عن أَبي أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: "اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ" رواه مسلم .

الثاني: وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ ، يقولُ :" يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ وَأهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنْيَا تَقْدُمُه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا" رواه مسلم .

الثالث: وعن عثمان بن عفان ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ " رواه البخاري .

ثم قرأ معهم العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة.

فقالت الأم: _ موجهة الكلام للأبناء_ لقد منَّ الله علي بحفظ كتاب الله وختمته وأنا في الصف الخامس الابتدائي، وأتمنى من الله أن يلبسني الله تاج

الكرامة يوم القيامة، ففي الحديث قال رسول الله(ﷺ):" مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُور ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ " (١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي(ﷺ)قال:" يَجِيءُ صاحب الْقُرْآن يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ القرآن: يَا رَبِّ حَلِّهِ – أي ألبسه الحلية – فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثم يقول: ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً" (٢).

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "اقرؤوا الْقُرْآنَ، فإنه نِعْمَ الشَّفِيعُ يوم الْقِيَامَةِ، إنه يقول يوم الْقِيَامَةِ: يا رَبِّ حَلِّهِ حِلْيَةَ الْكَرَامَةِ، فَيُحَلَّى حِلْيَةَ الْكَرَامَةِ، يا رَبِّ اكْسُهُ كِسْوَةَ الْكَرَامَةِ، فَيُكْسَى كِسْوَةَ الْكَرَامَةِ، يا رَبِّ البسه تَاجَ الْكَرَامَةِ، يا رَبِّ أرض عنه، فَلَيْسَ بَعْدَ رِضَاكَ شَيْءٌ"(٣).

---

(١) رواه الحاكم، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٤٣٤).

(٢)رواه الترمذي (٢٩١٥)، والدارمي (٣٣١١)، والحاكم واللفظ له (٢٠٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣٠).

(٣)رواه الدارمي موقوفا (٣٣١١)، وقال الوادعي في كتاب الشفاعة: رجاله رجال الصحيح إلا عاصماً، وهو ابن أبي النجود، فقد رويا له مقروناً وهو حسن الحديث اهـ (صفحة ٢٤٩)..

فالذي يكثر من قراءة القرآن آناء الليل ويقوم به، سيُلبس تاج الكرامة، وذلك لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:" يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ لِكُلِّ عَامِلٍ عُمَالَةٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنِّي كُنْتُ أَمْنَعُهُ اللَّذَّةَ وَالنَّوْمَ، فَأَكْرِمْ. فَيُقَالُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ، فَيُمْلَأُ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، ثُمَّ يُقَالُ: ابْسُطْ شِمَالَكَ، فَيمْلَأُ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، وَيُكْسَى كِسْوَةَ الْكَرَامَةِ، وَيُحَلَّى حِلْيَةِ الْكَرَامَةِ، وَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ "(١).

فقالت مريم: أمي الغالية! ألست تلبسين لأنك حافظة لكتاب الله؟.

قالت الأم: نعم! ولكن أريد الزيادة، ألست إذا كان لك ثوب تريدين ثوبا آخر وآخر؟ قالت مريم! بلى فهمت يا أماه.

قال الأب: من فوائد تعلم القرآن: من قرأ القرآن مُتع بعقله وإن بلغ مئة(٢).

قالت الابنة مريم: أبي الكريم ، أرى كثير من كبار السن يقرؤون القرآن وهم لا يحفظونه وربما لا يفهمونه، فما فائدة القراءة بدون فهم وحفظ؟.

قال الأب: ابنتي الغالية! إن الله تعالى وعدنا الخير الكثير على قراءته وقد مر علينا اليوم حديث في فضائل القرآن:"اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ" رواه مسلم .

---

(١) رواه الدارمي موقوفا (٣٣١٢)، وحسنه الوادعي في كتاب الشفاعة (صفحة ٢١٤).

(٢) تفسير القرطبي.

ففي الحديث: وعد بشفاعة القرآن لصاحبه عند الله تعالى يوم القيامة، ولم يشترط لحافظه أو فاهمه.

وكذلك يشفع لحافظه وفاهم معانيه لحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ: " الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، فَيُشَفَّعَانِ " . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (١).

وسأحكي لك قصة عجيبة في شأن الرجل الذي يقرأ القرآن ولا يحفظه: كان هناك رجل يقرأ القرآن بكثرة ولكن لا يحفظ منه شيئا، فسأله ابنه الصغير ما الفائدة من قراءتك دون أن تحفظ منه شيئا ؟!.

فقال له: يا بني: إذا ملأت سلة القش هذه ماءًا من البحر، فقال الولد مستحيل أن املأها، فقال له: جرب.

وكانت السلة تستخدم لنقل الفحم، فأخذها الصبي واتجه بها إلى البحر وحاول ملئها واتجه بسرعة نحو أبيه ولكن الماء تسرب منها.

فقال لأبيه: لا فائدة، فقال الأب: جرب ثانية!. ففعل فلم ينجح بإحضار الماء وجرب ثالثة ورابعة وخامسة دون جدوى، فاعتراه التعب وقال لأبيه لايمكن أن نملأها بالماء.

فقال الأب لابنه: ألم تلاحظ شيئا على السلة؟! .

---

(١)مشكاة المصابيح » كتاب الصوم(١٩٦٣)..

هنا تنبه الصبي فقال: نعم يا أبي كانت متسخة من بقايا الفحم والآن أصبحت نظيفة تماما.

فقال الأب لابنه: وهذا تماما ما يفعله القرآن بقلبك، فالدنيا وأعمالها قد تملأ قلبك بأوساخها، والقرآن كماء البحر ينظف صدرك حتى لو لم تحفظ منه شيئا!.

فائدة: فلا تجعل عدم قدرتك على حفظ القرآن مدخلا للشيطان ليبعدك به به عن قراءته.. قال تعالى { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }(١).

وبعد الانتهاء من تجويد القرآن ومدارسة فضله، فتح الأب كتاب رياض الصالحين مرة ثانية، وقرأ لهم من كتاب رياض الصالحين في باب فضل العلم تعلماً وتعليماً لله حتى أتى على آخره.

نذكر بعض منها:

عن معاوية ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : " مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ " . متفقٌ عَلَيْهِ .

وعن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : " لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ ، فَهُوَيَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ". متفقٌ عَلَيْهِ . (٢).

---

(١) سورة الإسراء _ الآية ٨٢ .

(٢)والمراد بالحسدِ : الغِبْطَةُ، وَهُوَ أنْ يَتَمَنَّى مِثله ..

وعن سهل بن سعد ﷺ : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ لِعَلِيٍّ ﷺ : " فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ". متفقٌ عَلَيْهِ .

وبعد انتهاء الحلقة تذاكرت الأسرة طرفا من أهمية العلم ومكانته:

قالت الأم: سيدي الفاضل: ما أفضل العلوم؟.

قال الأب: أفضل علم هو علم المعرفة بالله وأسمائه وصفاته،﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (١).

قال الابن معاذ: لماذا جمع الله في هذه الآية بين(لا إله إلا الله، والاستغفار)؟.

قال الأب: أحسنت يا معاذ! فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ بِصِدْقِ وَيَقِينٍ تُذْهِبُ الشِّرْكَ كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ؛ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَتَأْتِي عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَخَفَايَاهُ وَدَقَائِقِهِ .

وَالِاسْتِغْفَارُ يَمْحُو مَا بَقِيَ مِنْ عَثَرَاتِهِ وَيَمْحُو الذَّنْبَ الَّذِي هُوَ مِنْ شُعَبِ الشِّرْكِ فَإِنَّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا مِنْ شُعَبِ الشِّرْكِ .

فَالتَّوْحِيدُ يُذْهِبُ أَصْلَ الشِّرْكِ وَالِاسْتِغْفَارُ يَمْحُو فُرُوعَهُ فَأَبْلَغُ الثَّنَاءِ قَوْلُ : لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَأَبْلَغُ الدُّعَاءِ قَوْلُ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ .

فَأَمَرَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ وَلِإِخْوَانِهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ (٢).

---

(١) سورة محمد– الآية ١٩.

(٢)مجموع فتاوى ابن تيمية » الآداب والتصوف » كتاب التصوف » الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب (١١ / ٦٩٧).

فقال الابن محمد: يا أبي وأنت تقرأ وجدت حديثا في الباب لعله ليس مناسبا أن يكون في باب العلم.

فبادره الأب: ما هو؟ قال محمد: حديث: عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:" بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" رواه البخاري(١).

قال الأب: ليس كما فهمت يا محمد، فإن مقتضى العلم التبليغ، فإن من تعلم شيئا بلغه.. فاحرص على ذلك لتنال نضارة الوجه كما سمعتها في الباب من حديث ابن مسعودٍ (ﷺ) قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله (ﷺ)، يقول:" نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ".رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهْ .وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢).

قال الابن معاذ: يا أبي وأنا سمعت كذلك أن مقتضى العلم حسن الخلق.. قال المزني: سمعني الشافعي يوما وأنا أقول: فلان- من الرواة- كذّاب. فقال لي: يا أبا إبراهيم، اكسُ ألفاظك أحسنها، لا تقل فلان كذاب، وقل حديثه ليس بشئ (٣).

---

(١) صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء» باب ما ذكر عن بني إسرائيل(٣٢٧٤).

(٢) مشكاة المصابيح » كتاب العلم (٣٢٧٤).

(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي جـ ٢/ ١٦١. الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

قال الأب: أحسنت يا معاذ ! فقد أفدتنا فائدة جليلة وفي الباب فوائد جمة، أريد من كل واحد منكم أن يذكر لنا منها شيئا:

قال الابن محمد: أبي الغالي! يأمر النبي (ﷺ) في هذا الحديث المسلم بتبليغ ولو آيةً واحدة؛ حتى يسارع كل مسلم إلى تبليغ ما بَلَغه من الشرع مهما قلَّ، وحتمًا سيصل كل ما جاء به (ﷺ) إذا فعل كل مسلم ذلك.

قال البيضاويُّ _ معلقا على لفظ_: ((ولو آية))، ولم يقل: ولو حديثًا؛ لأنَّ الأمر بتبليغ الحديث يُفهَم من هذا بطريق الأَوْلَوية، فإنَّ الآياتِ مع انتشارها وكثرة حَمَلتها، وتكفُّل الله سبحانه بحفظها، وصونها عن الضياع والتحريف، إذا كانت واجبةَ التبليغ، فالحديث الذي لا شيء فيه مما ذُكر أَوْلى(١).

ويكفي شرفًا من يبلِّغ ما جاء به المصطفى (ﷺ) أنه يدخل في قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(٢)، وهذا استفهام تقريريٌّ؛ أي: لا أحد أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله مع العمل الصالح الذي يُصدِّق قوله، ومع استسلامه لله تعالى منكِرًا ذاته(إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، فتصبح دعوته خالصةً لله تعالى، ليس له فيها إلا التبليغ.

---

(١) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٦٦٥).

(٢) سورة فصلت _ الآية ٣٣.

ويكفيه أيضًا جزاءً وكرمًا من الله أن يكون من المفلحين، ويدخل في الآية: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(١).

قالت الأم: سيدي الفاضل ! بعد هذه الإفادة العظيمة في فضيلة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أريد أن أنوه عن فائدة جليلة وعظيمة في الحديث:" مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً "رواه مسلم .

سمعت في حلقة التعليم الأسبوعيه تعليقا على هذا الحديث:أن أهل مصر إلى يوم القيامة في صحيفة عمر بن الخطاب لأنه الذي أرسل عمرو بن العاص ليدعوهم إلى الله، وأهل مصر إلى يوم القيامة في صحيف عمرو بن العاص ومن كان معه من المسلمين، وعمرو بن العاص وأهل مصر في صحيفة النجاشي ملك الحبشة لأن عمر بن العاص الذي أسلم على يد النجاشي هو الذي دعا أهل مصر.

قال الأب: وأنا أقرأ لكم قصة إسلام عمرو بن العاص من مسند الإمام أحمد: عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو ابْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ قَالَ لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنْ الْأَحْزَابِ عَنْ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي وَيَسْمَعُونَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُمْ تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٠٤.

كَبِيرًا مُنْكَرًا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ قَالُوا وَمَا رَأَيْتَ قَالَ رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفَ فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ فَجَمَعْنَا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِصَدِيقِي أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدْمًا كَثِيرًا قَالَ ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا قَالَ فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ كَسَرَهُ فَلَوْ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ فَقَالَ لَهُ أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ قَالَ قُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ فَقَالَ وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ قَالَ قُلْتُ

فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَالَ نَعَمْ فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)لِأُسْلِمَ فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ فَقُلْتُ أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ قَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ أَذْهَبُ وَاللَّهِ أُسْلِمُ فَحَتَّى مَتَى قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ قَالَ فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَا أَذْكُرُ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" يَا عَمْرُو بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا" قَالَ فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ كَانَ مَعَهُمَا أَسْلَمَ حِينَ أَسْلَمَا(١).

كم من بركات الدعوة تجعل الإنسان وكأنه عاش طوال الحياة من يوم أن يدعو حتى تقوم الساعة، وقد أخبرنا: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)أَنَّهُ قَالَ:" كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ "(٢) (٣).

---

(١)مسند الإمام أحمد _ مسند الشاميين _حديث عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم(١٧٣٢٤) ٤/ ١٩٩.

(٢)أخرجه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١)، وأحمد (٢٣٩٥١) باختلاف يسير. عن فَضَالَةُ بنُ عُبَيْدٍ وسلمان الفارسي وعقبة بن عامر الجهني -رضي الله عنهم- مرفوعاً.

(٣) الرِّباطُ في سَبيلِ الله والمحافظةُ على بلادِ الإسلامِ مِنْ أعظمِ الأعمالِ التي يَسْتمِرُّ ثوابُها؛ وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "كلُّ الميِّتِ يُخْتَمُ على عمَلِه"، أي: كل=

فكم يكون في صحيفة الداعي من صلوات وحج وزكاة وصدقة وصيام وذكر وقراءة قرآن وصلة أرحام وكفالة أيتام وغيرها من الأعمال الصالحة؟.

قال الابن معاذ: يا أبي! طالما تطرقنا إلى الدعوة إلى الله، هل تحتاج الدعوة إلى علم كثير؟.

قال الأب: أحسنت يا بني! المعلم حتى يعلم طلابه يحتاج إلى علم كثير، والمفتي حتى يفتي الناس يحتاج إلى علم كثير، أما الداعي إلى الله فلا يحتاج إلى علم كثير ولا علم تخصصي مثل المعلم والمفتي_ وهذا ليس تصغيرًا لشأن العلم فشأن العلم عظيم _ وقد ذكر الله أحد الدعاة الذين يحبهم أنهم دعوا إلى الله وليس معهم علم، مثل صاحب يس ن ولذلك قال { وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ }(١)، وما قال اتبعوني مثل مؤمن

=الأمواتِ تُطْوى صَحيفتُهم فلا يُكْتَبُ لهم عملٌ بعد موتِهم، "إلَّا المُرابِط"، أي: المدافِع عن حُدودِ المسلمين وثُغورِهم، فإنَّ ثوابَ عمَلِه يَزدادُ "ويَنْمو"، أي: يتَضاعفُ، "إلى يومِ القيامةِ"، أي: حتَّى بعدَ موتِه، "ويُؤَمَّنُ مِنْ فتَّانِ القَبْرِ"، أي: مُنْكرٍ ونكيرٍ يؤَمَّنُ فِتنةَ سؤالِهما؛ قيل: يَحتمَلُ أن يَكونَ المرادُ أنَّ المَلَكَين لا يَجيئانِ إليه ولا يَختبِرانه، بل يَكْفي موتُه مُرابِطًا في سبيلِ الله شاهِدًا على صِحَّةِ إيمانِه، ويُحتمَلُ أنَّهما يَجيئانِ إليه، لكن لا يَضُرَّانِه، ولا يَحصُلُ بسببِ مَجيئِهما فتنةٌ.(موقع الدرر السنية على شبكة النت). ولا يخفى عليكم أحبابي وأبنائي أن الدعوة هي أصل الجهاد، فمن أجلها شُرع الجهاد باللسان والجهاد باليد والجهاد بالقلب. والنماء: هو المضاعفة.. فهنيئا للخارجين في سبيل لله تعالى المرابطين في بيوت الله لنشر الخير ودعوة الناس إلى الله.. وحفظ ثغور قلوبهم من عدوهم الداخلي(الشيطان).

(١) سورة يسن _ الآية ٢٠

فرعون، لأن مسلم جديد ليس عنده علم، أما مؤمن فرعون مسلم قديم عنده علم ، فصاحب يس دعا إلى الله بفطرته، ما أحد علمه، ولا وجهه، ولكن جهد الدعوة جهد فطري.

وقال الابن معاذ: لقد تعلمت من هذا الباب أن لا أكتم العلم فقد حذرنا رسول الله من ذلك فعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله(ﷺ):" مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ".رواه أَبُو داود والترمذي ، وقال: حديث حسن .

وقالت الابنة مريم: لقد تعلمت من هذا الباب أن أحفظ القرآن وأتعلم الحديث والفقه وعلم الدين لله تعالى، لا من أجل الوظيفة وغيرها، لقول الرسول الله(ﷺ):" مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله ﷻ لا يَتعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ(١) يَوْمَ القِيَامَةِ " يَعْنِي: رِيحَهَا ". رواه أَبُو داود بإسناد صحيح(٢).

قالت الأم: ما معنى يا سيدي، كلمة: عرض حاضر ؟.

قال الأب: أَيْ: حَظًّا مَالًا أَوْ جَاهًا (مِنَ الدُّنْيَا): يُقَالُ: الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَنَكِرَةٌ لِيَتَنَاوَلَ الْأَنْوَاعَ وَيَنْدَرِجَ فِيهِ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ

---

(١) قال ابن قيم الجوزية: عرف الجنة ، بفتح عين مهملة وسكون راء مهملة، الرائحة، مبالغة في تحريم الجنة لأن من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعاً . (عون المعبود ١٠/ ٩٨).

(٢) سنن أبي داود » كتاب العلم » باب في طلب العلم لغير الله تعالى _ بَاب فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى (٣٦٦٤).

، وَفِي الْأَزْهَارِ: الْعَرَضُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالرَّاءِ الْمَالُ، وَقِيلَ: مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ، وَقَالَ الْجِيلِيُّ : الْعَرْضُ بِالسُّكُونِ أَصْنَافُ الْمَالِ غَيْرَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَبِحَرَكَةِ الرَّاءِ جَمِيعُ الْمَالِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْعُرُوضِ كُلِّهَا ، كَذَا نَقَلَهُ الْأَبْهَرِيُّ .

وقَالَ الطِّيبِيُّ: وَفِيهِ أَنَّ مَنْ تَعَلَّمَ لِرِضَا اللهَّ تَعَالَى مَعَ إِصَابَةِ الْعَرَضِ الدُّنْيَوِيِّ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَعِيدِ لِأَنَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهَّ تَعَالَى يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَتْبُوعًا، وَيَكُونَ الْعَرَضُ تَابِعًا، وَوَصْفُ الْعِلْمِ بِابْتِغَاءِ وَجْهِ اللهَّ إِمَّا لِلتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ فَإِنَّ بَعْضًا مِنَ الْعُلُومِ مِمَّا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ كَمَا وَرَدَ: أَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَإِمَّا لِلْمَدْحِ وَالْوَعِيدِ مِنْ بَابِ التَّغْلِيظِ وَالتَّهْدِيدِ(١).

قال الابن معاذ: وهل يحرم من الجنة أبدا فلا يدخلها ؟.

قال الأب: قال الشيخ العظيم آبادي (رحمه الله): (عَرْفَ الْجَنَّةِ) بِفَتْحِ عَيْنٍ مُهْمَلَةٍ وَسُكُونِ رَاءٍ مُهْمَلَةٍ الرَّائِحَةُ مُبَالَغَةٌ فِي تَحْرِيمِ الْجَنَّةِ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الشَّيْءِ لَا يَتَنَاوَلُهُ قَطْعًا، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَوَّلًا ثُمَّ أَمْرُهُ إِلَى اللهَّ تَعَالَى كَأَمْرِ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ كُلِّهِمْ إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ . (٢).

---

(١) قاله الشيخ ملا على القاري (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح).

(٢)عون المعبود شرح سنن أبيداود » كتاب العلم » بَاب فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللهَّ تَعَالَى » ٣٦٦٤.

اليوم يحسن بنا أن نتذاكر صفة العلم:

صفة العلم والذكر لهما أهميتان كبيرتان في الإسلام:

فأما الأولي: فلا يعرف الله إلا بها،[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ] (١) ولا يعبد إلا بها، وبها تعرف مراد الله منك في كل حال، وكيف تؤدي مراد الله منك بما شرع الله.

والثانية(صفة الذكر): تجعل العبد في معية الله تعالى، وتخرجه من الكبر ومن النفاق .. فما أجمل هاتين الصفتين لو تحلين بهما(٢).

أحسنتم جميعا والفوائد كثيرة نتذاكر بعضها في حلقة أخرى إن شاء الله تعالى.

الدعاء:

إِلَهنا يَا حَسَنْ التَجَاوز يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيل وَسَتَرَ القَبِيحْ يَا مَنْ لاَ يَأْخُذُ بِالجَرِيرَة وَلاَ يَهْتِكُ السِتْر يَا وَاسِعُ المَغْفِرَة يَا بَاسِطَ اليَدين بِالرَحمَة، يَا صَاحِبَ كُلِ نَجْوَى وَيَا مُنْتَهَى كُلِ شَكْوَى يَا كَرِيمَ الصَفْح يَا عَظِيمَ المَن يَا مُبْتَدئاً بِالنِّعَم قَبْل اسْتِحْقَاقَها، يَا ربي وَسَيدي وَمَولاَي وَيَا غَاية رَغْبَتِي، أَسْأَلُكَ يَا الله أَنْ تُحَرِمَ وَجْوهنا عَلَى النَار وأن ترزقنا وأولادنا الفردوس الأعلى من الجنة ، وَأَنتَ الرَءوفُ الرَحِيم .

---

(١) سورة محمد _ الآية ١٩.

(٢) انظر كتاب الأمراء الثلاثة بقم المؤلف صـ ١٢٠.

اللَّهُمَّ! لا تَحْرِمْنا خَيرَ مَا عِندَكَ بِشر وسُوءِ مَا عِندِنا.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْـتَ نَسْـتَغْفِرُكَ وَنَتُـوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة التاسعة

باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ يبين لهم فضل حلقة التعليم وقرأ الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ):" مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهَّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهَّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ "(١).

ثم قام بقراءة القرآن هو والأسرة الكريمة، ثم قرأ من كتاب رياض الصالحين _ باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، حتى أتى على نهاية الباب.

قال الابن محمد: أبي ! هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ (٢).

(١) سنن أبي داود _ كتاب الصلاة _ باب تفريع أبواب الوتر _ باب في ثواب قراءة القرآن(١٤٥٥).

(٢) سورة المائدة _ الآية ١٥٤.

ما أجملها وأحسنها وكأني أسمعها لأول مرة، لَيْسَ العَجَبُ مِنْ قَوْلِهِ:﴿يُحِبُّونَهُ﴾وَلَكِنَّ العَجَبَ مِنْ قَوْلِهِ:﴿يُحِبُّهُمْ﴾. فَهُوَ الذي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ وَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ يُحِبُّهُمْ؟.

هَلْ عَرَفَ الإِنْسَانُ هَذَا المَقَامَ؟.

وَهَلْ عَرَفَ مَنْ هُوَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟.

شَرَفٌ مَا بَعْدَهُ شَرَفٌ عِنْدَمَا يَكُونُ الإِنْسَانُ مَحْبُوباً عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قال الأب: ما نالوا محبته إلا بالصفات التي اتصفوا بها(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) فالذين يدافعون عن دينه ويقاتلون عنه ويدعون إليه هم الذين يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم فيا من تدَّعون محبة الله ﷻ فداعي الله ﷻ يناديكم ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١).

فَفَكِّرْ يَا مُحَمْد فِي نَفْسِكَ: مَنْ تُحِبُّ، وَمَنْ يُحِبُّكَ؟ مَجْنُونُ لَيْلَى قَتَلَهُ حُبُّ امْرَأَةٍ؛ وَقَارُونُ قَتَلَهُ حُبُّ المَالِ، وَفِرْعَوْنُ قَتَلَهُ حُبُّ المَنْصِبِ؛ وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ سَادَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَحَمْزَةَ وَجَعْفَرَ وَحَنْظَلَةَ حُبَّاً لله تعالى، وَلِسَيِّدِنَا رَسُولِ الله (ﷺ)؛ هَلْ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ؟ فَيَا لَبُعْدَ مَا بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ.

قالت الابنة مريم: أبي! ماذا قال مشايخ الدعوة في صفة التواضع؟.

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣١.

قال الأب: السبب المهم من أسباب القبولية والاستقامة: هو التواضع ،بأن يمشي الداعي في هذا الجهد متواضعاً، فالذي يتواضع يرفعه الله، والذي يتكبر يُصغره الله (١).

فالمتواضع فى تواضعه مثل الشجرة المثمرة، فمن كثرة ثمارها تنزل فروعها وتميل إلى الأرض، ولكن الشجرة التي لا تثمر تجد أغصانها مرتفعة إلى أعلى(كبر)، وعندما تزيد الثمرة حلاوة واستواء تسقط على الأرض لأنها اكتملت حلاوتها فالداعى إذا اكتمل إيمانه اكتمل تواضعه .

الداعي في تواضعه مثل الكوبري الكل يعبر من عليه.. فعلى الداعى أن يختار التواضع فى كلامه.. قيامه.. جلوسه.. أكله.. شربه.. معاملاته.. معاشراته.. أخلاقه.. ويكون أكثر لزوماً للتواضع فى خطابه وبيانه فلا يرى نفسه أعلم من غيره، ولا يستصغر الآخرين، ويدعو الناس إلى حياة النبى(ﷺ) وصحابته الكرام فبذلك يأتى التواضع، ولو دعا الناس إلى حياته (هو) يأتى الكبر ، وبالكبر ترفع نصرة الله ﷻ .

فالداعى إلى الله فى تواضعه مثل الأرض الكل يمشى عليها الطائع والعاصى(٢).

قال الابن معاذ: أبي الغالي! نريد أن تقص علينا قصة في التواضع.

---

١) تنوير الأفهام في جهد خير الأنام بقلم المؤلف.

٢)كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله بقم المؤلف.

قال الأب: نعم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ (ﷺ)، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ(١): هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ، قَالَ: الْعَجَبُ لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي الأَرْضِ مَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ؟، قَالَ : فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَتَتَبُّعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَإِنْ كُنْتُ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ فَأَجِدُهُ قَائِلا (٢): فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيَاحُ فِي وَجْهِي حَتَّى يَخْرُجَ ، فَيَقُولُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ؟، فَأَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، فَيَقُولُ: فَهَلا بَعَثْتَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ ، فَأَقُولُ:" أَنَا كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ آتِيَكَ، فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَمُرُّ بِي بَعْدُ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ أَعْقَلَ مِنِّي"(٣).

اختار التواضع والذهاب للناس مع مكانته من رسول الله.

وحُكي لنا: أن أحد الناس ذهب لأحد العلماء.. وقال له: أريد أن أكون من الأولياء، فقال العالم: الأمر سهل امشي في السوق وقبل يد أقل واحد يقابلك في

---

١) لم يسمَّ ابن عباس هذا الأنصارى احتراماً له، وهكذا أدب الصحابة فى الرواية.

٢) أي: نائما وقت القيلولة.

٣) المستدرك على الصحيحين» كتاب العلم» الأَصْلُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ وَتَوْقِيرِ الْمُحَدِّثِ (٣٧٠) ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل» فَضَائِلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنه _رقم الحديث: ١٦٧٦.

السوق أو الشارع، فذهب يمشي في السوق لعله يجد أقل رجل، فوقعت عينيه على رجل رث الهيئة سائر الرأس واللحية، يحمل بعض المتاع البالي القديم، فانحنى على يد الرجل ليقبلها، فإذا بالرجل يصفعه كلمة(أنت لم تجد غيري)، سبحان الله فقد جاء في حديث نبينا: «رُبَّ أشْعَثَ أغبرَ مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ» رواه مسلم(١) (٢).

فرجع إلى الشيخ، وهو مهموم حيث باء بالخيبة، إذ لم يحصل على ما أراده منه شيخه، فقال: يا شيخ وجدت رجلا من هيئته أنه أقل واحد، فأردت أن أقبل يده، فقال لي: ما وجدت غيري؟.

فقال له العالم: إنك رسبت في الامتحان، كان يجب عليك حين قلت لك ذلك، أن تقبل يدك أنت.

فلا يكون العبد وليا لله إلا إذا ظن أنه أقل واحد.

---

١) مشكاة المصابيح » كتاب الآداب » بَابُ فَضْلِ الْفُقَرَاءِ وَمَا كَانَ مِنْ عَيْشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ(٥٢٣١).

(٢)قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ) (الْأَشْعَثُ) الْمُلَبَّدُ الشَّعْرِ الْمُغَبَّرُ غَيْرُ مَدْهُونٍ وَلَا مُرَجَّلٍ وَ (مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ) أَيْ لَا قَدْرَ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ فَهُمْ يَدْفَعُونَهُ عَنْ أَبْوَابِهِمْ، وَيَطْرُدُونَهُ عَنْهُمْ احْتِقَارًا لَهُ ، (لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ) أَيْ حَلَفَ عَلَى وُقُوعِ شَيْءٍ أَوْقَعَهُ اللَّهُ إِكْرَامًا لَهُ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ، وَصِيَانَتِهِ مِنَ الْحِنْثِ فِي يَمِينِهِ ، وَهَذَا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا عِنْدَ النَّاسِ. وَقِيلَ: مَعْنَى الْقَسَمِ هُنَا الدُّعَاءُ، وَإِبْرَارُهُ إِجَابَتُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .(صحيح مسلم بشرح الإمام النووي).

وأَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ-: عَنْ عَبَّاسٍ الدُّورِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي فَزَارَةَ، وَكَانَ جَارًا لَنَا قَالَ: كَانَتْ أُمِّي مُقْعَدَةً مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا: يَا بُنَيَّ، اذْهَبْ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَاسْأَلْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لِي عَسَى اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَتَقَبَّلَ دُعَاءَهُ فَيُبْرِئَنِي مِنَ الْمَرَضِ الَّذِي أَلَمَّ بِي.قَالَ: فَذَهَبْتُ، فَضَرَبْتُ الْبَابَ فَإِذَا هُوَ فِي دِهْلِيزٍ لَهُ وَرَاءَ الْبَابِ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ: مَنْ؟ قُلْتُ: فُلَانٌ، وَقَدْ أَرْسَلَتْنِي أُمِّي وَهِيَ مُقْعَدَةٌ مُنْذُ عِشْرِينَ، تَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لَهَا.فَقَالَ: فَأَجَابَنِي مُغْضَبًا، وَقَالَ: بَلْ أَنَا أَحْوَجُ إِلَى دُعَائِهَا مِنْهَا إِلَى دُعَائِي. سَلْهَا أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لِي.قَالَ: فَانْصَرَفْتُ فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ أَحْمَدَ -رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ-، فَقَالَتْ: قَدْ تَرَكْتُهُ يَدْعُو اللهَ لَهَا.قَالَ: فَعُدْتُ إِلَى بَيْتِنَا، فَضَرَبْتُ الْبَابَ، فَخَرَجَتْ أُمِّي فَفَتَحَتْ لِيَ الْبَابَ)).

وَلَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي قَوْلِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ-: ((بَلْ أَنَا أَحْوَجُ أَنْ تَدْعُو اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لِي مِنْ أَنْ أَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَهَا)).

فِي هَذَا النَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ وَمُرَاعَاةِ جَانِبِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّادِقُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا متواضعين لله ومع عباده.



الحلقة العاشرة

باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بحلقة القرآن والتجويد.

ثم قرأ من كتاب مشكاة المصابيح _كتاب صفة القيامة والجنة والنار _ باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبدأ :

الحديث الأول: عَنْ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ قَالَ:" كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ : الْعَمَاءُ أَيْ : لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ .

الحديث الثاني: وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)قَالَ:" أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقَيْهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ " . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الحديث الثالث:وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَغْنَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): " سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ ". فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي

وُجُوهِ الصَّحَابَةِ ، ثُمَّ قَالَ: " وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا " وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ" وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وتمت قراءة الباب كله .

فقال الابن معاذ: ماشاء الله تبارك الله هذه عظمة الله تعالى في مخلوقاته، فكيف بالخالق جل وعلا ؟.

وقال الابن محمد: أبي العزيز، أريد أن تبين لنا بيانا قصيرًا في عظمة الله تعالى.

قال الأب: نعم نقرأ في كل حلقة تعليم جزء في بيان معرفة الله من كتاب اليقين في معرف رب العالمين: الله جل جلاله قيوم قاهر فوق عباده مستوي على عرشه كما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(١)(٢).بائن من خلقه (ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته).

---

(١)سورة طـه – الآية ٥.

(٢)سئل مالك: كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم مسح رأسه فقال :(الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال له: كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعه، أخرجوه، فأخرجوا الرجل. وسأله رجل آخر فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول . وقال عبد الله بن نافع : قال مالك : الله في السماء وعلمه فى كل مكان (تاريخ الإسلام ٥/ ١٧٩).وقيل لربيعة الرأي: كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق (تاريخ الإسلام – ٤/ ٥٢).قال على بن الحسن بن شقيق: قلت لابن المبارك : كيف تعرف ربنا عز وجل ؟ قال: فى السماء على العرش ولا=

منفرد بتدبير مملكته، متكلم بأمره ونهيه، بصير بحركات العالم علويه، وسُفليه،وأشخاصهوذواته،سميع لأصواتهم، رقيب على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، يأمر وينهى، يخلقُ ويرزق، يحيى ويميت، ويقضى وينفذ، يرضى ويغضب، يثيب ويعاقب، يعز ويذل، يُعطى ويمنع، يرفع ويخفض﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

ويرحم إذا أُسترحم، ويغفر إذا أُستغفر، ويجيب المضطر، ويكشف الضر، ويشفي السقيم، ويجيب إذا دعي، ويقيل إذا استقيل:﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٣).﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٤) موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال، منزهاً من العيوب والنقائص والمثال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير ﴾ (٥).وهو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، يقلب الليل والنهار،

= نقول كما قالت الجهمية هو معنا. (تاريخ الإسلام – ٥/ ٣٠٠) .وقال الأوزاعي – رحمه الله – كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله سبحانه على العرش ونؤمن بما ورد فى السنة من الصفات.

(١) سورة آل عمران – الآية ٢٦.

(٢) سورة النمل – الآية ٦٢.

(٣) سورة الشعراء – الآية ٨٠ .

(٤) سورة البقرة – من الآية ١٨٦.

(٥) سورة الشورى – من الآية ١١.

ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول يذهب بدولة ويأتي بأخرى﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾(١).

والرسل من ملائكته عليهم الصلاة والسلام بين صاعد بالأمر، ونازل من عنده بالأمر﴿ لا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٢)، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣). ينفذون أوامره في أقطار الممالك، وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته .

ما شاء الله كان في الوقت الذي شاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٤)وأوامره وسلطانه نافذة في السماوات وأقطارها، وفى الأرض وما عليها وما تحتها، وفى البحار، وفى الجو، وسائر أجزاء العالم، وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما شاء وفق حكمة بالغة وإرادة نافذة.

الله (ﷻ) حي لا يموت أبداً ، قيوم لا ينام ﴿اللهَّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ١٤٠ .

(٢) سورة التحريم – من الآية ٦ .

(٣) سورة النحل – الآية ٥٠.

(٤) سورة يّس – الآية ٨٢ .

(٥)سورة البقرة – الآية ٢٥٥ .

متفرد بالإلهية لكل الخلائق، حي في نفسه لا يموت أبداً، قائم لا ينام ، قائم بذاته ، المقيم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾(١). لا يغفل عن تدبير الخلق، ولا يعتريه فتور ولا نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (٢) فالجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ (٣).

ومن عظمته وجلاله وكبريائه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحدٍ عنده إلا بإذنه له في الشفاعة حتى النبي محمد ﷺ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ ﴾(٤).نكتفي بهذا القدر ونكمل الحلقة القادمة إن شاء الله.



---

(١) سورة الروم – من الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة مريم – الآية ٩٣ .

(٤) سورة البقرة – من الآية ٢٥٥.

الحلقة الحادية عشرة

باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بحلقة القرآن والتجويد.

ثم حمل كتاب رياض الصالحين وقام بقراءة باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم:قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾ إِلَى قوله تَعَالَى : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ (١)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٢).

وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ أَبُو بكر لِعُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدَ وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهيَا إِلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: مَا أبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ

---

(١) سورة الكهف – الآيات من ٦٠ : ٦٦.

(٢) سورة الكهف – الآية ٢٨.

لرسول الله (ﷺ) ، ولكِنْ أبكي أَنَّ الوَحْيَ قدِ انْقطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُما عَلَى البُكَاءِ ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا . رواه مسلم.

وعن أَبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ:" أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخَاً لَهُ في قَريَة أُخْرَى، فَأَرْصَدَ الله تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيه، قَالَ: أَيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: أُريدُ أخاً لي في هذِهِ القَريَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَة تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَى، قَالَ: فإنِّي رَسُول الله إلَيْكَ بَأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ" رواه مسلم.

وبعد أن أتم الأب القراءة من(باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم) قال: من يقول لنا بعض الفوائد التي تأثر بها في هذا الباب؟.

قالت الأم: سيدي الفاضل إن هذا الباب كله فوائد وأذكر منها: الزيارة الطيبة التي قام بها صديق هذه الأمة وفاروقها للسيدة الطاهرة بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُصَيْنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ النُّعْمَانِ الْحَبَشِيَّةُ، غَلَبَ عَلَيْهَا كُنْيَتُهَا أُمُّ أَيْمَنَ، وَهُوَ ابْنُهَا مِنْ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ الْحَبَشِيِّ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَتُعْرَفُ بِأُمِّ الظِّبَاءِ، وَقَدْ هَاجَرَتِ الْهِجْرَتَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهِيَ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) مَعَ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ. (١).

---

(١)وَقَدْ كَانَتْ مِمَّنْ وَرِثَهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)مِنْ أَبِيهِ، قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلْ وَرِثَهَا مِنْ أُمِّهِ. وَقِيلَ: بَلْ كَانَتْ لِأُخْتِ خَدِيجَةَ فَوَهَبَتْهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، وَآمَنَتْ قَدِيمًا وَهَاجَرَتْ، وَتَأَخَّرَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ (ﷺ)، وكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُ النَّبِيَّ (ﷺ) =

وكَانَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) يَقُولُ لِأُمِّ أَيْمَنَ " يا أُمَّهْ ". وَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ:"هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِ.وكان يَقُولُ:" أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي".

ونَظَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ يَشْرَبُ ، فَقَالَتِ: اسْقِنِي. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أُمَّ أَيْمَنَ، أَتَقُولِينَ هَذَا لِرَسُولِ اللهَّ(ﷺ)؟! فَقَالَتْ: مَا خَدَمْتُهُ أَطْوَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ):"صَدَقَتْ". فَجَاءَ بِالْمَاءِ فَسَقَاهَا.

ولَمَّا هَاجَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ أَمْسَتْ بِالْمُنْصَرَفِ دُونَ الرَّوْحَاءِ وَهِيَ صَائِمَةٌ ، فَأَصَابَهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ حَتَّى جَهَدَهَا. قَالَ، فَدُلِّيَ عَلَيْهَا دَلْوٌ مِنَ السَّمَاءِ بِرِشَاءٍ أَبْيَضَ فِيهِ مَاءٌ. قَالَتْ: فَشَرِبْتُ فَمَا أَصَابَنِي عَطَشٌ بَعْدُ، وَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِلْعَطَشِ بِالصَّوْمِ وَفِي الْهَوَاجِرِ، فَمَا عَطِشْتُ بَعْدُ(١).

وهذا غيض من فيض من حياة السيدة المبجلة، أُعلق على حديث زيارة صديق الأمة وفاروقها لها، انظروا إلى فكر هذه المرأة ونور قلبها، حين قَالَتْ :(مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم أَنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لرَسُولِ الله(ﷺ)، ولَكِنْ

=حَتَّى كَبِرَ، فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ زَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَتُوُفِّيَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: إِنَّهَا بَقِيَتْ بَعْدَ قَتْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ .

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ، وَحَرْمَلَةَ، كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ. فَذَكَرَهُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ: تُوُفِّيَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ .(البداية والنهاية).

(١) انظر كتاب البداية والنهاية سنة إحدى عشرة من الهجرة إماؤه عليه الصلاة والسلام.

أبكي أَنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ) تبكي لانقطاع الوحي من السماء لأنها تريد كل يوم أوامر جديدة، وتنفذ هذه الأوامر، وأنها ترى لخير كل الخير في اتصال الأرض بالسماء.. ولكن نحن أين نحن من هذا الفكر الطيب، وأين نحن من أوامر الله تعالى.

فلما انتهى كلام الأم قالت: الابنة مريم: أكرمك الله يا أماه لقد اثلجتي صدورنا بذكر حياة الصحابية الجليلة التي حضنت رسول الله وخدمته، وببركة هذه الصحبة والخدمة اصطفاها ربنا وبارك فيها وفي ولدها وزوجهان أسامة وأبيه زيد الذي كان يقال عنه: حب رسول الله وابن حبه.. فهي أسرة مباركة بخدمتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الابن محمد: جزاك الله خيرا يا أمي أنت ومريم على هذا الفكر الطيب وأنا تأثرت من قصة موسى والخضر عليهما السلام وخاصة من زيارة موسى التي بذل فيها نفسه ووقته، حتى وإن طال عليه الزمن في البحث عنه لزيارته التي أمره الله بالالتقاء به، فقال: (لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) والحقب ثمانون عاما كما قال ابن عمر وأبي هريرة.

فأين نحن من هذه الزيارات الطيبة والتي قد رغبنا فيها رسول الله(ﷺ)، حتى يكتمل الخير في الأمة بزيارة بعضنا بعضا حيث نحث بعضنا على طاعة الله ومحبته.

قال الأب: أحسنتم جميعا في طرح هذه الفوائد العظيمة، ولنا هنا وقفة مع سورة الكهف، فقد وجهنا النبي (ﷺ)إلى قراءة سورة الكهف في كل يوم

جمعة، عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ عنِ النبيِّ (ﷺ) أنَّه قال:" مَن قرَأَ سورةَ الكَهفِ يومَ الجُمُعةِ أضاءَ له من النورِ ما بَينَ الجُمُعتينِ "(١)وفي رواية:«مَن قَرأ سُورَةَ الكَهْفِ في يَوْمِ الجُمُعَةِ، أضاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ البَيْتِ العَتِيق »(٢) .

وعَنْ أَبِي الدَّرْداءِ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قالَ: «مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ"الكَهْفِ"عُصِمَ مِن فِتْنَةِ الدَّجّالِ»(٣).

وعَنْ أَبِي الدَّرْداءِ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): «مَن قَرَأ العَشْرَ الأواخِرَ مِن سُورَةِ"الكَهْفِ"عُصِمَ مِن فِتْنَةِ الدَّجّالِ»(٤) .

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٩٩)، والبيهقي (٣/ ٢٤٩) (٦٢٠٩). قال الذهبي في (المهذب) (٣/ ١١٨١): وقفه أصح، وقال ابن كثير في (إرشاد الفقيه) (١/ ١٩٩): مرفوع، ورُوي موقوفًا، وصحَّحه الألباني في (صحيح الجامع) (٦٤٧٠)، وقال ابن عثيمين في(الشرح الممتع)(٥/ ٩١): أعلَّ بعضُ العلماء المرفوع بأنَّ الحديث رُوي موقوفًا، ونحن نقول: إذا كان الرافع ثِقةً، فهذه العلَّة غير قادحة، وعلى فرض أنه من قول أبي سعيد، فمِثل هذا لا يُقال بالرأي، فيكون له حُكم الرفع.(موقع الدرر السنية على شبكة النت).

(٢) أخْرَجَه أبو عُبَيْدٍ، وسَعِيدُ بْنُ مَنصُورٍ، والدّارِمِيُّ، وابْنُ الضُّرَيْسِ، والحاكِمُ، والبَيْهَقِيُّ في"شُعَبِ الإيمانِ"، عَنْ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ .

(٣) أخْرَجَه أحْمَدُ، ومُسْلِمٌ، وأبُو داوُدَ، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسائِيُّ، وابْنُ الضُّرَيْسِ، وابْنُ حِبّانَ، والحاكِمُ، وابْنُ مَرْدُويَهْ، والبَيْهَقِيُّ في "سُنَنِهِ"،.

(٤) أخْرَجَه أبو عُبَيْدٍ في "فَضائِلِهِ"، وأحْمَدُ، ومُسْلِمٌ، والنَّسائِيُّ، وابْنُ حِبّانَ.

فسورة الكهف أبرزت هذا المعنى بقوة وجلاء في أكثر من موضع، معنى التسليم لأمر الله والتوكل عليه بعد الأخذ بالأسباب، ولعل هذا يجيب عن السؤال: لماذا نقرأ سورة الكهف كل يوم جمعة؟!.

فمن قرأ سورة الكهف بتدبر ومعرفة لمعاني الآيات ومراميها ومقصودها، لعلم يقينًا كيف يكون هذا النور، فهي سورة تربي المسلم على الإيمان بأقدار الله كلها، خيرها وشرها، وكيف أن الله تعالى تترابط أقداره بطريقة مذهلة يعجز العقل البشري عن إدراكها.

فكيف أن هذه الأقدار، الظاهر ضرها وفق عقل الإنسان، فيها نفع عظيم لليتامى، والضعفاء، والمساكين، والمظلومين، وأنها نفع وخير عظيم.

وقصة أصحاب الكهف قصة جميلة، فهؤلاء شباب آمنوا بربهم وزاد الإيمان في قلوبهم، فأرشدهم المولى عز وجل إلى الإيواء بالكهف، فكانت نجاتهم، لكن يظل السؤال هنا؟.

ماذا سئل أصحاب الكهف ربهم؟ ولماذا؟! .

إنهم سألوا اللهّ «الرُشد» دون أن يسألوه النصر، ولا الظفر، ولا التمكين !{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}(١).

وهذا ما طلبته الجن من ربهم لما سمعوا القرآن أول مرة، فقالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}(٢). وقال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ

---

(١) سورة الكهف – الآية ١٠.

(٢) سورة الجن – الآيتان ١ ، ٢.

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(١).

والرشد هو:

١- إصابة وجه الحقيقة. ٢- هو السداد. ٣- هو السير في الاتجاه الصحيح.

فإذا أرشدك اللهّ فقد أوتيت َخيرًا عظيمًا، و بوركت خطواتك. ولذلك يوصينا اللهّ سبحانه وتعالى أن نردد دائمًا: {وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}(٢).

فبالرشد تختصر المراحل، وتختزل الكثير من المعاناة، وتتعاظم النتائج، حين يكون اللهّ لك «وليًا مرشدًا».

وحين بلغ موسى الرجل الصالح لم يطلب منه إلاّ أمرًا واحدًا وهو:{ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا }(٣).فقط «رُشدًا».

وعندما يهيئ المولى سبحانه وتعالى أسباب الرشد لنا، فإنه قد هيئ لنا أسباب الوصول للنجاح الدنيوي والفلاح الأخروي.

فاللّهمّ هيئ لنا من أمرِنا رشدًا.

فمصاحبة الصالحين ثمارها كثيرة،وفوائدها كبيرة، فليحرص المسلم على مصاحبتهم، والجلوس معهم.

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٨٦.

(٢) سورة الكهف – الآية ٢٤.

(٣)سورة الكهف – الآية ٦٦.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

يندم الإنسان يوم القيامة على ترك صحبة الصالحين، قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً) (١).

وقال تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)(٢).

(هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

رواه مُسْلِمٍ

(وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والمُتَجالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَباذِلِينَ فِيَّ)

رواه مالك في الموطأ.

(إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ ، فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْ عَنْهُ)

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَضَعَّفَهُ .

(الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، يَكُفُّ عَنْهُ ضَيْعَتَهُ ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ) رواه أبو داود

(الإخوان في الله رؤيتهم تزيد الإيمان)

(هم العون على طاعة الله)

---

(١)سورة الفرقان – الآيات من ٢٧ : ٢٩.

(٢)سورة الزخرف – الآية ٦٧.

(زينة في الرخاء وعدة في البلاء).

« لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ »

رواه أبو داود والترمذي.

«لا تَصْحَبْ مَنْ لا يُنْهِضُكَ حالُهُ وَلا يَدُلُّكَ عَلَى اللهِ مَقالُهُ»

ابن عطاء الله السكندري.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الثانية عشرة

باب الحب في الله

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأوا بحلقة التجويد وقراءة العشر سور من القرآن الكريم .

وبعد الانتهاء من التجويد حمل كتاب مشكاة المصابيح، قال للأم: اقرئي لنا من باب الحب في الله ومن الله، فقرأت الباب كله والحمد لله والمنَّة_ وسأذكر لكم بعض الأحاديث التي قرأتها وليس كلها:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ):" أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ".رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَال:" إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ(رضي الله عنه)قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ:" قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ". رَوَاهُ مَالِكٌ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُمُدًا مِنْ يَاقُوتٍ(١)عَلَيْهَا غُرَفٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ(٢) لَهَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ" قَالَ: قُلْنَا فَمَنْ يَسْكُنُهَا يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ:" الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهَّ، الْمُتَجَالِسُونَ فِي اللهَّ ، الْمُتَلَاقُونَ فِي اللهَّ " رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)لِأَبِي ذَرٍّ : يَا أَبَا ذَرٍّ ! أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟" قَالَ: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: " الْمُوَالَاةُ فِي اللهَّ ، وَالْحُبُّ فِي اللهَّ ، وَالْبُغْضُ فِي اللهَّ " . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ ".

قال الابن محمد: جزاك الله خيرا يا أماه لقد شوقتينا للزيارات، فإن فضائلها عظيمة.

قالت الأم: وجزاك الله خيرا ابني الغالي ووفقك الله لكل خير.

ثم قال الأب: والآن كما وعدتكم في حلقة التعليم السابقة أن أتكلم معكم في آداب الزيارة:

١. استحضار النية الصالحة لكل زيارة سواء كانت زيارة دعوية أو زيارة مريض أو زيارة أخ في الله أو زيارة الصلحاء أو زيارة العلماء أو زيارة القدماء في الدعوة(والنية الرئيسية لكل زيارة أن ننوي رضاء الله سبحانه وتعالى، أما باقي الزيارات فلكل زيارة نية ثانية، فمثلا الزيارة الدعوية ننوي هداية المدعو،

---

(١)(ياقوت) الياقوت : حجر كريم من أجود الأنواع وأكثرها صلابة بعد الماس ، خاصة ذو اللون الأحمر..

(٢)(زبرجد) الزبرجد : الزمرد وهو حجر كريم.

وزيارة المريض بنية تطيب خاطره والدعاء له وتصبيره على المرض، وزيارة الصلحاء بنية الاستفادة من صلاحهم، والعلماء بنية الاستفادة من علمهم، وزيارة الأخوة في الله لتزداد رابطة المحبة في الله.

٢. والنية يترتب عليها قبول العمل ورده ، انظر لحديث عمر رضي الله عنهما الذي رفعه إلى النبي (ﷺ)الذي قال : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. . . الحديث " [متفق عليه] (١).

٣. عدم الإكثار من الزيارة : فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله(ﷺ):" زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا"رواه الطبراني وصححه الألباني (٢).

٤. **وقالوا:** قلّة التّرداد.. تُثبّت الحُبّ بالأوتادْ!.

٥. **وقالوا:** خليك بعيد حبك يزيد.

---

(١)رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَة بن بردذبه الْبُخَارِيُّ الجُعْفِيُّ [رقم:١]، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بنُ الْحَجَّاج بن مُسْلِم الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ [رقم: ١٩٠٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي "صَحِيحَيْهِمَا" اللذِينِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

(٢) فتوى الشيخ الألباني، قال للسائل: تفضل.السائل: حديث: (زر غباً تزدد حباً). السائل: نعم. الشيخ: ما ضبطه وحكمه؟.الشيخ: ما ضبطه؟.السائل: نعم غَباً أم غِباً.الشيخ: غِباً السائل: غِبا.الشيخ : إيه.السائل : ما حكمه ؟.الشيخ : كيف ما حكمه يعني؟السائل: صحيح ضعيف.الشيخ: لا، صحيح بمجموع طرقه. السائل: نعم.(موقع أهل الحديث والأثر _ على شبكة النت سمعته بصوته _الشيخ محمد ناصر الالباني / فتاوى عبر الهاتف والسيارة-١٥٦)

٦. **وقالوا:** من أكثر الترداد أضناه الملل.

وأنا أرى أن مثل هذه الأمثلة تصح فيمن يزورون بدون نية، فالزيارة بدون نية توجب الملل والضجر ولا يكون لها إلا ثمار التباعد والكره من المزور.. أما زيارة الأهل والأقارب وصلة الرحم والزيارات الدعوية فتوجب المحبة.

ومن الطرائف في هذا الشأن:

تردَّد ثقيلٌ على ظريفٍ وأطال تردادَه عليه حتى سئم منه، فقال له الثقيل: «من تراه أشعر الشعراء؟». فأجاب الظريف: «هو ابن الورديِّ بقوله:

غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ *** أَكْثَرَ التَّرْدَادَ أَضْنَاهُ المَلَلْ

فقال الثقيل: «أخطأتَ، فإنَّ النجَّاريَّ أشعرُ منه بقوله:

إِذَا حَقَّقْتَ مِنْ خِلٍّ وِدَادًا **** فَزُرْهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مَلَالَا

وَكُنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ *** وَلَا تَكُ فِي زِيَارَتِهِ هِلَالَا»

فأجاب الظريف: إنَّ الحريريَّ أشعر منه بقوله:

لَا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ *** غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ

وإن لم تصدِّقْني فقد وهبتُك الدارَ بما فيها»، وخرج وهو يقول:

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ *** فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ(١).

٧. الابتعاد عن الأوقات المنهي عنها في الزيارة: فعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِى عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) إِلاَّ يَأْتِى فِيهِ بَيْتَ أَبِى بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ

---

(١) العقد الفريد» لابن عبد ربِّه (١/ ٣٩).

النَّهَارِ ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إِلاَّ وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا ، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ مَا جَاءَنَا النَّبِىُّ (ﷺ) فِى هَذِهِ السَّاعَةِ ، إِلاَّ لأَمْرٍ حَدَثَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِى بَكْرٍ « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَاىَ . يَعْنِى عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ . قَالَ : " أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِى فِى الْخُرُوجِ " . قَالَ الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : " الصُّحْبَةَ " . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِى نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا . قَالَ : " قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ " [رواه البخاري] .

الشاهد من الحديث: هو قدوم النبي(ﷺ)في وقت ليس بوقت زيارة، وهو وقت القيلولة، وتعجب أبي بكر من زيارة النبي في هذه الساعة دلالة أن هذا الوقت ليس بوقت زيارة عندهم .

٨. مراعاة أوقات طلبة العلم: على الإنسان أن يتحين الأوقات المناسبة للزيارة ، ويكون ذلك بعد الاتصال وأخذ موعد للزيارة.

٩. أن يغض بصرة عن محارم البيت .

١٠. أن يجلس الضيف حيث يأذن له صاحب البيت .

١١. أن لا يطلق لنفسه العنان في أثاث البيت ولا يسأل من أين اشتريته .

١٢. أن لا يرفع صوته في بيت المزور.

١٣. أن لا يتجسس أو يتسمع على أهل البيت .

١٤. أن لا يؤم أهل البيت في بيتهم : فقد ورد حديث عند الإمام أحمد والترمذي وأبو داود، عَنْ أَبِى عَطِيَّةَ قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ يَأْتِينَا فِي مُصَلاَّنَا يَتَحَدَّثُ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ يَوْمًا فَقُلْنَا لَهُ تَقَدَّمْ ؟ فَقَالَ : لِيَتَقَدَّمْ بَعْضُكُمْ، حَتَّى

أُحَدِّثُكُمْ لِمَ لاَ أَتَقَدَّمُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ : " مَنْ زَارَ قَوْمًا فَلاَ يَؤُمَّهُمْ ، وَلْيَؤُمَّهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ " قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَغَيْرِهِمْ، قَالُوا: صَاحِبُ الْمَنْزِلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ مِنَ الزَّائِرِ .

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : إِذَا أَذِنَ لَهُ فَلاَ بَأْسَ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِ ، وَقَالَ إِسْحَاقُ بِحَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ وَشَدَّدَ فِي أَنْ لاَ يُصَلِّيَ أَحَدٌ بِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ وَإِنْ أَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ. قَالَ وَكَذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ لاَ يُصَلِّي بِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا زَارَهُمْ يَقُولُ لِيُصَلِّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ] .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ:وَقَوْلُ النَّبِيِّ (ﷺ):"وَلَا يُؤَمُّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ " فَإِذَا أَذِنَ فَأَرْجُو أَنَّ الْإِذْنَ فِي الْكُلِّ وَلَمْ يَرَ بِهِ بَأْسًا إِذَا أَذِنَ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ به .

وقال الإمام النووي(رحمه الله): أَنَّ صَاحِب الْبَيْت وَالْمَجْلِس وَإِمَام الْمَسْجِد أَحَقّ مِنْ غَيْره، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْر أَفْقَه وَأَقْرَأ وَأَوْرَع وَأَفْضَل مِنْهُ ، وَصَاحِب الْمَكَان أَحَقّ فَإِنْ شَاءَ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ شَاءَ قَدَّمَ مَنْ يُرِيده، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي يُقَدِّمهُ مَفْضُولًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي الْحَاضِرِينَ؛ لِأَنَّهُ سُلْطَانه فَيَتَصَرَّف فِيهِ كَيْف شَاءَ " (١).

---

(١) في شرحه على مسلم ٢/ ٤٧٧.

١٥. ألا ينصرف إلا بعد استئذان أهل البيت: لحديث: " إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ، فَلا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ " (١) .

قال الشيخ / الألباني رحمه الله تعالى: وفي الحديث تنبيه على أدب رفيع وهو أن الزائر لا ينبغي أن يقوم إلا بعد أن يستأذن المزور، وقد أخل بهذا التوجيه النبوي الكريم كثير من الناس في بعض البلاد العربية، فتجدهم يخرجون من المجلس دون استئذان، وليس هذا فقط، بل وبدون سلام أيضاً ! وهذه مخالفة أخرى لأدب إسلامي آخر، أفاده الحديث الآتي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)قَالَ: " إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ، فَلْيُسَلِّمْ ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ ، ثُمَّ إِذَا قَامَ ، فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ " . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ . (٢).

فإذا أراد الخروج من البيت شكر أهله على حسن الضيافة، ويدعو لهم بالخير، كأن يقول: جزاكم الله خيراً على حسن الاستضافة، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ:" مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ، وَمَنْ اسْتَجَارَكُمْ فَأَجِيرُوهُ "(٣) .

---

(١)أخرجه الديلمي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٨٣ ، وأورده في السلسلة الصحيحة وصححه ١/ ٣٥٤].

(٢) انظر السلسلة الصحيحة ١/ ١٨١.

(٣) رواه أحمد وغيره، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري ، وصححه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع برقم ٥٩٣٧.

١٦.الخروج مع الزائر إلى باب الدار : فقد زار أبو عبيد القاسم ابن سلام، أحمد بن حنبل، قال أبو عبيد: فلما أردت القيام قام معي ، قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله ، فقال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه(١) .

ومن أراد الاستزادة في آداب الزيارات فعليه بآداب الزيارت في كتاب التاج الجامع للأصول في جهد الرسول بقلم المؤلف.

فقال الجميع: جزاك الله كل خير فقد استفدنا من هذه الآداب التي كنا نجهل كثيرا منها.

قال الأب: وجزاكم الله كل خير.

قال الابن محمد: تسمح لي يا أبي أن أذكر لكم حديثا في فضل الحب في الله تعالى؟.

قال الأب: ابني الغالي تفضل.

قال الابن محمد: عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):" إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا

(١)الآداب الشرعية ٣/ ٢٢٧ ..

حَزِنَ النَّاسُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"(١) .

قالت الأم: أرجو منك يا سيدي أن نتذاكر الصفات الست في الحلقة القادمة إن شاء الله فقد طالت حلقة اليوم قليلا.

قال الأب: إن شاء الله.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) سنن أبي داود » كتاب الإجارة » باب في الرهن(٣٥٢٧).

الحلقة الثالثة عشرة

كِتَابُ الْإِيمَانِ

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بحلقة القرآن والتجويد.

ثم حمل كتاب مشكاة المصابيح وقام بقراءة كِتَابُ الْإِيمَانِ، الفصل الأول _ ونذكر بعض الأحاديث التي تم قراءتها:

عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ(ﷺ)قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله(ﷺ) ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيّ(ﷺ) فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرنِي عَنِ الإسلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله(ﷺ): "الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً" قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ .قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإحْسَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: "مَا المَسْئُولُ عَنْهَا

بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ". ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ(ﷺ):"الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ))متفق عليه.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ):" لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .متفق عليه.

قال الابن محمد: أبي الغالي! ما علامة الإيمان؟.

قال الأب: يا بني! هناك علامات الإيمان كثيرة نذكر منها:

١ – تقديم ما يحبه الله ورسوله على ما تحبه نفسه وهواه.

٢– بذل النفس والمال والغالي والنفيس من أجل الله تعالى.

٣– حب من يحب الله ورسوله، وعداوة من يبغض الله ورسوله ويكفر بهما.

٤ – الرضا بالقضاء والقدر وعدم وجود الضيق أو الحرج عند نزول البلاء.

٥ – المسارعة والمسابقة إلى فعل الخيرات والكف عن المعاصي والمنكرات.

٦– الطمأنينة والانشراح عند ذكر الله تعالى، قال الله تعالى:{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِّ أَلَا بِذِكْرِ اللهِّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (١)، وقال تعالى:{إِنَّمَا

---

(١) سورة الرعد _ الآية ٢٨.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ*الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ*أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (١).

٧- اليقين في الله والاعتصام به، قال الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (٢).

٨- السرور بفعل الطاعة والضيق عند فعل المعصية، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ): مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: " إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ ؛ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْإِثْمُ ؟ قَالَ: " إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ " رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣).

قالت الابنة مريم: أبي الغالي! نريد بعض فوائد وثمرات الإيمان في حياة المؤمن.

قال الأب: يا بنيتي ! إن فوائد وثمرات القرآن كثيرة في القرآن والسنة المطهرة، فقد قال الله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا }(٤).

نذكر منها:

---

(١) سورة الأنفال _ الآيات من ٢ : ٤ .

(٢) سورة الحجرات _ الآية ١٥ .

(٣) مشكاة المصابيح _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة (٤٥).

(٤) سورة إبراهيم _ الآيتان ٢٤ ، ٢٥.

١- الحياة الطيبة في الدارين، قال جل وعز{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }(١) .

حياة بلا إيمان موت محتوم... مقلة بلا إيمان عمياء.

لسان بلا إيمان أخرس.. يد بلا إيمان شلاء.

٢- الإيمان الصادق يُضفي الطمأنينة والراحة النفسية والانشراح للصدر، وهذا مصداق قوله تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}(٢) .

٣- الفوز برضا الله وبالجنة التي أعدها لمن آمن وصدَّق به، قال جل وعز{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ} (٣) .

٤- دفاع الله عن أوليائه وحزبه وأحبابه المؤمنين{ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا }(٤)، كما دافع عن نبيه محمد (ﷺ) في حادثة هِجرته، ودفاعه جل وعز عن الخليل إبراهيم (عليه السلام) حين أُلقي في النَّار.

٥- محبة الله للمؤمنين، قال تعالى { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}(٥).

٦- ويجعل محبتهم في قلوب الخلق:قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}(١) .

---

(١) سورة النحل _ الآية ٩٧.

(٢) سورة يونس _ الآية ٦٢.

(٣) سورة التوبة _ الآية ٧٢.

(٤) سورة الحج _ الآية ٣٨.

(٥) سورة المائدة _ الآية ٥٤.

٧- البشارة بالجنة: يقول جل وعز{ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }(٢).

٨- الإيمان سبب للثبات: يقول جل وعز{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }(٣)، ولا أدل على هذا الثبات من تضحيات سَجلها التاريخ للأنبياء والصحابة والتابعين، ومن سَار على نَهجِهم.

٩- الانتفاع بالموعظة؛ يقول جل وعز{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }(٤)، فلا ينتفع بالذكرى أو الموعظة إلا أهل الإيمان.

١٠- الإيمان يبعث الرضا في كل الأحوال: فعَنْ أَبِي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤمنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» رواه مسلم.

١١- الإيمان يعصم المؤمن من الوقوع في الكَبائِر؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، قَالَ:" لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ

---

(١) سورة مريم _ الآية ٩٦.

(٢) سورة البقرة _ الآية ٢٥.

(٣) سورة البقرة _ الآية ١٧٣.

(٤) سورة الذاريات _ الآية ٥٥.

يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ " (١).

فهذه ثمرات جليلة عظيمة للإيمان، فأين الباحثون عن السعادة وراحة البال والطمأنينة؟!.

قالت الأم: سيدي الفاضل نريد أن تسمعنا اليوم دعوة الإيمان واليقين.

قال الأب نعم سيدتي الفاضلة: إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله جل جلاله، والله عنده خزائن كل شيء وهو خالق الأشياء ومصرف الأحوال، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله جل جلاله (فالمال وأهل المال لا يملكون ذرة فوز أو فلاح ففوزهم وفلاحهم هو فقط بيد الله، قارون كان عنده المال ولكنه ما امتثل أمر الله فالله جعل خسارته بسبب هذا المال في الدنيا والآخرة، وكذلك فرعون مثال الملك.. وقوم عاد مثال القوة..وقوم سبأ مثال الزراعة.. وقوم شعيب مثال التجارة.. فكل منهم نال الخسارة بها معه من أسباب.

---

(١) البخاري في صحيحه باب إثم الزناة ~ حديث رقم (٦٤٥٦)،وباب السارق حين يسرق ~ حديث رقم (٦٤٢٩)، وباب وقول الله تعالى: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} ~ حديث رقم (٥٢٨٠)، وباب النهبى بغير إذن صاحبه ~ حديث رقم (٢٣٧٠). ومسلم في صحيحه باب بيان أن الدين النصيحة ~ حديث رقم (١١٥)،(١١٦)، أبو داود في سننه باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ~ حديث رقم (٤١٣٢)، النسائي في الصغرى باب ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر ~ حديث رقم(٥٦١٠)، وباب ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر ~ حديث رقم (٥٦١١) .

والله عنده خزائن كل شيء:(العزة والذلة والفقر والغنى والمرض والصحة ...) من خزائن الله سبحانه وتعالى.

وكل شيء بالنسبة للذي في خزائن الله لا شيء، فالذهب الذي في الدنيا بالنسبة للذهب الذي في الجنة كنقطة في بحر، والذهب الذي في الدنيا والذي في الجنة والذي سيخلقه الله تبارك وتعالى بالنسبة للذي في خزائن الله لا شيء.

وهو خالق الأشياء والأحوال(الله تبارك وتعالى خلق السموات وخلق الأرضين وخلق الشجر والحجر والإنس والجن من غير مثال سابق، خلقهم من العدم، كان الله وما كان شيء، الله أخرج لقوم صالح ناقة عشراء من صخرة صماء وخلق آدم من تراب وعيسى من أم بدون أب.

وكل شيء خلقه الله عز وجل جعل له صفة وحال، فصفة الشيء ليست من ذاته بل صفته من الله تعالى، فجميع الأشياء كأوعية فارغة في الحقيقة وضع الله فيها من الضرر والنفع ما شاء ويغيرها متى يشاء سبحانه.

فالإنسان جسد وروح فإذا خرجت الروح من الإنسان فالعين موجودة ولكن لا ترى واليد موجودة ولكن لا تبطش واللسان موجود ولكن لا يتكلم! ما السبب؟ السبب خروج الروح.

وما هي الروح؟ قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (١) فحقيقة النظر هو بتأثير الروح فالعين عبارة عن مدخل للنظر وهكذا اللسان يتكلم بتأثير الروح فيه وهو عبارة عن مخرج

---

(١) سورة الإسراء _ الآية ٨٥.

للكلام، فالله تعالى لا يحتاج للسان حتى الإنسان يتكلم فيوم القيامة يختم على أفواه الكفار وينطق جلودهم وأيديهم وأرجلهم(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (١).

وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ " .والجذع الذي صاح لفراقه في المسجد.

وكذلك المال ليس في ذاته قضاء الحوائج فقضاؤها صفة أودعت فيه من الله.

والدواء ليس في ذاته الشفاء فالشفاء صفة أودعها الله في الدواء فالدواء حتى يشفي فهو محتاج إلى الله والله حتى يشفي فهو غير محتاج إلى الدواء فالله يشفي بالدواء وبغير الدواء.

والطعام ليس في ذاته الشبع فالله أودع فيه صفة الإشباع فالله غير محتاج إلى الطعام في الإشباع وإلا من كان يطعم أهل الكهف في كهفهم، ومن أطعم يونس في بطن الحوت؟.

والسلاح ليس في ذاته النصر فالله قادر أن ينصر بالسلاح وبدون السلاح كما نصر أهل بدر بدون السلاح.

يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج إلى أحد من خلقه وهو الصمد .. الله تعالى خلق السموات و الأرضين والعرش بقدرته ولا يحتاج إلى أحد من خلقه

---

(١) سورة يس _ الآية ٦٥ .

فحملت العرش محتاجون أن يحملوا العرش إلى الله، فالله تبارك وتعالى أعانهم بقوته فهو غني بذاته وصفاته عن مخلوقاته.

خلق ملك الموت ليقبض أرواح الخلق وملك الموت محتاج إلى الله في قبض أرواح الخلق والله ليس محتاج لملك الموت لقبض أرواح الخلق.

والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات في قضاء حوائجها.

وهو الذي جعل فلاحنا وفلاح جميع البشرية في الدنيا والآخرة فقط بامتثال أوامر الله على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكيف يترسخ هذا اليقين في قلوبنا وقلوب الناس جميعاً، لابد من الجهد على نهج الرسول(ﷺ)، وهذا الجهد يحتاج إلى تفريغ الأوقات.مستعدين.

قالوا في نَفَسْ واحد: مستعدين.

قال الابن معاذ: أبي الكريم! أروي لنا قصة نختم بها هذه الحلقة.

قال الأب: نعم يا قرة عيني! كان بعض الطلاب العرب من جنسيات مختلفة مبتعثين للدراسة في إحدى الدول الأوروبية ، وفي إحدى المحاضرات، دخل عليهم عميد الكلية وأخبرهم بأنه سيزورهم أحد القساوسة الكبار.. دخل القسيس وبرفقته عدد من الشخصيات انتظروا حتى انتهت محاضرة الدكتور ثم توجه القس إلى منصة الدكتور المحاضر.. فتكلم عن العلم .. وختم كلامه بقوله : إني أريد أن أسأل الطلاب المسلمين بعض الأسئلة.

طرح القس أول أسئلته قائلا : جاء في القرآن أن النبي محمدا أسري به في ليلة واحدة من مكة إلى فلسطين وعرج به من الأرض إلى السماء السابعة

وعاد في ليلته.. كيف يحدث هذا وأنتم تعلمون بعد المسافات بين الأرض والسماء وبين كل سماء وسماء.. أجيبوني؟.

فقال أحد الطلاب من جنسية عربية: أيها القس قارئ الأخبار في إذاعة لندن قبل أن يكمل الكلمة الواحدة من الخبر وهو في وسط لندن يتلقاها - في جزء من الثانية - مستمع آخر في أقصى الشرق أو الغرب ، فإذا كانت هذه قدرات (الراديو) وهو من صنع مخلوق آدمي .. فكيف بقدرة الخالق جل وعلا الذي هو على كل شيء قدير؟ .

فقال القس: أحسنت وهذا هو الذي بخاطري أنا أيضا، فاكتظت القاعة بالتصفيق للطالب لأكثر من عشر دقائق متواصلة .

ثم قال القس: عندي سؤال آخر .. قال الطلاب هاته.

فقال القس: إذا سقطت طائرة في المحيط الهادي وبها مئات الركاب فماتوا جميعا.. ووقع حادث قطار في نفس الثانية وبه عشرات الركاب في إحدى المدن الصينية.. كيف يقبض ملك الموت أرواحهم في نفس الجزء من الثانية مع تباعد المسافات وكثرة عدد الوفيات في ذات اللحظة ؟ أجيبوني؟.

فقال الطالب: أيها القس هذه المدينة التي نحن وأنتم فيها الآن.. كم فيها من مصباح كهربائي يضيء الآن ؟

قال القس: فيها مئات الآلاف بل ربما ملايين المصابيح المضاءة.

فقال الطالب : أليس مفتاح واحد صنعه مخلوق إدمي يطفئها في جزء من الثانية؟

فقال القس: بلى.فقال الطالب : فكيف بملك يرسله الخالق -جل جلاله- لقبض أرواح من حان أجلهم من المخلوقين !! ثم تلى الطالب قول الله تعالى : { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ }(١).فدوت القاعة بالتصفيق مرة ثانية.. ونهض الطلاب من أماكنهم وحملوا زميلهم على أكتافهم وأخذوا يدورون به بين أروقة الكلية، وأقاموا له حفل عشاء كبير تكريما له وإعجابا بسرعة بديهته.

انسحب القس من القاعة ولم يكمل أسئلته.

هكذا يا أحبابي أنتم على كنز عظيم هو الإسلام فلا تضيعنه بل طبقوه على أنفسكم واسعوا لنشره في العالم كله.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) سورة الأعراف_ الآية ٣٤.

الحلقة الرابعة عشرة

كِتَابُ الْإِيمَانِ

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بحلقة القرآن والتجويد.

ثم حمل كتاب مشكاة المصابيح وقام بقراءة من كِتَابُ الْإِيمَانِ، ونذكر بعض الأحاديث التي تم قراءتها:عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : أَوْصَانِي رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ ، قَالَ: " لَا تُشْرِكْ بِاللهَّ شَيْئًا، وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتُ، وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهَّ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخْطُ اللهَّ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ، أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا وَأَخِفْهُمْ فِي اللهَّ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ (١).

وعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ:" لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ

---

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الكبائر وعلامات النفاق صـ ١/ ٢٥.

اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... حَتَّى بَلَغَ: يَعْلَمُونَ }(١)"، ثُمَّ قَالَ:" أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟" قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟" قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ:" كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ:" ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(٢).

رأيتم يا أبنائي هذا الشاب العجيب الصحابي الجليل(معاذ ابن جبل) كم اهتمامه بمقصود حياته، وانشغاله بمآله، وشِدَّةِ اهْتِمَامِهِ بمعرفة الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ التي تدخله الجنة وتبعده من النار.. وبهذه الهمة في طلب العلم نال العلا وحاذ الشرف في الدنيا والآخرة، فقد قال (ﷺ):"مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَتْوَةٍ) (رواه الطبراني، وصححه الألباني).

---

(١) سورة السجدة_ الآيتان ١٦ ، ١٧ .

(٢) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ الفصل الثاني صـ ١/ ١٦.

وهَذَا الْحَدِيثُ خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ رِوَايَةِ مَعْمَرٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ(ابن رجب في شرح جامع العلوم والحكم).

قالت الابنة مريم: وما الرتوة يا أبي؟.

قال الأب: أي: برُتبةٍ؛ لعِلمِه وفقِهِ بعثَه النبيُّ (ﷺ) إلى اليمنِ داعيا إلى الإسلامِ وقاضيًا ومعلِّمًا، وكان مِن أفضلِ شبابِ الأنصارِ حِلمًا وسخاءً رضِيَ اللهُ عنه.

ووصفه النبي(وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) (١) أي أعلَمُ الصحابة بالحَلالِ والحَرامِ ، أي: أعلَمُهم بأحكامِ اللهِ؛ بما هو حَلالٌ وبما هو حَرامٌ .. وكان من المفتين على عهد النبي وأبو بكر وعمر.

وفي الصحيحين عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ(ﷺ) قال: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ الْأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ؛ قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي(٢) وفيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو(ﷺ)قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ):" خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ " (٣).

قالت الأم: وَهل نأخذ من هذا الحديث الدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجُنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٤).

---

(١) رواه أحمد : ٣ / ٢٨١ ، والترمذي (٣٧٩٠ ، ٣٧٩١) وصححه، وابن ماجة (١٥٤).

(٢) البخاري (٣٨١٠) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

(٣) البخاري (٣٧٥٨ ، ٣٧٦٠ ، ٣٨٠٦) ، ومسلم (٢٤٦٤) .

(٤) سورة الزُّخْرُفِ: الآية ٧٢.

قال الابن معاذ: فما المراد من قَوْلِهِ (ﷺ): «لَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ».

قال الأب: أحسنت يا ولدي! فَالْمُرَادُ – وَاللهُ أَعْلَمُ – أَنَّ الْعَمَلَ بِنَفْسِهِ لَا يَسْتَحِقُّ بِهِ أَحَدٌ الْجَنَّةَ لَوْلَا أَنَّ اللهَ جَعَلَهُ – بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ – سَبَبًا لِذَلِكَ وَالْعَمَلُ بِنَفْسِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ عَلَى عَبْدِهِ، فَالْجَنَّةُ وَأَسْبَابُهَا كُلٌّ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.

ثم قال الأب: انظروا يا أحبابي كم نحن الآن مشغولون بتفاهات، ونسينا الأمر العظيم المهم لنا في دنيانا وأخرانا: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ» وَذَلِكَ لِأَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ أَمْرٌ عَظِيمٌ جِدًّا، وَلِأَجْلِهِ أَنْزَلَ اللهُ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، «وَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ)لِرَجُلٍ: كَيْفَ تَقُولُ إِذَا صَلَّيْتَ؟ قَالَ: أَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَلَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، يُشِيرُ إِلَى كَثْرَةِ دُعَائِهِمَا وَاجْتِهَادِهِمَا فِي الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ وَفِي رِوَايَةٍ: هَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي وَدَنْدَنَةُ مُعَاذٍ إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ،وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ» (١).

ثم قال الأب: انظروا يا أبنائي! كيف بدأ يبين لنا النبي ما يدخلنا الجنة ويبعدنا من النار، فقال:" لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ" .

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ت: الأرنؤوط [الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ].

عبادة الله وعدم الشرك به، فالله خلق وحده وليس له شريك ورزق وليس له شريك، فينبغي أن يعبد وحده وليس له شريك.

الرجل إذا وجد امرأته أخطأت أو أهملت في أي شأن من شؤون البيت بالطبع يسامحها، لكن لو دخل يوما ووجد في بيته وعلى سريره غيره فهو لا يسامحها، بل يطلقها، لأنه لا يحب أن يكون له شريك، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، ولذا قال لقمان لابنه: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (١).وفي حديث معاذ السابق ما يدل على خطورة الشرك:" لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتُ " .

ولذا وجدنا في الكتاب والسنة المشرفة من اختار القتل ونيل الشهادة لما عرض عليهم أهل الشرك أن يشركوا بالله، فرفضوا وأصروا على إيمانهم، فقتلوهم، كأصحاب الأخدود، وغيرهم، ففي الحديث: عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ" كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (٢)(١).

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٢) صحيح البخاري» كتاب المناقب» باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤١٦).

قالت الأم: لخطورة الشرك نرجو منك سيدي الفاضل أن تبين لنا أنواعه حتى لا نقع فيه ونسأل الله العصمة والسداد.

قال الأب: الشرك نوعان :

١ – الشرك الحقيقي: هو عبادة الأصنام.

٢ – الشرك المجازي: هو الاعتماد علي غير الله .. وهذا الشرك لا يُخرج عن كلية الإيمان، ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله.. وإذا تقابل أهل الشرك الحقيقي، مع أهل الشرك المجازي؛ فيغلب أهل الشرك الحقيقي.

ولذا حقيقة الإيمان: أن نتيقن علي الله ﷻ ولا نعتمد إلا عليه، ولا نثق إلا فيه، ولا نرجو غيره، ولا نخاف إلا منه، ولا نحب سواه، ولا نستعين بغيره، ولا نسجد إلا له، ولا نعبد غيره، ولا ننذر ولا نعتصم إلا به، ولا نكبر غيره ، والله (ﷻ) أمر نبيه (ﷺ) قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (٢) فقدم لفظ ربك على التكبير، وهذا يُفيد الحصر، أي لا تكبر غير ربك (٣).

قالت الابنة مريم: أبي الغالي! إذن نحتاج توضيح الأسباب وكيف الوقوع فيها والنجاة منها.

---

(١) (متوسد) توسد: اتخذ الرداء أو غيره تحت رأسه وسادة ومخدة.(بردة) البُرْدُ والبُرْدة: الشَّمْلَةُ المخطَّطة، وقيل كِساء أسود مُرَبَّع فيه صورٌ يلتحف بها.(تستنصر) الاستنصار: طلب النصرة.

(٢) سورة المدثر : الآيات ١ ، ٢ ، ٣.

(٣) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري صـ بقلم المؤلف.

قال الأب: الأخذ بالأسباب أمر مطلوب وشرعي، أما اليقين على الأسباب أمر ممنوع وغير شرعي ويوقع صاحبه في الشرك المجازي.

معادله صعبة الأسباب من حيث النفع والضر بيدالله وحده فالولد قد يكون سبب منفعه وقد يكون مشغلة ومبخلة ومجبنة، والمال قد يكون سبب سعادة، وقد يكون سبب هلاك.. وهكذا.

إذن يجب أن نخرج من قلوبنا اليقين على الأسباب ونجعل يقيننا على رب الأسباب وحده ليس لنا غيره ونعيش فى خيره وحده لاشريك له ولاإله غيره ولارب سواه.

وَقَوْلُهُ(ﷺ): «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ. هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَفَّ اللِّسَانِ وَضَبْطَهُ وَحَبْسَهُ هُوَ أَصْلُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، فَقَدْ مَلَكَ أَمْرَهُ وَأَحْكَمَهُ وَضَبَطَهُ.

انظروا يا أبنائي: إلى قوله لمعاذ بن جبل الذي قد صرح له بحبه أثناء وصيته له:عن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ الله (ﷺ)أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: " يَا مُعَاذُ، وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ" فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، وَأَنَا أُحِبُّكَ. قَالَ: " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"(١).

---

(١) مسند الإمام أحمد » مسند الأنصار رضي الله عنهم » حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (٢١٦١٤).

قال له زاجرًا:" ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» هكذا تكون الشدة على من تحبهم رغبة منك في إفادتهم وحرصك عليهم، كما يفعل الآباء مع الأبناء، فيظن الأبناء أن الآباء يقسون عليهم، ولكن لا يعلمون كم حرص آبائهم وشفقتهم عليهم إلا بعد أن يكبرون ويصلون إلى سنهم، في ذلك الوقت يعرف معنى الأبوة وحنانها.

ولذا في وصيته(ﷺ)لمعاذ قال:" أَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ "

أبنائي وأحبابي! أريد أن أنوه أن النبي(ﷺ) بعد أن حذر من الوقوع في الشرك والأمر بالتمسك بدعائم التوحيد، أمر بالصلاة (وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) وشدد وحذر من من ترك الصلاة، التي هي عموده (وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ).

فما بالكم يا أبنائي ممن عنده بيت أو خيمة ثم قام بخلع عمودها؟.

وما بالكم بمن ترك صلته بربه كيف يكون حاله في دنياه وأخراه، كيف يقضي حوائجه ويحل مشاكله، وهو ضعيف مسكين لا يستطيع أن يملك لنفسه نفع وأن يدفع عنها الضر؟.

وبعد أن ركز على نقطة الصلاة، حثا بها لا يقل عن أهميتها (وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ).

وفي وصيته لمعاذ حذر من عدة أمور"...، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسَ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالْمُعْصِيَةِ حَلَّ سَخْطُ اللهِ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ،.." .

وهنا اذكر لكم قصة بمناسبة التحذير من المعصية:(وَإِيَّاكَ وَالْمُعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالْمُعْصِيَةِ حَلَّ سَخْطُ اللهِ) كان أحد أهل الدعوة من مصر يتجول مع شيخ باكستاني فمروا على بعض الشباب يلهون غارقين في المعاصي.

فقال الداعي: يا شيخ! ما السبيل لإنقاذ هؤلاء الشباب الغارقين في بحر الشهوات؟.

فقال له الشيخ: يا بُنَي! عندما يرىَ الطفل صورة القمر في الماء يظن أنه القمر حقاً فَيَرْمي بنفسه في الماء ليأخذ القمر، فهناك ثلاث وسائل لإنقاذه:

أولًا: نُخْرِجْهُ من الماء باللِّين واللُّطف

ثانيًا: نُخْرِجِ الماء من جَوْفِهِ بحكْمَة

ثالثًا: نبين لهذا الطفل أن القمر ليس في الماء بل في السماء.

ثم قال: يا بُني ! الشباب توهموا أن السعادة في بحر الشهوات فكيف نخرجهم من هذا البحر ؟.

أولًا: نخرجهم من هذه الشهوات بكلام لطيف طيب ومعاملة ليِّنة.

ثانيًا: نخرج الشهوات من قلوبهم بحكمة(التخلية قبل التحلية).

ثالثًا: نبين لهؤلاء الشباب أن السعادة ليست مع الشهوات بل مع رب الأرض والسماوات.أ.هـ.

وأنا أقول: أن كثرة المعاصي وَبُعْدَ الشباب بسبب تقصير الدعاة إلى الله في دعوتهم.

وصيتي يا أبنائي: استغفر ربكم بنية التوبة والرجوع إلى الله، فالأمة اليوم تستغفر ولكنها لا تتوب، وزيدوا في أعمالك فمن لم يكن في زيادة فهو في نقص، ولا تشغلوا عقولكم وقلوبكم بما لا يعود عليكم بالفائدة من التليفزيون ومتابعة الاخبار ووسائل التواصل وغيرها، وقللوا من المساحة المعرضة للغفلة في حياتك ومن الكلام من غير ذكر الله ، وشاوروا في الأعمال الجماعية واستعينوا بالاستيعاب والحلم وكظم الغيظ والعفو.

واطلبوا العون من الله فهو خير معين.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الخامسة عشرة

كِتَابُ الْإِيمَانِ

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأبحلقة القرآن والتجويد.

ثم حمل كتاب مشكاة المصابيح وقام بقراءة كِتَابُ الْإِيمَانِ، باب الإيمان بالقدر _ ونذكر شيئا منها:

الحديث الأول: عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ الله (ﷺ): بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ : "إِنَّ اللهَ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ". وَفِي رِوَايَةٍ: "النَّارُ ، لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ "(١).

---

١) أخرجه مسلم(١٧٩)باب (باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور)، وابن ماجة في سننه(١٩٥)،وأحمد في مسنده(١٩٦٣٢)،وابن حبان في صحيحه (٢٦٦)، والطبراني في الأوسط(٦٢٠٥) والكبير(١٦٢٥)، والبزار في مسنده(٣٠١٨)، الطيالسي في مسنده(٤٩٣) وعبد بن حميد(٥٤١) وغيرهم.

الحديث الثاني: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ ، وَيَرْفَعُ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ:" يَمِينُ اللهِ مَلْأَى - قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: مَلْآنُ - سَحَّاءُ لَا يُغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ".

الحديث الثالث: وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ. فَكَتَبَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِسْنَادًا .

الحديث الرابع: وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الْآيَةَ، قَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يُسْأَلُ عَنْهَا قَالَ:" إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ؛ فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَالَ رَجُلٌ : فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" إِنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا

خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ " رَوَاهُ مَالِكٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ .

وبعد انتهاء الحلقة:

قال الأب: معلقا على الحديث الأول:"إِنَّ اللهَ لا يَنَامُ " فقد نفى الرسول (ﷺ) في هذا الحديث النوم عن ربه، وهو نظير قوله جل وعلا: { اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ}(١)، فهو سبحانه منزه عن النوم لكمال حياته وقيوميته .

قال الابن محمد: ما معنى (يَخْفِضُ الْقِسْطَ ، وَيَرْفَعُهُ)؟.

قال الأب: فَسَّرَ بَعْضُهُمُ الْقِسْطَ بِالرِّزْقِ أَيْ يُقَتِّرُهُ، وَيُوَسِّعُهُ، كما قال الله تعالى : (اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) وَعَبَّرَ بِهِ عَنِ الرِّزْقِ لِأَنَّهُ قِسْطُ كُلِّ مَخْلُوقٍ أَيْ: نَصِيبُهُ، وَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِالْمِيزَانِ، وَيُسَمَّى الْمِيزَانُ قِسْطًا لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ الْمَعْدَلَةِ بِالْقِسْطِ أَيْ: فِي الْقِسْمَةِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى أَوْلَى لِمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : يَرْفَعُ الْمِيزَانَ وَيَخْفِضُهُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْمِيزَانِ مَا يُوزَنُ مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ النَّازِلَةِ مِنْ عِنْدِهِ وَأَعْمَالِهِمُ الْمُرْتَفِعَةِ إِلَيْهِ يَعْنِي: فَيَخْفِضُهُ تَارَةً بِتَقْتِيرِ الرِّزْقِ، وَالْخُذْلَانِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَرْفَعُهُ أُخْرَى بِتَوْسِيعِ الرِّزْقِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ.

وَفِي الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ هُنَا، وَفِيمَا بَعْدَهُ تَضَادٌّ وَمُطَابَقَةٌ، وَهُمَا مُسْتَعَارَانِ مِنَ الْمَعَانِي مِنَ الْأَعْيَانِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٥.

وَأَنَّهُ يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمِيزَانِ الْعَدْلِ، وَبَيَّنَ الْمَعْنَى بِمَا شُوهِدَ مِنْ وَزْنِ الْمِيزَانِ الَّذِي يَزِنُ فَيَخْفِضُ يَدَهُ ، وَيَرْفَعُهَا .

قِيلَ: وَهَذَا التَّأْوِيلُ يُنَاسِبُ قَوْلَهُ: وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ أَيْ: كَيْفَ يَجُوزُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَهُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ أَبَدًا فِي مُلْكِهِ بِمِيزَانِ الْعَدْلِ. (١).

قال الابن محمد: يا أبي ما معنى قوله:(يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ) ؟.

قال الأب: معنى:(يَدُ الله مَلأى)، أيْ: شديدة الامتِلاء بالخَير،(لا تَغيضُها))، أي: لا تَنقُصُها،(نفَقةٌ، سَحَّاءُ اللَّيلِ والنَّهارِ)؟، "وسحَّاء"، أي: كثيرةُ العطاءِ، وقال (ﷺ):(مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ)، أي: الذي أنفَقَه منذُ خَلَق السَّماء والأرض(فإنَّه لم يَغِضْ))، أي: لم يَنقُصْ ما في يَدِه، (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ، وَيَرْفَعُ) أي: مَن يَشاء، وأئمَّةُ السُّنَّةِ على وُجوبِ الإيمانِ بهذا الحديثِ وأشباهِه من غَيرِ تأويلٍ؛ بل يُمرُّونَه على ظاهِرِه كما جاءَ، ولا يُقال: كيف.

قال الابن معاذ: وهل العرش مخلوق يا أبي؟.

قال الأب: نعم يا بني ! وهو أفضل ما خلق الله عز وجل، فقد قَالَ اللهُ تَعَالَى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)(٢) فَكُلُّ مَا سِوَاهُ تَعَالَى فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ، مُكَوَّنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، مُحْدَثٌ بَعْدَ عَدَمِهِ، فَالْعَرْشُ

---

(١) قاله التوربيشتي (مشكاة المصابيح)..

(٢) سورة الزمر _ الآية ٦٢ .

الَّذِي هُوَ سَقْفُ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ جَامِدٍ وَنَاطِقٍ، الْجَمِيعُ خَلْقُهُ وَمِلْكُهُ وَعَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَحْتَ تَصْرِيفِهِ وَمَشِيئَتِهِ (١).

قالت الأم: سيدي الفاضل! فأين الله قبل أن يخلق خلقه؟.

قال الأب: سأذكر لكم ما ذكره ابن كثير في هذه المسألة في كتاب البداية والنهاية: أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ قَاطِبَةً لَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ، وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَهِيَ كَأَيَّامِنَا هَذِهِ، أَوْ كُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي التَّفْسِيرِ.

وَاخْتَلَفُوا هَلْ كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ قَبْلَهُمَا ؟ فَذَهَبَ طَوَائِفُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمَا شَيْءٌ، وَأَنَّهُمَا خُلِقَتَا مِنَ الْعَدَمِ الْمَحْضِ.

وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ كَانَ قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَخْلُوقَاتٌ أُخَرُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)(٢).

وَفِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ كَمَا سَيَأْتِي كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ أَبِي رَزِينٍ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ الْعُقَيْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) سورة هود _ الآية ٧.

وَاخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ فِي أَيِّهَا خَلَقَ أَوَّلًا ؟ فَقَالَ قَائِلُونَ: خَلَقَ الْقَلَمَ قَبْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهَذَا هُوَ اخْتِيَارُابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرِهِمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَبَعْدَ الْقَلَمِ السَّحَابَ الرَّقِيقَ وَاحْتَجُّوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . لَفْظُ أَحْمَدَ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ فِيمَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِيُّ وَغَيْرُهُ ؛ أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ ذَلِكَ .

وَهَذَا هُوَ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ .

قَالُوا: فَهَذَا التَّقْدِيرُ هُوَ كِتَابَتُهُ بِالْقَلَمِ الْمَقَادِيرَ، وَقَدْ دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ ذَلِكَ بَعْدَ خَلْقِ الْعَرْشِ، فَثَبَتَ تَقَدُّمُ خَلْقِ الْعَرْشِ عَلَى الْقَلَمِ الَّذِي كَتَبَ بِهِ الْمَقَادِيرَ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْجَمَاهِيرُ .

وَيُحْمَلُ حَدِيثُ الْقَلَمِ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ أَهْلُ الْيَمَنِ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ): جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ ؟ فَقَالَ : كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ : مَعَهُ وَفِي رِوَايَةٍ : غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَفِي لَفْظٍ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . فَسَأَلُوهُ عَنِ ابْتِدَاءِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلِهَذَا قَالُوا جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، فَأَجَابَهُمْ عَمَّا سَأَلُوا فَقَطْ، وَلِهَذَا لَمْ يُخْبِرْهُمْ بِخَلْقِ الْعَرْشِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ الْمُتَقَدِّمِ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَاءَ قَبْلَ الْعَرْشِ رَوَاهُ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ ، وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَالَ : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ، ثُمَّ مَيَّزَ بَيْنَهُمَا فَجَعَلَ الظُّلْمَةَ لَيْلًا أَسْوَدَ مُظْلِمًا ، وَجَعَلَ النُّورَ نَهَارًا مُضِيئًا مُبْصِرًا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الَّذِي خَلَقَ رَبُّنَا بَعْدَ الْقَلَمِ الْكُرْسِيُّ ، ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ الْكُرْسِيِّ الْعَرْشَ ، ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْهَوَاءَ وَالظُّلْمَةَ ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَاءَ فَوَضَعَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

قال الأب: إتماما للفائدة أذكر لكم التقادير الإلاهية:

١- التقدير الأزلي(في اللوح المحفوظ): لحديث القلم الذي مر، وحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ .

٢- تقدير يوم الميثاق:لحديث مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الْآيَةَ، قَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يُسْأَلُ عَنْهَا

قَالَ:" إِنَّ اللهَّ خَلَقَ آدَمَ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ؛ فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً ، فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَالَ رَجُلٌ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ):" إِنَّ اللهَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ " رَوَاهُ مَالِكٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ .

٣- التقدير العمري: الكتابة العمرية عند تخليق النطفة في الرحم ، فيكتب إذ ذاك ذكورتها أو أنوثتها، والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق، كما في حديث عبد الله بن مسعود: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ"(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي (ﷺ)قال:" وَكَّلَ اللهَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ اللهَّ أَنْ يَقْضِيَ

(١)رواه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣)..

خَلْقَهَا قَالَ أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الْأَجَلُ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ" (١).

٤- التقدير الحولي: في ليلة القدر، يقدّر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله. قال تعالى: (حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (٢)، وهذه هي ليلة القدر قطعا؛ لقوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

٥- التقدير اليومي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، قَالَ :" إِنَّ مِمَّا خَلَقَ اللهُ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ دَفَّتَاهُ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ ، وَكِتَابُهُ نُورٌ يَنْظُرُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَمِائَةً وَسِتِّينَ نَظْرَةً ، أَوْ مَرَّةً فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنْهَا يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ :(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)(٣)(٤).يغفرُ ذنباً ويفرجُ هماً ويكشفُ كرباً، ويجبرُ كسراً، ويغنى فقيراً، ويعلمُ جاهلاً، ويهدى ضالاً، ويرشدُ حيراناً، ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً، ويُشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفى مريضاً ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزى محسناً، وينصر

---

(١)رواه البخاري (٦٥٩٥) ، ومسلم (٢٦٤٦)..

(٢)سورة الدخان _ الآيات من ١ : ٥

(٣) سورة الرحمن _ الآية ٢٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين » كتاب التفسير » تفسير سورة البروج » الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة(٣٩٣٧).

مظلوماً، ويقصمُ جباراً، ويقيلُ عثرة، ويسترُ عورةً، ويؤمنُ خائفاً ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين(١).

قالت الابنة مريم: أبي الغالي وهل هذه الأقدار تقبل التغيير؟.

قال الأب: ابنتي الغالية! قال العلماء :هناك أشياء من القدر تقبل المحو والإثبات.

وهناك أشياء من الكتابة لا تقبل المحو والإثبات، بل هي آجال لا تقبل التغيير، أو أشياء لا تقبل التغير، وذلك ما في اللوح المحفوظ.

وقد ساق ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(٢) أقوال أئمة العلم في هذا الشأن نذكرها لتعم الفائدة:(لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) أَيْ : لِكُلِّ مُدَّةٍ مَضْرُوبَةٍ كِتَابٌ مَكْتُوبٌ بِهَا، (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)، (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٣) .

وَكَانَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) أَيْ: لِكُلِّ كِتَابٍ أَجَلٌ يَعْنِي لِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مُدَّةٌ مَضْرُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَمِقْدَارٌ مُعَيَّنٌ، فَلِهَذَا يَمْحُو مَا يَشَاءُ مِنْهَا وَيُثْبِتُ، يَعْنِي حَتَّى نُسِخَتْ كُلُّهَا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

---

(١) اليقين في معرفة رب العالمين بقلم المؤلف .

(٢) سورة الرعد _ الآية ٣٩ .

(٣) سورة الحج _ الآية ٧٠ .

وَقَوْلُهُ : (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ الثَّوْرِيُّ ، وَوَكِيعٌ ، وهُشَيْمٌ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّنَةِ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ، إِلَّا الشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ ، وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ .

وَفِي رِوَايَةٍ : (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) قَالَ: كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ، وَالشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ فَإِنَّهُمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُمَا .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ ، وَالشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ ، فَإِنَّهُمَا لَا يَتَغَيَّرَانِ .

وَقَالَ مَنْصُورٌ : سَأَلْتُ مُجَاهِدًا فَقُلْتُ: أَرَأَيْتَ دُعَاءَ أَحَدِنَا يَقُولُ : اللَّهُمَّ ، إِنْ كَانَ اسْمِي فِي السُّعَدَاءِ فَأَثْبِتْهُ فِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَشْقِيَاءِ فَامْحُهُ عَنْهُمْ وَاجْعَلْهُ فِي السُّعَدَاءِ . فَقَالَ: حَسَنٌ . ثُمَّ لَقِيتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَوْلٍ أَوْ أَكْثَرَ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (١)، قَالَ : يَقْضِي فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ رِزْقٍ أَوْ مُصِيبَةٍ ، ثُمَّ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ ، فَأَمَّا كِتَابُ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يُغَيَّرُ .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ: إِنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنَا أَشْقِيَاءَ فَامْحُهُ، وَاكْتُبْنَا سُعَدَاءَ، وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنَا سُعَدَاءَ فَأَثْبِتْنَا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ . رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا : عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَبْكِي: اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَ عَلَيَّ

---

(١) سورة الدُّخَانِ : الآيتان ٣ ، ٤ .

شِقْوَةً أَوْ ذَنْبًا فَامْحُهُ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ، فَاجْعَلْهُ سَعَادَةً وَمَغْفِرَةً .وَقَالَ حَمَّادٌ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ أَيْضًا .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ؛ أَنَّ كَعْبًا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَأَنْبَأْتُكَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ : قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

وَمَعْنَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ: أَنَّ الْأَقْدَارَ يَنْسَخُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا، وَيُثْبِتُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ ، وَقَدْ يُسْتَأْنَسُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ :عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ " .رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، بِهِ .وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : " إِنَّ الدُّعَاءَ وَالْقَضَاءَ لَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ لَوْحًا مَحْفُوظًا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ لَهَا دَفَّتَانِ مِنْ يَاقُوتٍ – وَالدَّفَّتَانِ لَوْحَانِ – لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ [كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثُمِائَةٍ] وَسِتُّونَ لَحْظَةً، يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " [إِنَّ اللَّهَ] يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ، فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهَا يَنْظُرُ فِي الذِّكْرِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ " . وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ . رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ:(يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) قَالَ : يَمْحُو مِنَ الرِّزْقِ وَيَزِيدُ فِيهِ، وَيَمْحُو مِنَ الْأَجَلِ وَيَزِيدُ فِيهِ . فَقِيلَ لَهُ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا ؟ فَقَالَ: أَبُو صَالِحٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِئَابٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) ثُمَّ سُئِلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: يُكْتَبُ الْقَوْلُ كُلُّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسَ، طُرِحَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، مِثْلَ قَوْلِكَ: أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ، دَخَلْتُ وَخَرَجْتُ وَنَحْوِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَهُوَ صَادِقٌ، وَيُثْبَتُ مَا كَانَ فِيهِ الثَّوَابُ، وَعَلَيْهِ الْعِقَابُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْكِتَابُ كِتَابَانِ: فَكُتَّابٌ يَمْحُو اللهُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يَقُولُ: هُوَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ الزَّمَانَ بِطَاعَةِ اللهِ، ثُمَّ يَعُودُ لِمَعْصِيَةِ اللهِ فَيَمُوتُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَهُوَ الَّذِي يَمْحُو، وَالَّذِي يُثْبِتُ: الرَّجُلُ يَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ لَهُ خَيْرٌ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَهُوَ الَّذِي يُثْبِتُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : أَنَّهَا بِمَعْنَى:(فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الْبَقَرَةِ : ٢٨٤] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:(يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) يَقُولُ: يُبَدِّلُ مَا يَشَاءُ فَيَنْسَخُهُ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ فَلَا يُبَدِّلُهُ، (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يَقُولُ: وَجُمْلَةُ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، وَمَا يُبَدَّلُ، وَمَا يُثْبِتُ كُلُّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ .

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ : (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) كَقَوْلِهِ (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) [الْبَقَرَةِ : ١٠٦]

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) قَالَ : قَالَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ حِينَ أُنْزِلَتْ: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) مَا نَرَاكَ يَا مُحَمَّدُ تَمْلِكُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَقَدْ فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ.

فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَخْوِيفًا، وَوَعِيدًا لَهُمْ: إِنَّا إِنْ شِئْنَا أَحْدَثْنَا لَهُ مِنْ أَمْرِنَا مَا شِئْنَا، وَنُحْدِثُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، فَنَمْحُو وَنُثْبِتُ مَا نَشَاءُ مِنْ أَرْزَاقِ النَّاسِ وَمَصَائِبِهِمْ، وَمَا نُعْطِيهِمْ، وَمَا نَقْسِمُ لَهُمْ .

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ) قَالَ: مَنْ جَاءَ أَجْلُهُ، فَذَهَبَ ، وَيُثْبِتُ الَّذِي هُوَ حَيٌّ يَجْرِي إِلَى أَجْلِهِ .وَقَدِ اخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ ، رَحِمَهُ اللهُ .

وَقَوْلُهُ : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قَالَ : الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ .وَقَالَ قَتَادَةُ : أَيْ جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلُهُ .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قَالَ : كِتَابٌ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبًا عَنْ " أُمِّ الْكِتَابِ " ، فَقَالَ : عِلْمُ اللهِ ، مَا هُوَ خَالِقٌ ، وَمَا خَلْقُهُ عَامِلُونَ ، ثُمَّ قَالَ لِعِلْمِهِ : " كُنْ كِتَابًا " . فَكَانَا كِتَابًا .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قَالَ : الذِّكْرُ ، [وَاللهُ أَعْلَمُ] .

فاللوح المحفوظ كتب فيه كل شيء، والله عز وجل قدر الأمور بأسبابها، فهذا قدر له النجاح، والتفوق؛ لاجتهاده وأخذه بالأسباب، وهذا قدر له الرسوب؛ لإهماله وتفريطه، وهذا قدر له الأولاد والذرية إذا تزوج، وهذا قدر له العافية إذا راجع الطبيب وأخذ الدواء، فالنتائج وأسبابها كل ذلك مقدر،

والعبد يفعل الأسباب باختياره، ولهذا يجازى ويعاقب، وليس له أن يمتنع عن فعل الأسباب بحجة أن النتائج مقدرة، فإنه لا يدري ما الذي قدر له، ولو صح الامتناع عن فعل الأسباب، فليتوقف عن الأكل، والشرب، والجماع، وينتظر الصحة، والعافية، والولد بحجة أن ذلك مقدر!.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة السادسة عشرة

بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأبحلقة القرآن والتجويد.

ثم حمل كتاب مشكاة المصابيح وقام بقراءة كِتَابُ الْصلاة ، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ _ ونذكر شيئا منها:

الحديث الأول: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ (ﷺ) يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، وَكَانَ يَقُولُ: " اللهُ أَكْبَرُ " " ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ "، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ. ثُمَّ رَكَعَ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ " ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: " لِرَبِّيَ الْحَمْدُ ". ثُمَّ سَجَدَ ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ:" سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى". ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي". فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِيهِنَّ (الْبَقَرَةَ) وَ (آلَ عِمْرَانَ) وَ (النِّسَاءَ) وَ (الْمَائِدَةَ) أَوِ (الْأَنْعَامَ) ، شَكَّ شُعْبَةُ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ؛ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ، كَسْلَانَ ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١).

الحديث الخامس: وَعَنِ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ (ﷺ) حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وبعد أن انتهى الأب من قراءة باب التحريض على قيام الليل، جاء الشوق إلى القيام بالليل عند كل أفراد الأسرة، وبدءوا يسألون الأب عن قيام الليل:

---

(١) جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي اللَّيْلَ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، فَقَالَ: " إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ» ". رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَالْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ ".

ثم قال الأب: قالوا ؟! ثم سكت(مشوقا الأبناء كما كان يفعل النبي (ﷺ) مع معاذ بن جبل(ﷺ) منبها له على أهمية الأمر الذي سيتحدث معه فيه)(١).

قال الأبناء (في صوت واحد): ماذا قالوا؟.

قال الأب: قالوا: لا يُسرق بيت فيه شاب وشيخ.

قال الأبناء: كيف ذلك؟.

قال الأب: الشيخ الكبير يحب أن ينام أول الليل، ثم يقوم في آخر الليل، والشاب يحب أن يسهر أول الليل فيقوم ويصلي أوله، ثم ينام، فيظل البيت فيه مستيقظا فلا يجرؤ أحد أن يهجم على المنزل ليسرق منه.

وأحكي لكم هذا القول فقط لكي أنبهكم إلى أهمية القيام بالليل وكيف كانت لبيوت بالليل، كان يسمع لبيوت السلف في الليل دوي كدوي النحل من قيام الليل وقراءة القرآن فيه.

---

(١)عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا [صحيح البخاري » كتاب العلم » باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا _ ص: ١٢٨].

وفي الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ فَلْيَسْتَكْ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَرَأَ فِي صَلاَتِهِ وَضَعَ مَلَكٌ فَاهُ عَلَى فِيهِ وَلاَ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ إِلاَّ دَخَلَ فَمَ الْمَلَك»(١).

وعَنِ ابْنِ شِهَاب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ): «إِذَا قَامَ الرَّجُل فَتَوَضَّأَ لَيْلاً، أَوْ نَهَاراً فَأَحْسَنَ وضُوءهُ، وَاسْتَنَّ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، أَطَافَ بِهِ مَلَكٌ، وَدَنَا مِنْهُ، حَتَّى يَضَع فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَقْرَأُ إِلاَّ فِي فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَنَّ أَطَافَ بِهِ وَلَمْ يَضَع فَاهُ عَلَى فِيهِ، وَكَانَ رَسُولُ الله (ﷺ) لاَ يَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ حَتَّى يَسْتَنَّ»(٢).

واليوم/ يا أبنائي! كما تعلمون!

لقد أراد غيرنا(٣)أن يعيشوا الحياة الرخصية(الحياة البهيمية) (٤) وللأسف صدروها للمسلمين، لأنهم لا يحبون أن يكونوا وحدهم في مستنقع الرزيلة، كما قال تعالى:{ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } (٥).

---

(١) شعب الإيمان (٢١١٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع (٧٢٠).

(٢) الزهد لابن المبارك (١٢٠٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صحيح الجامع (٧٢٣).

(٣) اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين والملحدين.

(٤) قال أحد علماء المسلمين لأحد الغربيين لقد استطعتم أن تطيروا في الهواء وتمشوا على الماء، وما استطعتم أن تمشوا على الأرض كإنسان.

(٥) سورة النساء _ الآية ٢٧.

فيجتهدون ليصدروا لنا الخلاعة والعهر واللهو بشتى أصنافه، وقاموا بتصديرها لشبابنا، عن طريق الدش والنت والتلفاز والهاتف وأصبحت متاحة في أيدي أبنائنا فبدل ما كان الشباب يقضي أول الليل في الصلاة يضع فَاهُ عَلَى فِيهِ الملك، أصبح والعياذُ بالله يضع فَاهُ عَلَى فِيهِ الشيطان، ويظل على هذا الحال لقرابة صلاة الفجر ثم ينامون على هيئة الكلاب، فالكلاب تسهر طول الليل ثم تنام قرابة الفجر.

وهذه الفتن والمغريات قد حذرنا منها رسول الله(ﷺ) حين أراها الله له قبل أن نقع فيها: فعَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَشْرَفَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى قَالُوا لَا قَالَ فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ»(١)(٢).

فما رأيكم ؟. قالوا جميعا: مستعدين لقيام الليل إن شاء الله تعالى.. وأن نحذر من هذه الفتن.

---

(١)صحيح البخاري » كتاب الفتن » باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب(٦٦٥١)، صحيح مسلم » كتاب الفتن وأشراط الساعة » باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت _ بَاب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ(٢٨٨٥).

(٢)(قَوْلُهُ بَابُ آطَامِ الْمَدِينَةِ)بِالْمَدِّ جَمْعُ أُطُمٍ بِضَمَّتَيْنِ وَهِيَ الْحُصُونُ الَّتِي تُبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَقِيلَ هُوَ كُلُّ بَيْتٍ مُرَبَّعٍ مُسَطَّحٍ وَالْآطَامُ جَمْعُ قِلَّة وَجمع الْكَثْرَة اطوم وَالْوَاحِدَةُ أَطَمَةٌ كَأَكَمَةٍ وَقَدْ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ مَا كَانَ بِهَا مِنَ الْآطَامِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِهَا ثُمَّ مَا كَانَ بِهَا بَعْدَ حُلُولِهِمْ وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ(كتاب فتح الباري لابن حجر[ابن حجر العسقلاني] المكتبة الشاملة الحديثة على شبكة النت).

ولنعلم يا أبنائي: أن النجاة من الفتن والتحصن منها بقيام الليل:

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لَيْلَةً فَزِعًا، يَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الخَزَائِنِ؟ ! وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ "

فما العلاج يا رسول الله؟.

قال: "مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ " - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - " لِكَيْ يُصَلِّينَ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ» ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قوله:(مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ) أَيْ: يَعْنِي بِصَوَاحِبِ الحُجُرَاتِ أَزْوَاجَهُ الطَّاهِرَاتِ (لِكَيْ يُصَلِّينَ؟): لِيَجِدْنَ الرَّحْمَةَ وَيَتَخَلَّصْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْفِتْنَةِ.

فقيام الليل الله يرفع به البلاء، وينزل به العطاء: (مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ).. من يوقظ المسلمين للمثول بين يدي الله: يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: (مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟).البخاري.

أبنائي! الله اختصكم بشرف فلا تضيعوه !.. فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: " يَا مُحَمَّدُ ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ" ثُمَّ قَالَ: " يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ " (١).

---

(١)المستدرك على الصحيحين » كتاب الرقاق » شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ(٧٩٩١).

وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ زَافِرٍ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ شَيْخٍ ثِقَةٍ الشَّكُّ وَتِلْكَ الرِّوَايَةُ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ بِلَا شَكٍّ فِيهِ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ، وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ ".

ثم قال معاذ: يا أبي! هل اختصت هذه الأمة بقيام الليل دون الأمم التي قبلها؟

قال الأب: لا يا معاذ !، ففي الحديث: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ(١)، ....». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١)(فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ):أَيْ: عَادَتُهُمْ، قَالَ الطِّيبِيُّ: الدَّأْبُ: الْعَادَةُ وَالشَّأْنُ وَقَدْ يُحَرَّكُ، وَأَصْلُهُ مِنْ دَأَبَ فِي الْعَمَلِ: إِذَا جَدَّ وَتَعِبَ. اهـ.

وَهُوَ مَا يُوَاظِبُونَ عَلَيْهِ وَيَأْتُونَ بِهِ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ لِمَا سَيَأْتِي أَنَّ آلَ دَاوُدَ كَانُوا يَقُومُونَ بِاللَّيْلِ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّكُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَإِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ مَنْ لَا يَقُومُ اللَّيْلَ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْكَامِلِينَ، بَلْ بِمَنْزِلَةِ الْمُزَكَّى عَلَنًا لَا سِرًّا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ، وَقَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ الْمَاضُونَ. (قَبْلَكُمْ)، أَيْ: وَهِيَ عَادَةٌ قَدِيمَةٌ (وَهُوَ)، أَيْ: مَعَ كَوْنِهِ اقْتِدَاءً بِسِيرَةِ الصَّالِحِينَ (قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ)، أَيْ: مَحَبَّةُ مَوْلَاكُمْ مِمَّا تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» (وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ): مَصْدَرَانِ مِيمِيَّانِ كَالْمَحْمَدَةِ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، أَيْ: سَاتِرَةٌ لِلذُّنُوبِ وَمَاحِيَةٌ لِلْعُيُوبِ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤] وَنَاهِيَةٌ (عَنِ الْإِثْمِ)، أَيِ: ارْتِكَابِ مَا يُوجِبُهُ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}[العنكبوت: ٤٥](رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ): قَالَ مِيرَكُ: وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ، وَالشَّيْخُ مُحْيِي السُّنَّةِ كِلَاهُمَا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ=

وكلمة: (قَبْلَكُمْ) تدل على الأمم السابقة التي سبقت أمة الإسلام.

وقد أخبرنا(ﷺ) عن صلاة داود، فقال:" وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ، صَلَاةُ دَاوُدَ (عليه السَّلَام)، كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، ويقومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ "(١)(٢).

وقال تعالى: مخبرا عن أتباع عيسى(عليه السلام):{ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً

=الْفَارِسِيِّ يَرْفَعُهُ بِزِيَادَةٍ: " وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ مِنَ الْجَسَدِ "، وَفِيهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ قَالَ: «أَمَرَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَلَوْ رَكْعَةً» (مرقاة المفاتيح).

(١) صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء » بَاب أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِّ صَلَاةُ دَاوُدَ وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِّ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا قَالَ عَلِيٌّ وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ مَا أَلْفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلَّا نَائِمًا (٣٢٣٨).

(٢) قَالَ الْمُهَلَّب: كَانَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام يُجِمّ نَفْسه بِنَوْمِ أَوَّل اللَّيْل، ثُمَّ يَقُوم فِي الْوَقْت الَّذِي يُنَادِي اللهَّ فِيهِ: هَلْ مِنْ سَائِل فَأُعْطِيَهُ سُؤْله، ثُمَّ يَسْتَدْرِك بِالنَّوْمِ مَا يَسْتَرِيح بِهِ مِنْ نَصَب الْقِيَام فِي بَقِيَّة اللَّيْل. وَإِنَّمَا صَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَة أَحَبّ مِنْ أَجْل الْأَخْذ بِالرِّفْقِ لِلنَّفْسِ الَّتِي يُخْشَى مِنْهَا السَّآمَة، وَقَدْ قَالَ (ﷺ): " إِنَّ اللهَّ لَا يَمَلّ حَتَّى تَمَلُّوا " وَاَللهَّ أَحَبَّ أَنْ يُدِيم فَضْله وَيُوَالِي إِحْسَانه، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَرْفَق لِأَنَّ النَّوْم بَعْد الْقِيَام يُرِيح الْبَدَن وَيُذْهِب ضَرَر السَّهَر وَذُبُول الْجِسْم بِخِلَافِ السَّهَر إِلَى الصَّبَاح، وَفِيهِ مِنْ الْمَصْلَحَة أَيْضًا اِسْتِقْبَال صَلَاة الصُّبْح وَأَذْكَار النَّهَار بِنَشَاطٍ وَإِقْبَال، وَأَنَّهُ أَقْرَب إِلَى عَدَم الرِّيَاء لِأَنَّ مَنْ نَامَ السُّدُس الْأَخِير أَصْبَحَ ظَاهِر اللَّوْن سَلِيم الْقُوَى فَهُوَ أَقْرَب إِلَى أَنْ يُخْفِي عَمَله الْمَاضِي عَلَى مَنْ يَرَاهُ، أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ اِبْن دَقِيق الْعِيد [فتح الباري شرح صحيح البخاري» كتاب التهجد» بَاب مَنْ نَامَ عِنْدَ السَّحَرِ(١٠٧٩)].

وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (١).

(وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) أي: أَحْدَثُوهَا (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) يَقُولُ: مَا افْتَرَضْنَا تِلْكَ الرَّهْبَانِيَّةَ عَلَيْهِمْ (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) لَكِنَّهُمُ ابْتَدَعُوهَا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) (٢).

رعاها الأولون منهم ثم ضيعها من جاء بعدهم.

فكانوا في خلال ترهبهم وانقطاعهم يقومون بالليل، كما أشار بذلك سلمان الفارسي حين ذهب للرهبان فوق الجبل، قَالَ سَلْمَانُ: كُنْتُ يَتِيمًا مِنْ رَامَ هُرْمُزَ، وَكَانَ ابْنُ دِهْقَانَ رَامَ هُرْمُزَ يَخْتَلِفُ إِلَى مُعَلِّمٍ يُعَلِّمُهُ، فَلَزِمْتُهُ لِأَكُونَ فِي كَنَفِهِ، وَكَانَ لِي أَخٌ أَكْبَرُ مِنِّي وَكَانَ مُسْتَغْنِيًا بِنَفْسِهِ، وَكُنْتُ غُلَامًا قَصِيرًا، وَكَانَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ تَفَرَّقَ مَنْ يُحَفِّظُهُمْ ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا خَرَجَ فَيَضَعُ بِثَوْبِهِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْجَبَلَ، وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ مُتَنَكِّرًا قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا ، فَلِمَ لَا تَذْهَبُ بِي مَعَكَ؟ قَالَ: أَنْتَ غُلَامٌ، وَأَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ شَيْءٌ. قَالَ: قُلْتُ: لَا تَخَفْ. قَالَ: فَإِنَّ فِي هَذَا الْجَبَلِ قَوْمًا فِي بِرْطِيلِهِمْ لَهُمْ عِبَادَةٌ ، وَلَهُمْ صَلَاحٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيَذْكُرُونَ الْآخِرَةَ، وَيَزْعُمُونَنَا عَبَدَةَ النِّيرَانِ، وَعَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَنَا عَلَى دِينِهِمْ قَالَ: قُلْتُ فَاذْهَبْ بِي مَعَكَ إِلَيْهِمْ قَالَ: لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَهُمْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ شَيْءٌ، فَيَعْلَمَ أَبِي فَيَقْتُلَ الْقَوْمَ فَيَكُونَ

---

(١) سورة الحديد _ الآية ٢٧.

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري.

هَلاكُهُمْ عَلَى يَدِي قَالَ: قُلْتُ: لَنْ يَظْهَرَ مِنِّي ذَلِكَ، فَاسْتَأْمِرْهُمْ ، فَأَتَاهُمْ ، فَقَالَ : غُلَامٌ عِنْدِي يَتِيمٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَأْتِيَكُمْ وَيَسْمَعَ كَلَامَكُمْ، قَالُوا: إِنْ كُنْتَ تَثِقُ بِهِ. قَالَ: أَرْجُو أَنْ لَا يَجِيءَ مِنْهُ إِلَّا مَا أُحِبُّ ، قَالُوا: فَجِيءَ بِهِ، فَقَالَ لِي: قَدِ اسْتَأْذَنْتُ فِي أَنْ تَجِيءَ مَعِي، فَإِذَا كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي رَأَيْتَنِي أَخْرُجُ فِيهَا فَأْتِنِي وَلَا يَعْلَمُ بِكَ أَحَدٌ، فَإِنَّ أَبِي إِنْ عَلِمَ بِهِمْ قَتَلَهُمْ.قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي يَخْرُجُ تَبِعْتُهُ فَصَعِدْنَا الْجَبَلَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ فِي بِرْطِيلِهِمْ .قَالَ: عَلِيٌّ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَهُمْ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ. قَالَ: وَكَأَنَّ الرُّوحَ قَدْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ يَصُومُونَ النَّهَارَ وَيَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَأْكُلُونَ عِنْدَ السَّحَرِ مَا وَجَدُوا، فَقَعَدْنَا إِلَيْهِمْ، فَأَثْنَى الدِّهْقَانُ عَلَى حَبْرٍ ، فَتَكَلَّمُوا، فَحَمِدُوا اللهَّ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَذَكَرُوا مَنْ مَضَى مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ حَتَّى خَلَصُوا إِلَى ذِكْرِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالُوا: بَعَثَ اللهَّ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولًا وَسَخَّرَ لَهُ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَخَلْقِ الطَّيْرِ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَالْأَعْمَى، فَكَفَرَ بِهِ قَوْمٌ وَتَبِعَهُ قَوْمٌ، وَإِنَّمَا كَانَ عَبْدَ اللهَّ وَرَسُولَهُ ابْتَلَى بِهِ خَلْقَهُ قَالَ: وَقَالُوا قَبْلَ ذَلِكَ: يَا غُلَامُ، إِنَّ لَكَ لَرَبًّا، وَإِنَّ لَكَ مَعَادًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا، إِلَيْهِمَا تَصِيرُونَ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ النِّيرَانَ أَهْلُ كُفْرٍ وَضَلَالَةٍ لَا يَرْضَى اللهَّ مَا يَصْنَعُونَ وَلَيْسُوا عَلَى دِينٍ.فَلَمَّا حَضَرَتِ السَّاعَةُ الَّتِي يَنْصَرِفُ فِيهَا الْغُلَامُ انْصَرَفَ وَانْصَرَفْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ غَدَوْنَا إِلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ وَأَحْسَنَ، وَلَزِمْتُهُمْ فَقَالُوا لِي يَا سَلْمَانُ: إِنَّكَ غُلَامٌ، وَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصْنَعَ كَمَا نَصْنَعُ فَصَلِّ وَنَمْ وَكُلْ وَاشْرَبْ(١).

---

(١) المستدرك على الصحيحين » كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم » قِصَّةُ إِسْلَامِ سَلْمَانَ

قال الابن معاذ: متى يبدأ قيام الليل يا أبي؟.

قال الأب: يبدأ من بعد صلاة العشاء وينتهي بأذان الفجر.

قالت الأم: سيدي الغالي! ما هي أفضل أوقات القيام بالليل أوله أم آخره؟

قالت الأب: سيدتي الغالية! لقد أخبرنا حبيبنا، فيما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَفْرُوضَةِ صَلَاةٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ ؟ قَالَ:" جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ».رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ إِسْنَادًا.

قالت الابنة مريم: أبي الغالي! أيهما كان أولا الصلوات المكتوبات، أم صلاة قيام الليل؟.

قال الأب: سؤال جميل جدًا يا ابنتي الغالية، الصلوات المكتوبات لم تفرض إلا في السنة الحادية عشر بعد البعثة، بعد أن توفيت خديجة زوج النبي(ﷺ)، وعمه أبي طالب، واشتد الحزن على النبي(ﷺ)، إذ مات اللذين كانا

الْفَارِسِيِّ مُفَصَّلًا، وَذِكْرُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَتَعَلُّمُ سَلْمَانَ مِنَ الرَّاهِبِ الْكَبِيرِ(٦٦٠٢).

يناصرانه ويحوطانه، فرفه الله عنه برحلة الإسراء والمعراج والتي فيها فرض الله فيها الصلاة على النبي وأمته.

أما صلاة الليل: فهي من بداية الدعوة، وذلك أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) كَانَ يَتَحَنَّثُ فِي غَارِ حِرَاءَ – قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ – أَيْ يَتَطَهَّرُ وَيَتَعَبَّدُ – وَكَانَ تَحَنُّثُهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ – هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ – يَذْهَبُ فِيهِ إِلَى غَارِ حِرَاءَ عَلَى مَبْعَدَةِ نَحْوِ مِيلَيْنِ مِنْ مَكَّةَ.

فَيُقِيمُ فِيهِ هَذَا الشَّهْرَ يَقْضِي وَقْتَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّفْكِيرِ فِيمَا حَوْلَهُ مِنْ مَشَاهِدِ الْكَوْنِ، وَفِيمَا وَرَاءَهَا مِنْ قُدْرَةٍ مُبْدِعَةٍ.. وَهُوَ غَيْرُ مُطْمَئِنٍّ لِمَا عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنْ عَقَائِدِ الشِّرْكِ الْمُهَلْهَلَةِ، وَتَصَوُّرَاتِهَا الْوَاهِيَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَرِيقٌ وَاضِحٌ، وَلَا مَنْهَجٌ مُحَدَّدٌ، وَلَا طَرِيقٌ قَاصِدٌ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَيَرْضَاهُ.

وَكَانَ اخْتِيَارُهُ (ﷺ) لِهَذِهِ الْعُزْلَةِ طَرَفًا مِنْ تَدْبِيرِ اللهَّ لَهُ لِيُعِدَّهُ لِمَا يَنْتَظِرُهُ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

فَلَمَّا أَنْ أَذِنَ، وَشَاءَ – سُبْحَانَهُ – أَنْ يُفِيضَ مِنْ رَحْمَتِهِ هَذَا الْفَيْضَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ.. وَكَانَ مَا قَصَّهُ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَقَ عَنْ وَهَبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدٍ، قَالَ:" فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ (وَفِي الرِّوَايَاتِ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ) قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ (أَيْ ضَغَطَنِي) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ. قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ: قَالَ: فَغَتَّنِي

حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي. فَقَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .. قَالَ: فَقَرَأْتُهَا. ثُمَّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنِّي. وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَكَأَنَّمَا كُتِبَتْ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ. فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، صَافٍّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ. وَجَعَلْتُ أُحَوِّلُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ. قَالَ: فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ. فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي، حَتَّى بَعَثَتْ خَدِيجَةُ رُسُلَهَا فِي طَلَبِي، فَبَلَغُوا أَعْلَى مَكَّةَ، وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي، حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضِيفًا إِلَيْهَا (أَيْ مُلْتَصِقًا بِهَا مَائِلًا إِلَيْهَا) فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَ اللهِ لَقَدْ بَعَثْتُ فِي طَلَبِكَ حَتَّى بَلَغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيَّ. ثُمَّ حَدَّثْتُهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ فَقَالَتْ: "أَبْشِرْ يَا بْنَ عَمٍّ وَاثْبُتْ. فَوَ الَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ".

ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ مُدَّةً عَنِ النَّبِيِّ(ﷺ) إِلَى أَنْ كَانَ بِالْجَبَلِ مَرَّةً أُخْرَى فَنَظَرَ فَإِذَا جِبْرِيلُ، فَأَدْرَكَتْهُ مِنْهُ رَجْفَةٌ، حَتَّى جَثَى وَهَوَى إِلَى الْأَرْضِ، وَانْطَلَقَ إِلَى أَهْلِهِ

يَرْجُفُ، يَقُولُ: " زَمِّلُونِي. دَثِّرُونِي "فَفَعَلُوا. وَظَلَّ يَرْتَجِفُ مِمَّا بِهِ مِنَ الرَّوْعِ. وَإِذَا جِبْرِيلُ يُنَادِيهِ: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.. (وَقِيلَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) وَاللهُ أَعْلَمُ أَيَّتَهُمَا كَانَتْ.

فَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ نَوْمٌ! وَأَنَّ هُنَالِكَ تَكْلِيفًا ثَقِيلًا، وَجِهَادًا طَوِيلًا، وَأَنَّهُ الصَّحْوُ وَالْكَدُّ وَالْجُهْدُ مُنْذُ ذَلِكَ النِّدَاءِ الَّذِي يُلَاحِقُهُ وَلَا يَدَعُهُ يَنَامُ!

وَقِيلَ لِرَسُولِ اللهِ (ﷺ)"قُمْ" فَقَامَ. وَظَلَّ قَائِمًا بَعْدَهَا أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ عَامًا! لَمْ يَسْتَرِحْ.. وَلَمْ يَسْكُنْ.. وَلَمْ يَعِشْ لِنَفْسِهِ وَلَا لِأَهْلِهِ.. قَامَ وَظَلَّ قَائِمًا عَلَى دَعْوَةِ اللهِ. يَحْمِلُ عَلَى عَاتِقِهِ الْعِبْءَ الثَّقِيلَ الْبَاهِظَ وَلَا يَنُوءُ بِهِ.. عِبْءُ الْأَمَانَةِ الْكُبْرَى فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.. عِبْءُ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، وَعِبْءُ الْعَقِيدَةِ كُلِّهَا، وَعِبْءُ الْكِفَاحِ وَالْجِهَادِ فِي مَيَادِينَ شَتَّى.

وَفِي نَصَبٍ دَائِمٍ لَا يَنْقَطِعُ.. وَفِي صَبْرٍ جَمِيلٍ عَلَى هَذَا كُلِّهِ. وَفِي قِيَامِ اللَّيْلِ. وَفِي عِبَادَةٍ لِرَبِّهِ، وَتَرْتِيلٍ لِقُرْآنِهِ وَتَبَتُّلٍ إِلَيْهِ، كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يَفْعَلَ وَهُوَ يُنَادِيهِ: { يَأَيّهَا الْمُزّمّل * قُمِ اللّيْلَ إِلاّ قَلِيلاً * نّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنّ نَاشِئَةَ اللّيْلِ هِيَ أَشَدّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً } (١)(٢).

فالقيام بالليل أمام الله هي حاجة كل داعي ليستمد عونه ممن يدعو إليه، ليوجه له قلوب الناس ويلينها له، ويجعل في قوله القبول.

---

١) سورة المزمل – الآيات من ١ : ٦ .

٢) انظر ظلال القرآن للشيخ سيد قطب _سورة المزمل.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ (١) .

أبنائي: في الليل:(نقوم أمام الله) ونقول: يا رب! عبادك، توجيه رحمة الله إلى العباد .. وفي النهار:﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ (نقوم أمام الناس) ونقول لهم: يا عباد ربكم.. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ:" لَيَأْتِيَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْمٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللهِّ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُومُونَ عَلَى مَنَابِرِهِمْ مِنْ نُورٍ"، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ: " هُمُ الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى النَّاسِ، وَيُحَبِّبُونَ النَّاسَ إِلَى اللهِّ، وَيَمْشُونَ للهِّ فِي الْأَرْضِ نُصْحًا"، قُلْنَا: يُحَبِّبُونَ اللهَّ إِلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ يُحَبِّبُونَ النَّاسَ إِلَى اللهِّ؟ قَالَ:" يَأْمُرُونَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا أَطَاعُوهُمْ أَحَبَّهُمُ اللهُّ "(٢).

وفي رواية: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ، عَنْ أَقْوَامٍ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَكُونُونَ عَلَيْهَا، قَالُوا :

---

١) سورة المزمل – الآيات من ٥ : ٧ .

٢) أخرجه العقيلي (٤/ ٣٣١) ، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٢- ٩٣) ، من طريق الليث بن سعد، عن جابر بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال.وأسند العقيلي عن البخاري قوله: واقد بن سلامة النضري لم يصح حديثه.وذكره العقيلي، وابن الجارود في «الضعفاء» ، وقال الحافظ في «اللسان» : ضعفوه.ينظر: «لسان الميزان» (٦/ ٢١٥) .

مَنْ هُمْ؟ قَالَ:" الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَيُحَبِّبُونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ نُصَحَاءَ"، قَالَ: قُلْنَا: يُحَبِّبُونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، فَكَيْفَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ:" يَأْمُرُونَهُمْ بِحُبِّ اللَّهِ وَيَنْهُونَهُمْ ، يَعْنِي عَمَّا كَرِهَ اللَّهُ فَإِذَا أَطَاعُوهُمْ أَحَبَّهُمُ اللَّهُ" (١).

ولذا نزلت سورة المزمل على النبي من بداية الدعوة قبل فرض الصلوات لحاجة الداعي إلى ربه.

قال الابن محمد: يا أبي ! ما معنى أصبح في هذا الحديث: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) رَجُلٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ:«ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ» أَوْ قَالَ:« فِي أُذُنَيْهِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. هل يا تري لم يصلي الصبح إلا بعد شروق الشمس؟.

قال الأب: لا يا بني الغالي! أَي: أن الرَّجُلُ ظل (نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ)، أَيْ: صَارَ أَوْ دَخَلَ فِي الصُّبْحِ (مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ)، أَيْ: صَلَاةِ اللَّيْلِ أَوْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ (أَصْبَحَ) تَامَّةً، وَ (مَا قَامَ) فِي مَحَلِّ النَّصْبِ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ، أَيْ أَصْبَحَ، وَحَالُهُ أَنَّهُ غَيْرُ قَائِمٍ إِلَى الصَّلَاةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ نَاقِصَةً، وَ (مَا قَامَ) خَبَرُهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ (مَا قَامَ) جُمْلَةً مُسْتَأْنَفَةً مُبَيِّنَةً لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى، أَوْ مُؤَكِّدَةً مُقَرِّرَةً لَهَا.

---

١) شعب الإيمان للبيهقي» الْعَاشِرُ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ وهو باب في محبة ... رقم الحديث: ٣٩٠.

قَالَ(ﷺ): (ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ): بِالْإِفْرَادِ لِلْجِنْسِ وَهُوَ بِسُكُونِ الذَّالِ وَضَمِّهِ، شَبَّهَ تَثَاقُلَ أُذُنِهِ وَعَدَمَ انْتِبَاهِهِ بِصَوْتِ الْمُؤَذِّنِ بِحَالِ مَنْ يُبَالُ فِي أُذُنِهِ فَثَقُلَ سَمْعُهُ وَفَسَدَ حِسُّهُ، وَالْبَوْلُ ضَارٌّ مُفْسِدٌ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ.

وَقَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: إِنَّمَا كِنَايَةٌ عَنِ اسْتِهَانَةِ الشَّيْطَانِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِ، فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُسْتَخِفِّ بِالشَّيْءِ غَايَةَ الِاسْتِخْفَافِ أَنْ يَبُولَ بِهِ، وَخَصَّ الْأُذُنَ؛ لِأَنَّ الِانْتِبَاهَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِاسْتِمَاعِ الْأَصْوَاتِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ فِي النِّهَايَةِ: يُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ الشَّيْطَانَ مَلَأَ سَمْعَهُ بِالْأَبَاطِيلِ فَأَحْدَثَ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا عَنِ اسْتِمَاعِ دَعْوَةِ الْحَقِّ، قِيلَ: خَصَّ الْأُذُنَ بِالذِّكْرِ، وَالْعَيْنُ أَنْسَبُ بِالنَّوْمِ إِشَارَةً إِلَى ثِقَلِ النَّوْمِ، فَإِنَّ الْمَسَامِعَ مَوَارِدُ الِانْتِبَاهِ بِالْأَصْوَاتِ وَنِدَاءِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، وَخَصَّ الْبَوْلَ مِنَ الْأَخْبَثَيْنِ؛ لِأَنَّهُ مَعَ خَبَاثَتِهِ أَسْهَلُ مَدْخَلًا فِي تَجَاوِيفِ الْخُرُوقِ وَالْعُرُوقِ وَنُفُوذِهِ فِيهَا، فَيُورِثُ الْكَسَلَ فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ.

(أَوْ قَالَ): (فِي أُذُنَيْهِ): بِالتَّثْنِيَةِ لِلْمُبَالَغَةِ، قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ، أَيْ جَعَلَهُ خَبِيثًا لَا يَقْبَلُ الْخَيْرَ، وَجَعَلَهُ مُسَخَّرًا وَمُطِيعًا لِلشَّيْطَانِ يَقْبَلُ مَا يَأْمُرُهُ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، وَقِيلَ الْبَوْلُ عَلَى حَقِيقَتِهِ لِمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ مِمَّنْ نَامَ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ شَخْصًا أَسْوَدَ جَاءَ فَشَغَرَ بِرِجْلِهِ فَبَالَ فِي أُذُنَيْهِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: لَوْ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ لَوَجَدَهَا رَطْبَةً.(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) (١).

---

(١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح _ كتاب الصلاة _ باب التحريض على قيام الليل.

قال الابن معاذ: يا أبي ماهي الأسباب تمنع الإنسان من قيام الليل؟.

قال الأب: اسمع يا بني! ربما يقوم الإنسان من الليل ولا يستطيع حتى الوضوء وهناك عدة أسباب نذكر منها:

١) **المعاصي بأنواعها:** قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟ فقال: لا تعصه بالنهار وهويقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف .

قال سفيان الثوري (رحمه الله): حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته. قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلا يبكى فقلت في نفسي: هذا مراء (١).

قال رجل للحسن البصري (رحمه الله): يا أبا سعيد: إني أبيت معافى وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟فقال الحسن: أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ قَيَّدَتْكَ ذُنُوبُكَ(٢).

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: أَعْيَانِي قِيَامُ اللَّيْلِ؟ قَالَ: قَيَّدَتْكَ خَطَايَاكَ..

وعن إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبَرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ، يَقُولُ: إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَحْرُومٌ مُكَبَّلٌ كَبَّلَتْكَ خَطِيئَتُكَ (١).

---

١) إحياء علوم الدين للغزالي.

٢) المرجع السابق.

٢) أكل الحرام: قال سهل بن عبد الله التستري: مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَطَاعَ اللهَّ شَاءَ أَوْ أَبَى وَمَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ عَصَى اللهَّ شَاءَ أَوْ أَبَى(٢).

قال أحد الصالحين: أكلت (لقمة حلال) عند بعض الناس فوجدت بها حلاوة قيام الليل أربعين يوماً وأكلت (لقمة حرام) عند بعض الناس فوجدت بها الرغبة فى الزنا أربعين يوماً .

قال الابن محمد: أبي الغالي كنت فيما سبق ذكرتُ لنا قصتين في هذا الشـأن لرجلين شكيا للشيخ إنعام الحسن (٣) ورد عليهما، فذكرنا بهما لأنني قد نستهما.

قال الأب: نعم يا محمد ! زادك الله حرصا على التعلم.

أما الأولى: جاء رجل للشيخ إنعام (رحمه الله) قائلاً له: إن زوجتي وأولادي غير قابلين للدين.فما السبب؟! قال الشيخ: انظر من أي شيء تطعمهم ! قال الرجل:كيف؟! قال الشيخ: الجسم الذى نبت من حرام يرفض الحق، والجسم الذى نبت من حلال ينجذب إلى الحق.

والثانية: كنا في مركز الدعوة والتبليغ بقرية طموه جيزة في عام ١٩٩٢م، وسمعت أحد الأحباب كان يبين أحوال خروجه في بلاد الجهد(الهند وباكستان) فقال: استأذنت في اجتماع با كستان للدخول على الشيخ إنعام

---

١) حلية الأولياء لأبي نعيم» الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ _ رقم الحديث: ١١٧٢٥ .

٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

٣) أمير الدعوة والتبليغ بعد الشيخ يوسف (رحمه الله) بنظام الدين بالهند.

الحسن لزيارته في خيمته، والحمد لله أُذن لي، فجلست معه، وتحدثت معه في بعض الأمور الدعوية، ثم قلت له: في كثير من الأحيان أقوم من الليل لكي أُصلي ولكن لا أستطيع فماذا أفعل؟.

فقال لي: ماذا تعمل فقلت في الوظيفة الفلانية، فقال: متى تذهب للعمل ومتى تنصرف؟ قلت: أذهب للعمل في الساعة العاشرة صباحًا، وانصرف الساعة الثانية عشر ظهرًا. قال: وماهي مواعيد العمل الرسمية؟ قلت له: من الثامنة صباحا حتى الثانية مساءً. قال: التزم بهذه المواعيد. قلت له: كل الزملاء يفعلون مثلي؟. قال الشيخ: لا تنظر لغيرك. ولم يجبني عن عدم معرفتي للقيام بالليلن ففهمت أن الشيخ بنور البصيرة يرى أن عملي به شيء من الحرام لعدم التزامي بالمواعيد الرسمية.أ.هـ.

٣) العجب: داء خفي يصيب القلب وبه يستعظم عمله ويركن إليه، ويضيفه إلى نفسه مع نسيان إضافتها إلى المُنعم سبحانه وتعالى، فيحرم من العمل، وعلاج ذلك أن يحقق الفاتحة فالمرائي لا يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} والمعجب لا يحقق قوله :{ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فمن حقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} خرج عن الرياء ومن حقق قوله: { وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} خرج منه العجب ..فيرى شهود منة الله عليه ويرى تقصير نفسه ، فيرى آلاء الله ونعمه عليه، ويرى تقصير نفسه.

أبنائي الأعزاء ! إليكم الْأَسْبَابُ الْمُسَهِّلَةُ لِقِيَامِ اللَّيْلِ :

الأول: أَنْ لَا يُكْثِرَ الْأَكْلَ فَيُكْثِرَ الشُّرْبَ فَيَغْلِبَهُ النَّوْمُ وَيَثْقُلَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ.

الثاني: أَنْ لَا يَتْرُكَ الْقَيْلُولَةَ بِالنَّهَارِ فَإِنَّهَا سُنَّةُ الِاسْتِعَانَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ.

الثالث: أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ قِيَامِ اللَّيْلِ بِسَمَاعِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ حَتَّى يَسْتَحْكِمَ بِهِ رَجَاؤُهُ وَشَوْقُهُ إِلَى ثَوَابِهِ فَيُهَيِّجُهُ الشَّوْقُ لِطَلَبِ الْمَزِيدِ وَالرَّغْبَةِ فِي دَرَجَاتِ الْجِنَانِ.

الرابع: وَهُوَ أَشْرَفُ الْبَوَاعِثِ، الْحُبُّ وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ فِي قِيَامِهِ لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ إِلَّا وَهُوَ مُنَاجٍ بِهِ رَبَّهُ وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مَعَ مُشَاهَدَةِ مَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ، وَأَنَّ تِلْكَ الْخَطَرَاتِ مِنَ اللهِ تَعَالَى خِطَابٌ مَعَهُ، فَإِذَا أَحَبَّ اللهَ تَعَالَى أَحَبَّ لَا مَحَالَةَ الْخَلْوَةَ بِهِ وَتَلَذَّذَ بِالْمُنَاجَاةِ ، فَتَحْمِلُهُ لَذَّةُ الْمُنَاجَاةِ بِالْحَبِيبِ عَلَى طُولِ الْقِيَامِ(١).

الخامس: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع وعن فضول الدنيا.

السادس: أكل الحلال.

أبنائي المحترمين: أختم لكم بقصة عجيبة تبين لنا كيف نحن بحاجة إلى القدوة: يحكي: أن أحد الصبيان كان يتعلم القرآن في الكُتاب، فلما وصل إلي سورة المزمل وقرأها، رجع إلي بيته حزينا مهموما، فسأله أباه عن الذي أهمه؟ فقال: يا أبي قرأت سورة المزمل، والله عز وجل يقول: ﴿ يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾(٢) وأنا لم أراك تقوم الليل، فقال: يا بني هذا رسول الله! ومن يعمل مثل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟.

---

١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» كتاب الأذكار والدعوات.

١) سورة المزمل _ الآية من ١ : ٤.

فسكت الولد، ولكن في اليوم الثاني، قرأ قوله تعالي:﴿ إِنّ رَبّكَ يَعْلَمُ أَنّكَ تَقُومُ أَدْنَىَ مِن ثُلُثَيِ اللّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مّنَ الّذِينَ مَعَكَ وَاللّهُ يُقَدّرُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ عَلِمَ أَلّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مّرْضَىَ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصّلاَةَ وَآتُواْ الزّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدّمُواْ لأنفُسِكُمْ مّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ ﴾(١) فرجع إلي أبيه وقرأ على أبيه الآية، فقال: يا بني! هؤلاء الصحابة (ﭫ) ومن يستطيع أن يفعل مثلهم ؟.

فقال الصبي: يا أبي ! لا خير في من لا يقتدي بالنبي، وأصحابه.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



---

١) سورة المزمل – الآية ٢٠

الحلقة السابعة عشرة

باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

ثم قرأ لهم من كتاب رياض الصالحين كتَاب الأدَب باب الحياء وفضله والحث على التخلق به حتى انتهى من الباب بأكمله.

ونذكر بعض الأحاديث في الباب:

عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أخَاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: " دَعْهُ، فَإنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ" متفقٌ عَلَيْهِ .

وعن عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله (ﷺ):" الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ .

وعن أَبي هريرة ﷺ : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ:" الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إلهَ إلاَّ الله، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ" متفقٌ عَلَيْهِ.

قال الأب: اللهم ارزقنا هذا الخلق الذي كـان يتخلـق بـه الأنبيـاء وعـلى رأسهم سـيدنا محمـد(ﷺ) فقـد: كَـانَ رسـول الله ﷺ أشَـدَّ حَيـاءً مِـنَ العَـذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهه. متفقٌ عَلَيْهِ.

أبنائي الأعزاء: كيف نستحي من الله كما نسـتحي مـن المخلـوق، بـل يجـب أن نستحي مـن الله أكثـر مـن حيائنـا مـن مخلـوق مثلنـا، فـإذا جـاء وقـت الصـلاة نستحي منه ونقوم للصلاة، وإذا أتت أمامي امرأة أجنبية استحي من نظـر الله إليَّ وأغض بصري، واستحي أن يراني على معصيته.. ولا أجعل الله أهون النـاظرين إليَّ.. فالله هو أحق من أستحي منه.. فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «قَـالَ رَسُـولُ اللهَّ (ﷺ): اسْـتَحْيُوا مِـن اللهَّ حَـقَّ الْحَيَـاءِ، قَـالَ: قُلْنَـا: يَـا رَسُـولَ اللهَّ إِنَّـا نَسْـتَحْيي وَالْحَمْدُ للهَّ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِن اللهَّ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتذكَّر الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَـرَكَ زِينَـةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللهَّ حَقَّ الْحَيَاءِ»، (أخرجه الترمذي).

قال الابن محمد: ما الذي يجعل الإنسان يستحي من ربه ؟.

قال الأب: ابني الحبيب، هناك بعض الأمور تجلب الحياء من الله:

الأول: عندما ننشغل بأعمال الإيمان:(قراءة القرآن والذكر والمحافظة على الصلوات، وامتثال الأوامر والدعوة إلى الله) فيزداد الإيمان.

الثاني: رؤية آلاء الله ونعمه علينا، ورؤية تقصيرنا في حقه يولد الحياء منه: كما قال أَبي القاسم الجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: الحَيَاءُ: رُؤيَةُ الآلاءِ – أيْ النِّعَمِ – ورُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً (١).

الثالث: حياء يتولد من دوام المراقبة: كما في المدارج: حَيَاءٌ يَتَوَلَّدُ مِنْ عِلْمِ الْعَبْدِ بِنَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْهِ.

يَعْنِي: أَنَّ الْعَبْدَ مَتَى عَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيْهِ أَوْرَثَهُ هَذَا الْعِلْمُ حَيَاءً مِنْهُ . يَجْذِبُهُ إِلَى احْتِمَالِ أَعْبَاءِ الطَّاعَةِ، مِثْلَ الْعَبْدِ إِذَا عَمِلَ الشُّغْلَ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ نَشِيطًا فِيهِ، مُحْتَمِلًا لِأَعْبَائِهِ .. وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِحْسَانِ مِنْ سَيِّدِهِ إِلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِسَيِّدِهِ.. بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنْ سَيِّدِهِ وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَغِيبُ نَظَرُهُ عَنْ عَبْدِهِ.. وَلَكِنْ يَغِيبُ نَظَرُ الْقَلْبِ وَالْتِفَاتُهُ إِلَى نَظَرِهِ سُبْحَانَهُ إِلَى الْعَبِيدِ.. فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَابَ نَظَرُهُ، وَقَلَّ الْتِفَاتُهُ إِلَى نَظَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ : تَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ قِلَّةُ الْحَيَاءِ(٢).

قالت الابنة مريم: عرف لنا معنى الحياء ؟.

قال الأب: ابنتي الغالية ! قَالَ العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الحَقِّ.

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم للمصنف ١/ ٢٢١ ، وتحفة الأحوذي ٦/ ١٢٦ .

(٢) انظر : مدارج السالكين لابن القيم .

وقيل هو: تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان مِن خوف ما يُعَاب به ويُذَمُّ، ومحلُّه الوجه.(١).

قال الابن معاذ: وهل هناك فرق يا أبي بين الحياء والخجل ؟.

قال الأب: أجل يا بني! الخجل: معنى يظهر في الوجه لغمٍّ يلحق القلب، عند ذهاب حجَّةٍ، أو ظهور على ريبة، وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيبة.. والحَيَاء: هو الارتداع بقوَّة الحَيَاء.. والخَجَل ممَّا كان والحَيَاء ممَّا يكون.

قالت الأم: سيدي الفاضل هل للحياء أقسام؟.

قال الأب: نعم سيدتي الفاضلة!ينقسم الحَيَاء إلى قسمين:

القسم الأوَّل: حياء فطريٌّ: وهو الذي يُولَد مع الإنسان متزوِّدًا به، ومِن أمثلته: حياء الطِّفل عندما تنكشف عورته أمام النَّاس، وهذا النَّوع مِن الحَيَاء منحة أعطاها الله لعباده.

والقسم الثَّاني: حياء مكتسب: يكتسبه الإنسان بزيادة الإيمان، فيزداد بزيادة الإيمان وينقص بنقص الإيمان، ففي الحديث الذي مر:" وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ".

قالت الابنة مريم : لقد ذكر الله لنا في القرآن حياء ابنة شعيب عليها السلام: قال تعالى(فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) (١).وَاضِعَة ثَوْبَهَا عَلَى وَجْهِهَا (٢).

---

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (صـ ٦١).

قالوا: والحياء في المرأة يدل على عفتها.. والحياء في الرجل يدل على كرمه وأخلاقه.. والحياء في الولد يدل على أدبه وذكائه..والحياء خلق مرافق للإيمان ولا يأتي إلا بخير.

قال أعرابي: لا يزال الوجه كريما ما غلب حياؤه، ولا يزال الغصن نضيراً ما بقى لحاؤه. (٣).

أبنائي الأعزاء: ما نراه اليوم من خلاعة في النساء وبالـذات المـرأة الغربيـة، هو من قلة الحيـاء، فخرجـوا مـن الحيـاة الفطريـة الجميلـة إلى الحيـاة البهيمية الحيوانية التعيسة.. واعلم أن الحياء قد نزع منها.

قالت الأم: اليوم نريد أن نسمع بيان في الصفات الست.

قال الأب: ممن نسمع؟. قالت الأم: نسمع اليوم من الابن الغالي محمد.

تفضل يا بني الغالي!

قال الابن محمد: نصلي ونسلم على رسوله الكريم أما بعد:

إن الله عزيزٌ حكيم أعزَ الصحابة ونصرهم بصفاتٍ عديدةٍ من أهمها ست صفاتٍ إذا أتتْ في حياتنا يسهل علينا باقي الدين:

---

(١) سورة القصص _ الآية ٢٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة» كِتَابُ الْفَضَائِلِ» مَا ذُكِرَ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ الْفَضْلِ ... رقم الحديث: (٣١١٦٠).

(٣) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار المؤلف: محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (المتوفى: ٩٤٠هـ) المكتبة الشاملة.

الصفة الأولى:اليقين على الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله: لا إله إلا الله، أي لا مبعود بحق في هذا الوجود إلا الله.

الصفة الثانية: الصلاة ذات الخشوع والخضوع.

الصفة الثالثة: العلم مع الذكر.

الصفة الرابعة: الإكرام وحسن الخلق.

الصفة الخامسة: الإخلاص وتصحيح النية لله رب العالمين.

الصفة السادسة: الدعوة إلى الله تعالى، والتضحية في سبيله.

أحسنت يا محمد اليوم ذكرتها باختصار وفي الحلقات القادمة إن شاء الله سوف تذاكر لنا فيها بالتفصيل.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الثامنة عشرة

باب الصبر

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

قالت الأم: اليوم نريد مذاكرة في آداب حلقة التعليم.

قال الأب: أحسنت أيها الفاضلة ! نجلس في حلقة التعليم مرارا وتكرارا باليقين على كلام الله وكلام الرسول حتى يتأثر القلب بالوعد والوعيد، فنقبل على الصالحات وننفر من المنكرات.

ونجلس في الحلقة: بالتصديق لكلام الله وكلام الرسول.

ونجلس في الحلقة بالتعظيم: لكلام الله وكلام الرسول.

ونجلس في الحلقة بالتصبر: إنما الصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم.

ثم قرأ لهم من كتاب رياض الصالحين (باب الصبر) حتى انتهى من الباب بأكمله.

ونذكر بعض الأحاديث في الباب:

عن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ:" عَجَباً لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضَراءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ " رواه مسلم .

وعن أنَسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ(١) النَّبيُّ (ﷺ) جَعلَ يَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: وَاكَربَ أَبَتَاهُ. فقَالَ:" لَيْسَ عَلَى أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ " فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ ! يَا أَبتَاهُ، جَنَّةُ الفِردَوسِ مَأْوَاهُ ! يَا أَبَتَاهُ، إلَى جبْريلَ نَنْعَاهُ ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضي الله عنها: أَطَابَتْ أنْفُسُكُمْ أنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُول الله(ﷺ) التُّرَابَ؟! رواه البخاري .

وعن أبي زَيدٍ أُسَامَةَ بنِ زيدِ بنِ حارثةَ مَوْلَى رسولِ الله (ﷺ) وحِبِّه وابنِ حبِّه رضي اللهُ عنهما، قَالَ: أرْسَلَتْ بنْتُ النَّبيِّ(ﷺ)إنَّ ابْني قَد احْتُضِرَ فَاشْهَدنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرىءُ السَّلامَ، ويقُولُ:" إنَّ لله مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعطَى وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِأجَلٍ مُسَمًّى فَلتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ" فَأَرسَلَتْ إلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيهِ لَيَأتِيَنَّهَا. فقامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ، وَرجَالٌ ﷺ،

---

(١) ثقل: من شدة المرض . وفي الحديث: جواز التوجع للميت عند احتضاره ، أما قولها بعد أن قبض ، فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفاً بها لا يمنع ذكره بها بعد موته، بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهراً وهو في الباطن بخلاف ذلك أو لا يتحقق اتصافه بها فيدخل المنع . دليل الفالحين ١/ ١٨٠ .

فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) الصَّبِيُّ، فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ(١)، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رسولَ الله، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ:" هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ".وفي رواية:" فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَمَاءَ " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

انتهت القراءة من باب الصبر.. وبدأت الأسرة تدارس مع الوالد ما سمعوه في الباب وما أُشكل عليهم فهمه.

قالت الأم: سيدي الفاضل ما معنى الصبر؟.

قال الأب: الصَّبْرُ هو: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ (بالمقدور)، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى، وَحَبْسُ الجَوَارِحِ عَنِ المعصية(كلطم الخدود وشق الجيوب ونتف الشعر وأفعال الجاهلية، أو بألفاظ يكون فيها الاعتراض على الله).

الصبر هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه.

قال الابن معاذ: لماذا سمي الصبر صبراً؟.

قال الأب: حكى أبو بكر بن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال: إنما سمي الصبر صبرًا ؛ لأن تمرره في القلب وإزعاجه للنفس كتمرر الصبر(٢) في الفم(٣).

---

(١)وَمَعنَى ((تَقَعْقَعُ)) : تَتَحرَّكُ وتَضْطَرِبُ .

(٢) الصبر: هو الدواء المر المعروف. انظر: ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٤/ ٣١٧).

(٣) ذم الهوى لابن الجوزي (ص ٥٨).

قالت الأب: الصبر هو عطاءمن الله لعباده، ولذا لا نطلب الصبر إلا منه، ففي الحديث: " وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" مُتَّفَقٌ عليه .

قال الابن محمد: إن أعظم الصبر هو صبر الأنبياء على آداء الرسالة وتبليغ الأمانة؟.

قال الأب: أحسنت يا بني! فما نيلت الإمامة إلا بهذا الصبر مع اليقين، قال تعالى: (وَجَعَلْنا مِنهم أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ) (١).

قال الابن معاذ: الإمامة هي أن يصلي بالناس إماما ؟.

فتبسم الأب وقال: الإمامة أوسع من ذلك يا بني، قال أهل التفسير: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً قَادَةً فِي الْخَيْرِ يُقْتَدَى بِهِمْ، ﴿يَهْدُونَ﴾ يَدْعُونَ، ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

فالإمام هو القدوة التي يقتدى به.

قالت الابنة مريم: أبي! لماذا لم يذهب النبي لابنته عندما أرسلت إليه(إنَّ ابْني قَد احْتُضِرَ فَاشْهَدنَا)؟.

قال الأب: إن مسؤولية الدعوة كانت على عاتق النبي، وكان النبي مشغولا بها، هذا هو الأمر الأول.

(١) سورة السجدة _ الآية ٢٤.

والأمر الثاني: ليتضح للأمة من بعده بفعلـه، أهميـة مسـؤولية الـدين وأنهـا فوق كل مسؤولية وقبلها.. وأن كل مسؤولية أمام مسؤولية الدين فهي صغيرة.

قال الابن محمد: قد لا حظنا من نفس الحديث، أن كثير مـن الأصـحاب في ذلك الوقت كانوا مع النبي(فقامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمُعَـاذُ بْـنُ جَبَـلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ، وَرجَالٌ)، هل كانوا يتركون أعمالهم الدنيوية؟.

قال الأب: لا يا بني، بل كانوا يفرغون وقتا يوميا للدين، وهذا يؤيده فعل عمر بن الخطاب في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّـاسٍ عَـنْ عُمَـرَ قَـالَ كُنْـتُ أَنَـا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَـوَالِي الْمَدِينَـةِ وَكُنَّـا نَتَنَـاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُـهُ بِخَـبَرِ ذَلِـكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَنَزَلَ صَـاحِبِي الْأَنْصَـارِيُّ يَـوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ أَثَمَّ هُوَ فَفَزِعْـتُ فَخَرَجْـتُ إِلَيْـهِ فَقَـالَ قَـدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقَكُنَّ رَسُـولُ اللَّهِ (ﷺ)قَالَتْ لَا أَدْرِي ثُمَّ دَخَلْـتُ عَـلَى النَّبِـيِّ (ﷺ)فَقُلْـتُ وَأَنَـا قَـائِمٌ أَطَلَّقْـتَ نِسَاءَكَ قَالَ لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ(١).

ربنا سماهم في القرآن رجال بمعنى الكلمة، فالرجل لا يظهر بمعناه إلى في ميدان الرجولة ميدان الدعوة ونشضر الدين وتحمل تبعاته، وإيثار التضـحية مـن أجلـه عـلى الأهل والأبناء.

---

(١)صحيح البخاري » كتاب العلم » بَاب التَّنَاوُبِ فِي الْعِلْمِ(٨٩).

قال الأب: وفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) انْتِقَالٌ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى .

فَالصَّبْرُ دُونَ الْمُصَابَرَةِ .. وَالْمُصَابَرَةُ دُونَ الْمُرَابَطَةِ وَالْمُرَابَطَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الرَّبْطِ وَهُوَ الشَّدُّ.. وَسُمِّي الْمُرَابِطُ مُرَابِطًا لِأَنَّ الْمُرَابِطِينَ يَرْبِطُونَ خُيُولَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَزَعَ.

ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مُنْتَظِرٍ قَدْ رَبَطَ نَفْسَهُ لِطَاعَةٍ يَنْتَظِرُهَا: مُرَابِطٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ (ﷺ): أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"، وَقَالَ:"رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ".

وَكَمَا أَنَّ الرِّبَاطَ لُزُومُ الثَّغْرِ لِئَلَّا يَهْجُمَ مِنْهُ الْعَدُوُّ .. فَكَذَلِكَ الرِّبَاطُ أَيْضًا لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ لِئَلَّا يَهْجُمَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، فَيَمْلِكَهُ وَيُخَرِّبَهُ أَوْ يُشَعِّثَهُ (١).

فالصبر يزيل الهموم، ويريح القلب المحزون، ويجلب الرضا بالمقدور.

وبعد مدارسة الحديث النبوي في هذه الحلقة المباركة:

قال الابن معاذ: نريد في هذه الحلقة أن نسمع عن صفات الله تعالى.

قال الأب: أحسنت! فحياة القلوب بمعرفة الله تعالى، وموت القلوب بعدم معرفته سبحانه وتعالى.

---

(١)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » فصل في منازل إياك نعبد » فصل منزلة الصبر » فصل أنواع الصبر » الصبر بالله ولله ومع الله _ فَصْلٌ أَنْوَاعُ الصَّبْرِ.

اليوم أتحدث معكم عن صفة(البصير ـ السميع ـ العليم): قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١)، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(٢) ، ﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٣) .

البصير: الذي لكمال بصره، أحاط بصره جميع المرئيات، وأبصر جميع المبصرات، بل يبصر جميع المعدومات، التي سوف تكون في حيز الوجود، يبصر الأشياء على ما ستؤولُ إليه، ويعلم حقائقها، ودقائقها، وما وراءها من المقاصد والغايات.

فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى نياط عروقها ومجارى القوت في أعضائها.

ويرى ما تحت الأراضي السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (٤) يرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك.

ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان، قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾(٥)،﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا

---

(١) سورة غافر ـ الآية ٢٠ .

(٢) سورة النساء ـ الآية ١٣٤.

(٣) سورة طـه– الآية ٤٦ .

(٤) سورة العلق – الآية ١٤ .

(٥) سورة الشعراء – الآيتان ٢١٨ ، ٢١٩.

تُخْفِي الصُّـــــدُورُ﴾(١)،﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٢)، ﴿ والله على كل شيءٍ شهيد ﴾(٣)، أي مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات.

السميع: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، والذي لكمال سمعه وسع سمعه الأصوات، يسمعُ ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فلا تختلف عليه، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا يشغله صوت عن صوت، ولا يغيب عنه صوت ، ولا يخفى عليه صوت دبيب النملة، أو حركة الذرة، أو ذبذبات الصخور في أعماق البحار، أو في أعالِ الجبال، لا يغيب عن سمعه المعدومات وهي التي لم تدخل في حيز الوجود بعد ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح (ذوي الحاجات) الملحين ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾(٤). الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر.

فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا.. وكذا.. في وقت كذا.. وكذا ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٥).

---

(١) سورة غافر – الآية ١٩.

(٢) سورة طه – الآية ٧ .

(٣) سورة البروج – الآية ٩ .

(٤) سورة الرعد – الآية ٢٠ .

(٥) سورة آل عمران – الآية ٥.

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١)،﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾(٢)

، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)، ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤)، ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥).

أحاط الله – ﷻ – بكل شيء علما وأحصى كل شيء عدداً ووسع كل شيء رحمة وعلماً وعدلاً .. العالم بكل شيء .. ولكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم ، وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .. لا يتقيد علمه بزمان ولا مكان.. ولا يعتريه النسيان .. ولم يسبق علمه جهل.

---

(١) سورة التغابن– الآية ٤ .

(٢) سورة سبأ– الآية ٢ .

(٣) سورة المجادلة– الآية ٧.

(٤) سورة يونس – من الآية ٦١.

(٥) سورة لقمان– الآية ١٦.

يعلم دبيب الخواطر في القلوب.

عليم بالجزئيات كما هو عليم بالكليات .

عليم بدقائق الأمور وأسرار المقدور وهو بالظاهر بصير وبالباطن خبير.

لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد حبات الرمال وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره ، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

وما تسقط من ورقة إلا يعلمها: متى نبتت؟، ومتى سقطت؟، ولما سقطت؟، وأين سقطت؟، وفي أي شيء سقطت ؟.

قائم على كل نفسٍ بما كسبت، مدبر لشئون خلقه وفق حكمةٍ بالغةٍ، وإرادة نافذةٍ، وقدرة منفذةٍ، فله القدرة التامة، والمشيئة النافذة والعلم المحيط بما كان وبما سيكون وبما هو كائن.

دعاء:

اللَّهُمَّ! لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ عَلانِيَتُهُ وَسِرُّهُ ، أَهْلُ الحَمْدِ أَنْتَ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

---

(١) سورة الأنعام– الآية ٥٩ .

اللَّهُمَّ! لك الحمد علي ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة، وألائك الجسيمة،حيث أرسلت إلينا أفضل رسلك، وأنزلت علينا أشرف كتبك ،وشرعت لنا أفضل شرائع دينك، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس.

(آمين)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة التاسعة عشرة

باب الرجاء

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأبحلقة القرآن والتجويد.

ثم حمل كتاب رياض الصالحين، وقرأ بَابُ الرجاء، حتى أتى على آخره.

ونذكر طرفا منها:

قال الله تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

الحديث الأول: عَنْ وعن أَبي هريرة – أَوْ أَبي سعيد الخدري رضي الله عنهما – شك الراوي – ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَينِ الصَّحَابيّ؛ لأنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ – قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزوَةُ تَبُوكَ ، أصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فقالوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا(٢) فَأكَلْنَا وَادَّهَنَّا(٣)؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: (افْعَلُوا) فَجاء عُمَرُ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ ، وَلَكِن ادعُهُمْ بفَضلِ

---

(١) سورة الزمر – الآية ٥٣ .

(٢) قال النووي في شرح صحيح مسلم ١/ ٢٠٤ (٣٣) : ((أي الإبل التي يسقى عليها)) .

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم ١/ ٢٠٤ (٣٣) : ((ليس مقصوده ما هو معروف من الأدهان وإنما معناه : اتخذنا دهناً من شحومها)) .

أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ الله أنْ يَجْعَلَ فِي ذلِكَ البَرَكَةَ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:" نَعَمْ " فَدَعَا بِنَطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفضلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بكَفّ ذُرَة وَيَجِيءُ بِكَفّ تمر وَيجيءُ الآخرُ بِكِسرَة حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النّطعِ مِنْ ذلِكَ شَيء يَسيرٌ، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ:" خُذُوا فِي أوعِيَتِكُمْ" فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهم حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلأوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ فقَالَ رَسُول الله ﷺ :" أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَأَنّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى الله بِهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ " رواه مسلم(١).

فائدة: انظروا يا أبنائي ! كيف استأذن الصحابة والنبي أذن لهم ، ولكن بعد إذن النبي لا يحق لأحد أن يأتي بأمره ويمنع، ولكن سيدنا عمر منعهم، وذهب للرسول وراجع الرسول في الأمر ووافقه النبي(ﷺ)، فكيف كانت مكانة رأي الصحابة عند النبي(ﷺ) ؟..ولو واحد يقول لنا أن نغضب عليه ونبعده ونخرجه من التبليغ.. لأننا كبرت نفوسنا بهذا العمل ولم نتواضع، فعلينا أن نمحي نفوسنا، إذا سألنا أحد فيما فعلنا نغضب وما نتحمله أبدا.

الحديث الثاني: عن عِتْبَانَ بن مالك ﷺ وَهُوَ مِمَّن شَهِدَ بَدراً ، قَالَ: كنت أُصَلِّي لِقَوْمِي بَني سَالِمٍ ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَار، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مسْجِدِهم، فَجِئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت لَهُ: إنّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَإنَّ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَومِي يَسيلُ إِذَا جَاءتِ الأمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي بَيْتِي مَكَاناً أَتَّخِذُهُ مُصَلّى، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:"

(١) تنوير الأفهام.

سَأفْعَلُ" فَغَدَا رسولُ الله ﷺ وَأَبُو بكر ﷺ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُول الله ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ:" أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟" فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُول الله ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزيرَةٍ(١) تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أهلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ فِي بَيْتِي فَثَابَ رِجالٌ(٢) مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أَرَاهُ ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ :" لا تَقُلْ ذلِكَ، ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغي بذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى " فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ أمَّا نَحْنُ فَوَالله مَا نَرى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إلاَّ إِلَى المُنَافِقِينَ ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:" فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ الله " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

الحديث الثالث: وعن عمر بن الخطاب ﷺ ، قَالَ: قدِم رَسُول الله ﷺ بسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبياً في السَّبْيِ أخَذَتْهُ فَألْزَقَتهُ بِبَطْنِهَا فَأَرضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:" أتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ ؟" قُلْنَا: لاَ وَالله . فَقَالَ: " للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وانتهى الأب من قراءة الباب بأكمله.

---

(١) وَ((الخَزِيرَةُ)) بالخاءِ المعجمةِ والزاي : هِيَ دَقيقٌ يُطْبَخُ بِشَحم.

(٢) ((ثَابَ رِجَالٌ)) بِالثاءِ المثلثةِ : أيْ جَاؤُوا وَاجْتَمَعُوا .

قال الابن معاذ: لقد قرأت لنا هذه الحلقة آية عجيبة يجب الوقوف عندها﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١) هل كل الذنوب تغفر وبدون توبة؟.

قال الأب: _ سؤال جميل يا معاذ _ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَعْوَةٌ لِجَمِيعِ الْعُصَاةِ مِنَ الْكَفَرَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ .

وَلَا يَصِحُّ حَمْلُ هَذِهِ [الْآيَةِ] عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يُغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ.. ففي الْبُخَارِيُّ : قَالَ يَعْلَى : إِنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا) أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا . فَأَتَوْا مُحَمَّدًا – ﷺ- فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةٌ . فَنَزَلَ :(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِّ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ)(٢)، وَنَزَلَ قَوْلُهُ:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِّ) (٣).

---

(١) سورة الزمر – الآية ٥٣ .

(٢) سورة الفرقان – الآية ٦٨.

(٣) سورة الزمر – الآية ٥٣.

ثم قال الأب: ولهذه الآية شأن في رجوع عياش بن أبي ربيعة للإسلام بعد أن فتن رواها ابْنُ إِسْحَاقَ.

قالت الابنة مريم: نريد أن نسمعها منك يا أبي.

قال الأب: عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: اتَّعَدْتُ لَمَّا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ التَّنَاضِبَ(١)، مِنْ أَضَاةِ(٢). بَنِي غِفَارٍ فَوْقَ سَرِفَ، وَقُلْنَا: أَيُّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا؛ فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ. قَالَ: فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعَيَّاشٌ عِنْدَ التَّنَاضِبِ، وَحُبِسَ هِشَامٌ وَفُتِنَ فَافْتَتَنَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، إِلَى عَيَّاشٍ - وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا - حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللهِّ - ﷺ- بِمَكَّةَ فَكَلَّمَاهُ، وَقَالَا لَهُ: إِنَّ أُمَّكَ قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتَّى تَرَاكَ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَاكَ فَرَقَّ لَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ وَاللهِّ إِنْ يُرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتِنُوكَ عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ ، فَوَاللهِّ لَوْ قَدْ آذَى أُمَّكَ الْقَمْلُ لَامْتَشَطَتْ، وَلَوْ قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ لَاسْتَظَلَّتْ . قَالَ: فَقَالَ : أَبَرُّ قَسَمَ أُمِّي وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَآخُذُهُ. قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِّ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي، وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا . قَالَ: فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ قُلْتُ: أَمَا إِذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا

---

(١) التناضب وأضاة بني غفار: موضع واحد، والتناضب شجرات في هذه الأضاة، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي.

(٢) الأضاة: أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين.

فَعلْتَ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ؛ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ، فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَكَ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا. فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا أَخِي، وَاللهِ لَقَدِ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ . قَالَ: بَلَى . فَأَنَاخَ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوَا عَلَيْهِ، فَأَوْثَقَاهُ رِبَاطًا، ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ وَفَتَنَاهُ فَافْتَتَنَ . قَالَ عُمَرُ: فَكُنَّا نَقُولُ: لَا يَقْبَلُ اللهُ مِمَّنِ افْتَتَنَ تَوْبَةً . وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- الْمَدِينَةَ ، وَأَنْزَلَ اللهُ :(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (١) . قَالَ عُمَرُ: فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ ابْنِ الْعَاصِ، قَالَ هِشَامٌ: فَلَمَّا أَتَتْنِي جَعَلْتُ أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًى أُصَعِّدُ بِهَا فِيهِ وَأُصَوِّبُ، وَلَا أَفْهَمُهَا حَتَّى قُلْتُ: اللَّهُمَّ فَهِّمْنِيهَا. فَأَلْقَى اللهُ فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِينَا . قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ - ﷺ- بِالْمَدِينَةِ (٢).

قالت الأم: انظروا يا أبنائي ! كم كانوا حريصين على هداية بعضهم.

---

(١) سورة الزُّمَرِ : الآيات من ٥٣ – ٥٥.

(٢) البداية والنهاية » كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » بَابُ بَدْءِ الْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ٤/ ٤٢٠.

وقال الابن محمد: ما شاء الله قصة عجيبة تبين أهمية دعوة الرسائل التي غفل عنها الكثير منا.

وقال الابن معاذ: نأخذ من قول عياش[فَلَمَّا أَتَتْنِي جَعَلْتُ أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًى أُصَعِّدُ بِهَا فِيهِ وَأُصَوِّبُ، وَلَا أَفْهَمُهَا حَتَّى قُلْتُ: اللَّهُمَّ فَهِّمْنِيهَا]إذا أشكل علينا أمر يجب علينا أن نتوجه الله أن يفهمنا.

قال الأب: ومن أجمل ما فيها تضحية عمر بماله وناقته من أجل حرصه على هداية عياشه وخوفه عليه من الفتنة وَاللهِّ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي، وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا. قَالَ:(فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ قُلْتُ: أَمَا إِذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ؛ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ، فَالْزَمْ ظَهْرَهَا ، فَإِنْ رَابَكَ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا).

قالت الابنة مريم: أبي الغالي! إنهم كانوا يحبون بعضهم البعض، فلم يشمت عمر بأخيه، ولم يتشفَّ منه؛ لأنه خالفه، ورفض نصيحته، وألقى برأيه خلف ظهره، إِنَّما كان شعور الحبِّ والوفاء لأخيه هو الَّذي يسيطر عليه، فما أن نزلت الآية حتَّى سارع بإرسالها إليه، وإِلى كلِّ المستضعفين هناك.

قال الأب: أجل يا بنيتي! ألم تسمعي قول الله تعالى :(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِّ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١).

قالت الأب: وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَمْعٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهَا أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ .

قالت الابن محمد : هل فرغتم من مذاكرة الآية الشريفة(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)؟.

قالوا جميعا: نعم.

قال الابن محمد: لا يفوتني أن أذكر لكم ما أثر في نفسي من حديث عتبان بن مالك: فَقَالَ رَجُلٌ : مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أرَاهُ ! فَقَالَ رَجُلٌ : ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ(وما أكثرهم اليوم المتسرعون في أعراض الناس، ينظرون إلى الظواهر وهم لا يعلمون السرائر والبواطن، فيكيلون للناس التُّهم ويقعون في أعراضهم) ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ (ذابا عن عرض أخيه المسلم):" لا تَقُلْ ذلِكَ، ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغي بذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى " فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ أمَّا نَحْنُ فَوَالله مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إلاَّ إلَى المُنَافِقينَ ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ:" فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ الله " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

إن رسول الله(ﷺ) يعلمنا كيف نذب عن أعراض المسلمين، وأنا اشهدكم يا إخواني أنني من اليوم لا أقع في أعراض المسلمين حتى ولو بدا لي شيئا مخالفا، وأوكل سرائرهم إلى الله.

---

(١) سورة الحشر : الآيتان ٨، ٩.

قالت الأم: حفظك الله يا بني أنت وإخوانك والمسلمين من الوقوع في شر هذه الغيبة.

قال الابن محمد: آمين.

قالت الأم: وحدث مثل هذا في غزوة تبوك، كما مر علينا الحديث أذكركم به: فَقَالَ (النبي): وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. (١).

كم كانت هذه النفوس طيبة ترد غيبة بعضها .

فهل أنتم مستعدين يا ابنائي التخلق بهذه الصفة الجميلة.

قالوا جميعا: نعم يا أماه.

قالت الأب: ونحن في باب الرجاء يجب أن نعلم أن لطلب القرب منه سبحانه وتعالى بعبوديته ومحبته، يتوجب علينا ثلاث مقامات(المحبة والخوف والرجاء) وهذه الثلاث بني عليها الإيمان.

قالت الابنة مريم: عرف لنا الرجاء يا أبي.

قالت الأب: الرجـاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى .**وقيل:** هو الثقة بجود الرب .**وقيل:** هو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة.

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري ومسلم.

قالت الأم: سيدي الفاضل! هل هناك فرق بين التمني والرجاء؟ .

قال الأب: نعم سيدتي الفاضلة!

التمني: يكون مع الكسل بدون الجهد والتعب والاجتهاد، مثل: من يتمنى أن تكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها أو كالذى يبذره فى أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها الماء، ولم يتعهدها أصلاً، ثم انتظر الحصاد فهذا يسمى انتظاره حُمقاً وغروراً وتمنياً لا رجاء .

والرجاء: يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، مثل : رجل له أرضاً طيبة فشقها وفلحها فألقى فيها بذراً حميداً، ثم ساق اليها الماء فى أوقات الحاجة، ونقى الأرض من الشوك والحشائش، وما يفسد الأرض ثم جلس ينتظر من فضل الله ﷻ دفع الصواعق والآفات والحشرات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته فهذا يسمى انتظاره رجاء .

فالعبد إذا ثبت بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب من شكوك الأخلاق الرديئة، وطلب من الله: أن يثبته على ذلك إلى الموت " اللهم يا مثبت القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك ".

وحسن الخاتمة ، المفضية إلى المغفرة .. كان انتظاره لذلك رجاءاً محموداً ، باعثاً على المواظبة على الطاعات ، والقيام بمقتضى الإيمان حتى الموت .

وإن انهمك فى طلب الدنيا ، وانشغل عن الطاعات، وترك قلبه مشحونا برزائل الأخلاق.. كان ذلك حمقاً وغروراً، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ

خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخرةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمة الله عليه: فخلف من بعد الجيل الذين منهم الصالح والطالح، خلق آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة الكتاب والتوراة، قال مجاهد: هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك يقاضون عن بذل الحق ونشره، بعَرض الحياة الدنيا، ويسوفون أنفسهم، ويعدونها بالتوبة، كلما شرف لهم شيء في الدنيا أخذوه حلالاً كان، أم حراماً ويتمنون المغفرة (٢) قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً﴾ (٣) مع كفره وعناده وتجبره وإنكاره المعاد قال تعالى ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ (٤) قال ذلك اغتراراً منه، لما رأى فيها من الزروع، والثمار، والأشجار، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها.. ظن أن لا تفرغ، ولا تفنى، ولا تهلك، ولا تتلف، لقلة عقله، وضعف يقينه بالله ﷻ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة (٥) .

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٦٩ .

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين .

(٣) سورة الكهف – الآية ٣٥ .

(٤) سورة الكهف – الآية ٣٦ .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ـ مختصر تفسير ابن كثير .

ولهذا قالوا الرجاء ثلاثة أنواع :

(١) رجل عمل بطاعة الله ، على نور من الله ، رجاء ثواب الله .

(٢) ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها ، فهو يرجو لمغفرة الله ﷻ وإحسانه وجوده وكرمه وحلمه .

(٣) رجل متمادٍ فى التفريط والخطايا ، يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو المغرور المتمنى صاحب الرجاء الكاذب .

ولهذا أجمع العارفون على أن: الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

قال معروف الكرخى: رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان ، وحمق، ولذلك قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

وبعد مدارسة الحديث النبوي في هذه الحلقة المباركة:

قال الأب: نريد أن نسمع منك يا مريم بيان في الصفات الست.

قالت الابنة مريم: حاضر يا أبي! ثم قالت: معنى: " لا إله إلا الله " أنه لا معبود بحق إلا الله .. ومقصد(لا إله إلا الله): أن نتيقن بأن الله قادر على كل شيء بدون المخلوقات، بدون الأسباب وأن نتيقن بأن المخلوقات مع جميع الأسباب لا يقدرون على شيء بدون إرادة الله ﷻ:(فالله ﷻ قادر على إزالة الجوع بدون الطعام.. وقادر على إزالة العطش بدون الماء.. وقادر على إعطاء

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢١٨ .

الشفاء بدون الدواء.. وقادر على خلق الثمر بدون الشجر.. وقادر على خلق الإنسان وتربيته بدون الوالدين.. وقادر على إنبات النبات بدون المطر.. وقادر على إحراق الشيء بدون النار.. وقادر على قضاء الحوائج بدون أي سبب وأي كسب.. وقادر على إعطاء العزة في صورة الذلة وقادر على إنزال الذلة في صورة العزة.. وقادر على إعطاء النجاة في صورة الهلاك، وعلى إعطاء الهلاك في صورة النجاة.. وقادر على إعطاء الغلبة لفئة قليلة بدون السلاح..وقادر على إتيان الخوف في صورة الأمن، والأمن في صورة الخوف).

وخلاصة الكلام: أن العزة والذلة والمرض والصحة والضر والنفع والأمن والخوف والصلح والحرب والفتح والهزيمة والضحك والبكاء والفقر والغنى والحياة والموت ..الخ .

كل ذلك بيد الله ﷻ وتصرفه وهو لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا إلى أي سبب والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله في خلقهم وصفاتهم واستعمالهم والمخلوقات كلها لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا يملكون ضراً ولا نفعاً .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة العشرون

بَابُ المجاهدة

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

قال الأب: نجلس في حلقة التعليم بالتوجه، نوجه (السمع والبصر والقلب) قال تعالى:(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(١). شهيد: أي حاضر القلب.

ونصبر أنفسنا حتى ولو تكرر الكلام لأن المقصود تأثر القلب.

ثم حمل كتاب (رياض الصالحين) وقرأ من باب المجاهدة.

ونذكر طرفا من الحلقة:

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾ .

(١) سورة ق– الآية ٣٧.

وأما الأحاديث: فالأول: عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُـول الله ﷺ: " إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عادى لي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أحِبَّهُ، فَإذَا أَحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا، وَإنْ سَأَلَني أعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ " رواه البخاري.

الثاني: عن أنس ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه ﷻ، قَالَ: " إذَا تَقَربَ العَبْدُ إلَيَّ شِبْراً تَقَربْتُ إلَيْه ذِرَاعاً، وَإذَا تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِرَاعاً تَقَربْتُ مِنهُ بَاعاً، وإذَا أتَانِي يَمشي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "(١) رواه البخاري.

الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: " نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ " رواه البخاري (٢).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٦٢٨ (٧٥٣٦) : (معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله، وتقربه سبحانه من عبده إثابته).

(٢) هو أن يبيع شيء غاليا بثمن رخيص، أو يشتري شيئا رخيصا بثمن غالٍ.

وإليك أقوال أهل العلم في ذلك:

قَالَ اِبْن بَطَّال : مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْمَرْء لَا يَكُون فَارِغًا حَتَّى يَكُون مَكْفِيًّا صَحِيح الْبَدَن فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يَغْبِن بِأَنْ يَتْرُك شُكْر اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ،وَمِنْ شُكْره اِمْتِثَال أَوَامِره وَاجْتِنَاب نَوَاهِيه ، فَمَنْ فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُون .وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ " كَثِير مِنْ النَّاس " إِلَى أَنَّ الَّذِي يُوَفَّق لِذَلِكَ قَلِيل .

الرابع: عن عائشة رَضي الله عنها : أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ(١) قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ

وَقَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ: قَدْ يَكُون الْإِنْسَان صَحِيحًا وَلَا يَكُون مُتَفَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُون مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُون صَحِيحًا ، فَإِذَا اِجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَل عَنْ الطَّاعَة فَهُوَ الْمَغْبُون، وَتَمَام ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَة الْآخِرَة، وَفِيهَا التِّجَارَة الَّتِي يَظْهَر رِبْحهَا فِي الْآخِرَة، فَمَنْ اِسْتَعْمَلَ فَرَاغه وَصِحَّته فِي طَاعَة اللهَّ فَهُوَ الْمَغْبُوط، وَمَنْ اِسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَة اللهَّ فَهُوَ الْمَغْبُون، لِأَنَّ الْفَرَاغ يَعْقُبهُ الشُّغْل وَالصِّحَّة يَعْقُبهَا السَّقَم ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَم كَمَا قِيلَ: يَسُرّ الْفَتَى طُول السَّلَامَة وَالْبَقَا فَكَيْف تَرَى طُول السَّلَامَة يَفْعَل يَرُدّ الْفَتَى بَعْد اِعْتِدَال وَصِحَّة يَنُوء إِذَا رَامَ الْقِيَام وَيُحْمَل.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: ضَرَبَ النَّبِيّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُكَلَّفِ مَثَلًا بِالتَّاجِرِ الَّذِي لَهُ رَأْس مَال ، فَهُوَ يَبْتَغِي الرِّبْح مَعَ سَلَامَة رَأْس الْمَال ، فَطَرِيقه فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَحَرَّى فِيمَنْ يُعَامِلهُ وَيَلْزَم الصِّدْق وَالْحِذْق لِئَلَّا يُغْبَن ، فَالصِّحَّة وَالْفَرَاغ رَأْس الْمَال، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَامِل اللهَّ بِالْإِيمَانِ، وَمُجَاهَدَة النَّفْس وَعَدُوّ الدِّين ، لِيَرْبَح خَيْرَيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَقَرِيب مِنْهُ قَوْل اللهَّ تَعَالَى (هَلْ أَدُلّكُمْ عَلَى تِجَارَة تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَاب أَلِيم) الْآيَات .

وَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِب مُطَاوَعَة النَّفْس وَمُعَامَلَة الشَّيْطَان لِئَلَّا يُضَيِّع رَأْس مَاله مَعَ الرِّبْح .

وَقَوْله فِي الْحَدِيث" مَغْبُون فِيهِمَا كَثِير مِنْ النَّاس" كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَقَلِيل مِنْ عِبَادِي الشَّكُور) فَالْكَثِير فِي الْحَدِيث فِي مُقَابَلَة الْقَلِيل فِي الْآيَة .

وَأَمَّا الْحَيَاة وَالصِّحَّة فَإِنَّهُمَا نِعْمَة دُنْيَوِيَّة، وَلَا تَكُون نِعْمَة حَقِيقَة إِلَّا إِذَا صَاحَبَتْ الْإِيمَان وَحِينَئِذٍ يُغْبَن فِيهَا كَثِير مِنْ النَّاس أَيْ يَذْهَب رِبْحهمْ أَوْ يَنْقُص ، فَمَنْ اِسْتَرْسَلَ مَعَ نَفْسه الْأَمَّارَة بِالسُّوءِ الْخَالِدَة إِلَى الرَّاحَة فَتَرَكَ الْمُحَافَظَة عَلَى الْحُدُود وَالْمُوَاظَبَة عَلَى الطَّاعَة فَقَدْ غُبِنَ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فَارِغًا فَإِنَّ الْمَشْغُول قَدْ يَكُون لَهُ مَعْذِرَة بِخِلَافِ الْفَارِغ فَإِنَّهُ يَرْتَفِع عَنْهُ الْمَعْذِرَة وَتَقُوم عَلَيْهِ الْحُجَّة . (الحافظ ابن حجر في الفتح).

(١) أي تشققت .

مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ:" أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، هَذَا لفظ البخاري .

وبعد الفراغ من قراءة الباب:

قال الابن محمد: هل معنى كلمة المجاهدة هي الجهاد في سبيل الله يا أبي ؟.

قال الأب: إن كلمة الجهاد في كتب المتقدمين تطلق على القتال، والقتال هو نوع من أنواع الجهاد.

قال الابن محمد: يعني ذلك أن للجهاد صور كثيرة، غير التي نفهمها أنها القتال في سبيل لله.

قال الأب: نعم يا بني ! فمن صور الجهاد:(جهاد النفس في طاعة الله، جهاد الكفار والمنافقين وأهل البدع والأهواء، جهاد الشيطان، جهاد الدنيا)

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): معنى الجهاد إعلاء كلمة الله عز وجل .. أما القتال فهو آخر مرحلة في الجهاد مثل العملية الجراحية، أو مثل الحشائش الضارة في الأرض والفلاح يقوم بتقطيعها حتى لا تؤثر في الزرع ، ولو كان الجهاد هو القتال فما تفسير الآية المكية التي في سورة الفرقان، حيث يقول الله تعالى (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (١).

وكلمة سبيل الله: هي كل سبيل يطلب فيه رضا الله ، لأن السبيل اسم جنس مضاف فيفيد العلوم، فيتناول القتال والدعوة وطلب العلم وحضور الجماعة والحج وغير ذلك .

---

(١)سورة الفرقان – الآية ٥٢ .

وقد بين كثير من العلماء : أن قصر (سبيل الله) على غزو الكفار المعتدين، من باب قصر العام على أهم أفراده، وإلا فسبيل الله يعم سائر الطرق لإحياء الدين .

قال الابن معاذ: وإلى متى تكون المجاهدة يا أبي؟.

قال الأب: قال محمد بن حسنويه رحمه الله: «حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان، فقال: يا أبا عبد الله قصدتك من خراسان أسألك عن مسألة، قال له: سل، قال : متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة»(١).

قال عمر بن عبد العزيز :

ذَهَبَ الْفَرَاغُ فَلَا فَرَا غَ لَنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة(٢).

" لا تَقْعُدُوا فُرَّاغًا ، فَإِنَّ الْمَوْتَ يَطْلُبُكُمْ " (٣).

قال ابن القيم :- ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة طوبي ولا للمحب قرار الا يوم المزيد(٤).

وقيل: وَأَتــعَــبُ النــاسَ مِـن جَـلَت مَـطـالِبُهُ
وَجُهــدُهُ قـاصِـر عَـن دَرك مـا اِتَّبَـعا

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٣.

(٢) البداية والنهاية » ثم دخلت سنة إحدى ومائة » مناقب عمر بن عبد العزيز _ فَصْلٌ (مَنَاقِبُ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ).

(٣)الزهد لابن أبي الدنيا لا تقعدوا فراغا فان الموت يطلبكم(٨٠).

(٤)الفوائد (١/ ٦٨).

وقال ابن القيم:- النيــة الصــالحة والهمــة العاليــة نفــس تضــيء وهمــة تتوقد(١). .

كلما تعاظمت الهمم ، تصاغرت الجثث .

ولست ترى الأجسام وهى ضئيلة نواحل إلا والنفوس كبار(٢).

وقيل :

بقدر الكد تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليـالى

تريـد العز ثـم تنـام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلى

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١)الفوائد (١/ ٦٨).

(٢)كتاب العمر والشيب لابن أبي الدنيا.

الحلقة الحادية والعشرون

باب بر الوالدين

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

قال الأب: نجلس في حلقة التعليم بنية السماع، والعمل، والتبليغ.

ولا نقاطع، ولا نسأل إلا في آخر الحلقة.. ونجلس بالمجاهدة.. ونوسع الحلقة.

قالت الابنة مريم: أبي! لماذا لا نسأل إلا في آخر الحلقة؟.

قال الأب: ابنتي الغالية ! هذه سنة نبوية، كما في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ (ﷺ) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ:" أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ" قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:" فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ

فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ" قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ:" إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ"(١).

ثم حمل الأب كتاب (الأدب المفرد للإمام البخاري) بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى : {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}فقرأ الباب.

وسنذكر طرفا منه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ.

وعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: أُمَّكَ ، قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: أُمَّكَ ، قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: أَبَاكَ ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً ، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي ، وَخَطَبَهَا غَيْرِي ، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ ؟ قَالَ: لاَ ، قَالَ: تُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ . فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَتَى رَجُلٌ نَبِيَّ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: مَا تَأْمُرُنِي ؟ فَقَالَ: بِرَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ عَادَ ، فَقَالَ: بِرَّ أُمَّكَ، ثُمَّ عَادَ ، فَقَالَ: بِرَّ أُمَّكَ، ثُمَّ عَادَ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ: بِرَّ أَبَاكَ.

---

(١) صحيح البخاري » كتاب العلم » بَاب مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ(٥٩).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ وَالِدَانِ مُسْلِمَانِ يُصْبِحُ إِلَيْهِمَا مُحْتَسِبًا، إِلاَّ فَتْحَ لَهُ اللهُ بَابَيْنِ يَعْنِي: مِنَ الْجُنَّةِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدٌ، وَإِنْ أَغْضَبَ أَحَدَهُمَا لَمْ يَرْضَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ ، قِيلَ: وَإِنْ ظَلَمَاهُ ؟ قَالَ: وَإِنْ ظَلَمَاهُ.

وبعد الانتهاء من القراءة:

قال الأب: أبنائي ! انظروا إلى خليل الرحمن سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء وإمام الحنفاء يخاطب ، حين ينادي أباه يناديه برفق ولين وتلطف: "يا أبت".

ومع ذلك أعرض وأبى أن يقبل لدعوة من ابنه البار وهدده بالضرب والطرد؛ فكان الرد الجميل: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾(١) .

وأثنى الله على يحيى بن زكريا – عليهما السلام –: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾(٢) .

قال الابن محمد: والله تبارك وتعالى وصانا بعبادته ثم بالإحسان إلى الوالدين:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً* رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾(٣) .

---

(١) سورة مريم » الآية ٤٧.

(٢) سورة مريم » الآية ١٤.

(٣) سورة الإسراء » الآيات من ٢٣ : ٢٥.

فالله تبارك وتعالى جعلهما سببا في وجودنا.. فلذا وصانا بهما.

قال الابن معاذ: وفي سورة لقمان جاءت وصية الله تعالى لنا: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(١) .

قالت الابنة مريم: وكيف يتحقق الشكر يا أبي ؟.

قال الأب: قال الله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)، والشُّكْرُ للهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ، وَلِلْوَالِدَيْنِ عَلَى نِعْمَةِ التَّرْبِيَةِ .

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَقَدْ شَكَرَ اللهَّ تَعَالَى ، وَمَنْ دَعَا لِوَالِدَيْهِ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ فَقَدْ شَكَرَهُمَا(٢).

قالت الابنة مريم: لماذا كانت وصية النبي للرجل الذي قال: فَقَالَ: يَا رَسُول الله ، مَنْ أحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ) قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : (أُمُّكَ) ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : (أُمُّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: (أَبُوكَ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .وفي رواية : يَا رَسُول الله ، مَنْ أَحَقُّ بحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قَالَ : ((أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أدْنَاكَ أدْنَاكَ)) ، وكذلك الرجل الذي قال: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: أُمَّكَ ، قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: أُمَّكَ ، قُلْتُ: مَنْ أَبَرُّ ؟ قَالَ: أَبَاكَ ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ . يوصي بالأم ثلاثا وبالأب مرة واحدة.؟

---

(١) سورة مريم » الآية ١٤.

(٢)تفسير القرطبي » سورة لقمان_ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ.

قال الأب: لأن الأم تعبت كثير على ابنها منذ كان في أحشائها ويتغذى على طعامها، وليس هناك تصوير لحالها، كمثل الذي صوره ربنا وهو الذي يعلم حالها فقال: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾(١) .

وعند ولادته تكاد تخرج روحها معه، ولما ينزل تحنو عليه وترضعه من صدرها، وكم يحدث لها من الضعف بسبب إرضاعه، وفوق كل ذلك تنظفه وتلطفه وتهدهده، وتدلعه، وهو يبول ويتبرز عليها ولا تتأفف من ذلك بل تتحمل كل ذلك بحب ورحمة عليه وشفقة، وتتمنى لها الحياة السعيدة.

لذا روى الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي الطَّوَافِ حَامِلًا أُمَّهُ يَطُوفُ بِهَا فَسَأَلَ النَّبِيَّ (ﷺ) هَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا ؟ قَالَ لَا وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ. (٢).

قال الأبناء (جميعا): كثيرا ما نقصر في حق أمنا، سامحينا يا أماه! فما عرفنا فضلك مثل اليوم.

قالت الأم: أبنائي وفلذات كبدي! أنتم ما شاء الله عليكم، لم تقصروا أبدا في طاعتي وخدمتي، وحتى لو حدث منكم التقصير، فأنا مسامحة لكم.

---

(١) سورة مريم » الآية ١٤.

(٢) تفسير ابن كثير » تفسير سورة الإسراء » تفسير قوله تعالى:(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).

قال الأب: رأيتم ماذا قال عبد الله بن عباس للقاتل الذي يريد التوبة(أُمُّكَ حَيَّةٌ ؟) ولما سئل ابن عباس لما سألته عن حياة أمه،قال: إِنِّي لاَ أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ.

قال الأب: أبنائي الأعزاء! قال معلم لأحد تلامذته الكسالى: إذا أتيتني بحفنة من تراب الجنة فأنت ناجح، في الغد أتى التلميذ ومعه حفنة تراب قدمها لمعلمه، فرد المعلم غاضبا: أتسخر مني؟ من أين لك بهذا الترا؟ فرد التلميذ وعينه تدمع، هذا تراب من تحت قدمي أمي، ألم تعلمنا دائما أن الجنة تحت أقدام الامهات؟.. فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ، أَنَّ جَاهِمَةَ رضي الله عنه جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: (فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا)(١).

قالت الابنة مريم: جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)قَالَ:" رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ". رواه أحمد.

قالت الأب: قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى صِلَةِ الْأَبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الْمَالِ إِنْ كَانَا فَقِيرَيْنِ، وَإِلَانَةِ الْقَوْلِ وَالدُّعَاءِ

---

(١) رواه النسائي (٢ / ٥٤) وغيره كالطبراني (١ / ٢٢٥ / ٢) ، وسنده حسن إن شاء الله ، وصححه الحاكم (٤ / ١٥١) ، ووافقه الذهبي ، وأقره المنذري (٣ / ٢١٤) .

إِلَى الْإِسْلَامِ بِرِفْقٍ، وَقَدْ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ قَدِمَتْ عَلَيْهَا خَالَتُهَا . وَقِيلَ أُمُّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَرَاغِبَةٌ قِيلَ مَعْنَاهُ : عَنِ الْإِسْلَامِ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالظَّاهِرُ عِنْدِي أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الصِّلَةِ، وَمَا كَانَتْ لِتَقْدُمَ عَلَى أَسْمَاءَ لَوْلَا حَاجَتُهَا. وَوَالِدَةُ أَسْمَاءَ هِيَ قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ أَسَدٍ . وَأُمُّ عَائِشَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ هِيَ أُمُّ رُومَانَ قَدِيمَةُ الْإِسْلَامِ(١) .

قال الابن معاذ: أبي! وهل ينتهي برهما بموتهما؟.

قال الأب: لا يا بني! فقد جاء في مسند الْإِمَامُ أَحْمَد عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيُّ، قَالَ بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا بِهِ قَالَ : نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعٌ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ بَعْدَ مَوْتِهِمَا مِنْ بِرِّهِمَا "رواه أحمد وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَهُوَ ابْنُ الْغَسِيلِ بِهِ .

قالت الابنة مريم: أبي الفاضل ! أريد أن تحدثنا بأحسن ما سمعت من قصص في بر الوالدين.

---

(١) تفسير القرطبي» سورة لقمان » قَوْلُهُ تَعَالَى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ.

قال الأب: أجل يا بنيتي الغالية: سأحكي لكم قصة تأثرت بها كثيرا، وكنت اذكرها في حلقات تعليم المسجد في المقام وفي الخروج: عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَرْبَعُ بَنِينَ، فَمَرِضَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِمَّا أَنْ تُمَرِّضُوهُ وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا أَنْ أُمَرِّضَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ ، قَالُوا: بَلْ مَرِّضْهُ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَمَرَّضَهُ حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ ، فَقِيلَ لَهُ: ايتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَقَالَ فِي نَوْمِهِ: أَفِيهَا بَرَكَةٌ ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَأَصْبَحَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لامْرَأَتِهِ، فَقَالَتْ: خُذْهَا، فَإِنَّ مِنْ بَرَكَتِهَا أَنْ نَكْتَسِيَ وَنَعِيشَ فِيهَا، قَالَ: فَأَبَى، فَلَمَّا أَمْسَى أُتِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: ايتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، فَقَالَ: أَفِيهَا بَرَكَةٌ ؟ قَالُوا: لا، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لامْرَأَتِهِ، فَقَالَتْ: مِثْلَ مَقَالَتِهَا الأُولَى، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا، فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ: أَنِ ايتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ دِينَارًا، قَالَ: أَفِيهِ بَرَكَةٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَذَهَبَ فَأَخَذَ الدِّينَارَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى السُّوقِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حُوتَيْنِ، فَقَالَ: بِكَمْ هُمَا؟ فَقَالَ: بِدِينَارٍ، فَأَخَذَهُمَا مِنْهُ بِالدِّينَارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمَا ، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ شَقَّ الْحُوتَيْنِ فَوَجَدَ فِي بَطْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُرَّةً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهَا، قَالَ: فَبَعَثَ الْمَلِكُ لِدُرَّةٍ يَشْتَرِيهَا، فَلَمْ تُوجَدْ إِلا عِنْدَهُ، فَبَاعَهَا بِوَقْرِ ثَلاثِينَ بَغْلا ذَهَبًا، فَلَمَّا رَآهَا الْمَلِكُ، قَالَ: مَا تَصْلُحُ هَذِهِ إِلا بِأُخْتٍ اطْلُبُوا مِثْلَهَا، وَإِنْ أَضْعَفْتُمْ، فَجَاءُوهُ وَقَالُوا: عِنْدَكَ أُخْتُهَا وَنُعْطِيكَ

ضِعْفَ مَا أَعْطَيْنَاكَ؟ قَالَ: وَتَفْعَلُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا بِضِعْفِ مَا أَخَذُوا الأُولَى " (١).

قالت الأم: تسمح لي يا سيدي! أن أحكي لكم قصة (أَعَقَّ النَّاسِ)؟.

قال الأب: تفضلي أيتها الغالية!.

قالت الأم: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَدَّثَنِيْ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْحَيِّ أَطْلُبُ أَعَقَّ النَّاسِ، وَأَبَرَّ النَّاسِ، فَكُنْتُ أَطُوْفُ بِالْأَحْيَاءِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شَيْخٍ فِيْ عُنُقِهِ حَبْلٌ، يَسْتَقِيْ بِدَلْوٍ لَا تُطِيْقُهُ الْإِبِلُ فِيْ الْهَاجِرَةِ وَالْحَرِّ الشَّدِيْدِ، وَخَلْفَهُ شَابٌّ، وَفِيْ يَدِهِ رِشَاءٌ مِنْ قَدٍّ(٢) مَلْوِيٍّ يَضْرِبُهُ بِهِ، قَدْ شَقَّ ظَهْرَهُ بِذَلِكَ الْحَبْلِ، فَقُلْتُ: أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِيْ هَذَا الشَّيْخِ الضَّعِيْفِ؟ أَمَا يَكْفِيْهِ مَا هُوَ فِيْهِ مِنْ هَذَا الْحَبْلِ حَتَّى تَضْرِبَهُ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَعَ هَذَا أَبِيْ. قُلْتُ: فَلَا جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا. قَالَ: اُسْكُتْ فَهَكَذَا كَانَ هُوَ يَصْنَعُ بِأَبِيْهِ، وَهَكَذَا كَانَ يَصْنَعُ أَبُوْهُ بِجَدِّهِ.فَقُلْتُ: هَذَا أَعَقُّ النَّاسِ.دَيْنٌ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهِ.قَالَ: اُسْكُتْ فَهَكَذَا كَانَ هُوَ يَصْنَعُ بِأَبِيْهِ! وَهَكَذَا كَانَ يَصْنَعُ أَبُوْهُ بِجَدِّهِ(٣).

وقال الابن محمد: وأنا سمعت قصة يا أبي من شيخ المسجد أريد أن أحكيها لكم ؟.

---

(١) الجامع لمعمر بن راشد _ باب من سن سنة _ رقم الحديث : (١٦٣٩)، مصنف عبد الرازق _ باب بر الوالدين(٢١٠٢٧)، والبداية والنهاية لابن كثير.

(٢) وَالرِّشَاءُ: الْحَبْلُ. وَالْقَدُّ: السَّوْطُ.

(٣) مساوئ الأخلاق – للخرائطي – صـ ٢٥٢.

رحب الأب، فقال الابن محمد: روى ابن أبي الدنيا: عَنْ أَبِي قَزَعَةَ، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، عَنْهُ، أَوْ عَنْ غَيْرِهِ، قَالَ: "مَرَرْنَا بِبَعْضِ الْمِيَاهِ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ، فَسَمِعْنَا نَهِيقَ حِمَارٍ، فَقُلْنَا لَهُمْ: مَا هَذَا النَّهِيقُ؟ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ كَانَتْ أُمُّهُ تُكَلِّمُهُ بِالْحُسْنَى، فَيَقُولُ: انْهَقِي نَهِيقَكِ، قَالَ: فَكَانَتْ أُمُّهُ تَقُولُ: جَعَلَكَ اللهُ حِمَارًا، فَلَمَّا مَاتَ نَسْمَعُ هَذَا النَّهِيقَ عِنْدَ قَبْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ. (١).

قال الأب: وأنا أختم لكم حلقتنا اليوم بقصة واقعية حدثت لأحد الدعاة أثناء رحلته الدعوية لإحدى الدول الأوروبية، وبينما هو جالس في محطة القطار شاهد امرأةً مسنة شارفت على السبعين من العمر تمسك تفاحة بيدها وتحاول أكلها بما بقي لديها من أسنان.

جلس الرجل بجانبها وأخذ التفاحة وقطعها وأعطاها للعجوز وذلك ليسهل عليها أكلها، فإذا العجوز تنفجر باكية فسألها: لماذا تبكين؟ قالت: منذ عشر سنوات لم يكلمني أحد ولم يزرني أولادي، فلماذا فعلت معي ما فعلت؟. قال: إنه الدين الذي اتبعه يأمرني بذلك ويأمرني بطاعة الوالدين وبرهما، وقال لها: في بلدي تعيش أمي معي في منزلي وهي بمثل عمرك، وتعيش كالملكة فلا نخرج إلا بإذنها ولا نأكل قبل أن تأكل، ونعمل على خدمتها أنا وأبنائي، وهذا ما أمرنا به ديننا. فسألته: وما دينك؟ قال: الإسلام؛ فتأثرت المرأة وأسلمت!!.

---

(١) مجابوا الدعوة لابن أبي الدنيا ص٨٤ ،والبر والصلة - (١ / ٥٥) رقم ١٠، و من عاش بعد الموت - (١ / ٢٨).

فهذا الغرب الكافر أزعجنا بكثرة تصاريحه: حقوق الإنسان، ويعمل له منظمات، وهو في نفس الوقت منتهك لحقوقه، يقولون: عيد الأم وينظمون له يوما وهو منتهك لحقوقها.

فأيتها المسلمة أنت بدينك ملكة الكل يتمنى أن يكون مثلك! فلا ترجعي القهقرى.

وأحكي لكم قصة امرأة غربية اصطحبت ابنها إلى المسجد، ثم قالت لابنها يا بني ادخل المسجد وسل عن الإمام وقل له أريد أن أكون مسلما، وبالفعل دخل المسجد وقابل الإمام، وقال له: أريدُ أن أكون مسلما، فقال له الإمام: لماذا يا بني؟ قال: أمي هي التي قالت لي ذلك،قال الإمام: وأين امك؟ قال: خارج المسجد، فأرسل الإمام إليها من يأتي بها، وسألها هل أنت مسلمة؟ قالت :لا، قال: فلماذا تريدين أن يكون ابنك مسلما؟ قالت: لأن لي جيران، وأولادها يتعاملون معها وكأنها ملكة، وأخشى أن يكبر ابني ويعقني فيرميني ويذهب عني، فتكلم معها الإمام عن الله وعظمته واليوم الآخر والجنة والنار وأهمية الإسلام، فدخلت المرأة وابنها الإسلام وأعلنا الشهادة.

فأنت شامة بين الناس، أنت تاج الرؤوس، فلقد كرمت في الإسلام أعظم تكريم فهنيئا لك فاثبت.

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الثانية والعشرون

باب الظلم

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

وبعد انتهاء حلقة التجويد قرأ حديثا لبيان فضائل الحلقة : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): "... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ " .رواه مسلم(١).

قالت الابنة مريم: أبي الغالي! وهل هذا الفضل الذي ذكر في الحديث يشمل أي مكان آخر يجتمع فيه الناس ليتذاكروا القرآن ويتدارسونه ؟.

قال الأب: أحسنتي يا بنيتي! فإنه سؤال جميل جدًا لك مني هدية عليه تأخذيها بعد الحلقة.

---

(١)صحيح مسلم » كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار » بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ(٢٦٩٩).

أقول وبالله التوفيق!

ظاهر هذا الحديث يحصر الفضل الوارد فيه في مجالس العلم المعقودة في المساجد دون غيرها من الأماكن، والمساجد هي أشرف أماكن في الأرض، وأحبها إلى الله، فلا يمكن أن يلحق بها غيرها في الفضيلة .

ولا يشترط أن يكون هذا الاجتماع في مسجد واحد، بل إذا تم سماع قول العالم أو الواعظ عن طريق القنوات، وكان المستمعون في المسجد فيرجى أن يشملهم هذا الحديث.

وقد كان الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) تنقل بعض دروسه من المسجد إلى مدينة أخرى عبر الهاتف ، فسُئل مرة: يا فضيلة الشيخ، نحن نستمع كلامك الآن ونحن في بريدة فهل يحصل لنا الأجر، وندخل في حديث الرسول (ﷺ): (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ.. الحديث)؟فأجاب: نعم، نرجو هذا؛ لأن اجتماعكم على سماع الميكرفون كاجتماع الناس على مكبر الصوت، أنتم الآن تستمعون الهاتف كما يستمع الناس بالميكرفون، فأنتم إن شاء الله نرجو لكم الأجر والثواب(١) .

وقد ورد حديث آخر يجعل ذلك الفضل لكل جماعة جلسوا مجلساً يذكرون الله تعالى فيه، ولم يقيد ذلك بكونه في"بيت من بيوت الله" فعن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنهما) أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ

---

(١)لقاءات الباب المفتوح (٧٣/ ٤٤)..

قَالَ:"لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رواه مسلم(١).

فذهب بعض العلماء إلى العمل بالإطلاق، قال النووي (رحمه الله): وَيُلْحَق بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيل هَذِهِ الْفَضِيلَة الِاجْتِمَاع فِي مَدْرَسَة وَرِبَاط وَنَحْوهمَا إِنْ شَاءَ اللهَّ تَعَالَى ، وَيَدُلّ عَلَيْهِ الْحَدِيث الَّذِي بَعْده فَإِنَّهُ مُطْلَق يَتَنَاوَل جَمِيع الْمَوَاضِع، وَيَكُون التَّقْيِيد فِي الْحَدِيث الْأَوَّل خَرَجَ عَلَى الْغَالِب، لَا سِيَّمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَان، فَلَا يَكُون لَهُ مَفْهُوم يُعْمَل بِهِ(٢).

أبنائي فضل الله وسع فنعمل والله لا يحرمنا بل يجزل لنا العطاء.

ثم بدأ الأب في القراءة من كتاب رياض الصالحين _ باب تحريم الظلم والأمر بردِّ المظالم _ حتى انتهى من الباب بأكمله والأولاد يسمعون.

ونذكر طرفا مما ذكر في الحلقة:

عن أَبي موسى ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ :" إنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ "، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٣)مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

---

(١) صحيح مسلم » كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار » باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(٢٧٠٠).

(٢) صحيح مسلم شرح النووي (١٧/ ٢٢).

(٣) سورة هود _ الآية ١٠٢.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رَسُول الله ﷺ، قَـالَ:" مَـنْ ظَلَـمَ قيـدَ شِـبْرٍ مِنَ الأرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبْعِ أرَضينَ " مُتَّفقٌ عَلَيهِ .

وعن أَبي هريرة ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ : " مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيه ، مِنْ عِرضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قبْلَ أنْ لاَ يَكُونَ دِينَار وَلاَ دِرْهَـمٌ ؛ إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِـذَ مِـنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيهِ " رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النَّبـيّ ﷺ ، قَـالَ : " المُسْلِمُ منْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَـا نَهَى اللهُ عَنْهُ " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وعنه ﷺ ، قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَل النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ ، فَمَاتَ ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : " هُوَ فِي النَّارِ" فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْه ، فَوَجَدُوا عَبَـاءةً قَـدْ غَلَّهَـا . رواه البخاري .

قال الأب: يا بني! الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إمَّا بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه (١).

قال الابن معاذ: أبي! مالفرق بين الظلم والهضم وجور والغشم؟.

قال الأب: أحسنت يا معاذ، بين هذه الألفاظ اختلافات مهمة يجب توضيحها:

---

(١) سورة هود _ الآية ١٠٢.

الهضم: هو نقصان بعض الحق.

والظلم: هو أخذ حق الغير كله أو بعضه، ويكون في البعض والكل، وفي القرآن:(فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا) (١)، أي: لا يمنع حقه ولا بعض حقه، وأصل الهضم في العربية النقصان، ومنه قيل للمنخفض من الأرض: هضم. والجمع أهضام) (٢).

والجور: إذا أخذ حق الغير قهرا يسمى جورا، وعادة يقع من الحكام والسلاطين وأصحاب الولايات.

والغشم: وهو نوع من الظلم، ويوصف به الولاة؛ لأنَّ ظلمهم يعمُّ، والغشم ظلما يجري على غير طرائق الظلم المعهودة (٣).

قالت الأم: سيدي الفاضل ما هي الآثار المترتبة على الظلم؟

قال الأب: له آثار كثيرة، نذكر منها:

أولا: يحرم من الهداية: لقوله تعالى: {إِنَّ اللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(٤)

ثانيا: يحرم من الفلاح: لفوله تعالى: {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (٥).

ثالثا: يحرم من الشفاعة: { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ} (١).

---

(١) سورة طه _ الآية ١١٢.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص ٥٥٧)..

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص ١٧٢)..

(٤) سورة المائدة _ الآية ٥١

(٥) سورة الأنعام _ الآية ٢١.

رابعا: تصيبه اللعنة: لقول الله عزَّ وجلَّ: { يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} (٢).

رابعا: تصيبه دعوة المظلوم: لقوله(ﷺ)«اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهَّ حِجَاب » رواه مسلم.

خامسا: الهلاك: لقوله سبحانه وتعالى:{ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا }(٣).

سادسا: العذاب بالنار يوم القيامة: لقوله(ﷺ):« إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهَّ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ »رواه البخاري. (٤)(٥).

رأيتم يا أبنائي العاقبة الوخيمة للظلم؟ بل يتعدى هذا الظلم لبقية الخلق:

- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كادَ الجُعَلُ أَنْ يُعَذَّبَ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ. ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ولَوْ يُؤاخِذُ اللهُّ النّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِن دابَّةٍ﴾ (٦).

---

(١) سورة غافر_ الآية ١٨.

(٢) سورة غافر_ الآية ٥٢.

(٣) سورة الكهف_ الآية ٥٩.

(٤) صحيح البخاري» كتاب فرض الخمس» باب قول الله تعالى فأن لله خمسه وللرسول رقم الحديث:(٣٩٥٠).

(٥) قال ابن حجر: (قوله يتخوضون- بالمعجمتين- في مال الله بغير حق، أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل).

(٦) أَخْرَجَه ابْنُ أبِي شَيْبَةَ، وعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وابْنُ جَرِيرٍ، وابْنُ المُنْذِرِ، وابْنُ أبِي حاتِمٍ، والبَيْهَقِيُّ في "الشُّعَبِ".

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إنَّ الظّالِمَ لا يَضُرُّ إلّا نَفْسَهُ. فَقالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلى واللهِ، إنَّ الحُبارى لَتَمُوتُ هَزْلًا في وكْرِها مِن ظُلْمِ الظّالِمِ(١).

• قالَ الإمامُ أحْمَدُ: حَدَّثَنا وكِيعٌ قالَ: حَدَّثَنا مِسْعَرٌ عَنْ زَيْدٍ العَمِّيِّ عَنْ أبِي الصِّدِّيقِ النّاجِيِّ قالَ: خَرَجَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ عَلَيْهِما السَّلامُ يَسْتَسْقِي بِالنّاسِ فَمَرَّ عَلى نَمْلَةٍ مُسْتَلْقِيَةٍ عَلى قَفاها رافِعَةٍ قَوائِمَها إلى السَّماءِ وهي تَقُولُ: اللَّهُمَّ إنّا خَلْقٌ مِن خَلْقِكَ لَيْسَ بِنا غِنًى عَنْ رِزْقِكَ فَإمّا أنْ تَسْقِيَنا أوْ تُهْلِكَنا قالَ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلنّاسِ ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ(٢).

• قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٣).

قالت الابنة مريم: أبي الغالي! هل يغفر الله الظلم للعبد يوم القيامة؟.

قال الأب: ابنتي الكريمة! لقد فصل لنا رسول الله هذا الأمر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ (ﷺ)قَالَ:" الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٤).

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" الدَّوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ: فَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ

---

(١)أخْرَجَه عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وابْنُ أبِي الدُّنْيا، وابْنُ جَرِيرٍ، والبَيْهَقِيُّ في "شُعَبِ الإيمانِ".

(٢) ورَواهُ الطَّحاوِيُّ والطَّبَرانِيُّ.

(٣) سورة الروم _ الآية ٤١ .

(٤) صحيح البخاري » كتاب المظالم » بَاب الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢٣١٥).

شَيْئًا ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا فَالْإِشْرَاكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا قَطُّ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا فَمَظَالِمُ الْعِبَادِ بَيْنَهُمُ الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ ".
هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١) .

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) جَالِسٌ، إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ:" رَجُلانِ جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: خُذْ لِي بِمَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي . قَالَ اللهُ : أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ . قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِي" فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ (ﷺ)بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ ذَاكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا؟ لِأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا؟ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْتَلِكُ ثَمَنَ هَذَا ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ . قَالَ: بِمَ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ. قَالَ: يَا رَبِّ ، فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ " قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) المستدرك على الصحيحين » كتاب الفتن والملاحم » الدَّوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ (٨٧٥٧).

(ﷺ):" فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَّ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(١).

قال الأب: سأحكي لكم قصة يا أبنائي تبين مدى عاقبة الظلم:

يحكى أن صيادًا لديه زوجة وعيال، لم يرزقه الله بالصيد عدة أيام، حتى بدأ الزاد ينفد من البيت وكان صابرا محتسبا، وبدأ الجوع يسري في الأبناء، والصياد كل يوم يخرج للبحر إلا أنه لا يرجع بشيء.. وظل على هذا الحال عدة أيام.

ثم ذات يوم، يئس من كثرة المحاولات، فقرر أن يرمي الشبكة لآخر مرة، وإن لم يظهر بها شيء سيعود للمنزل ويكرر المحاولة في اليوم التالي، فدعى الله ورمى الشبكة، وعندما بدأ بسحبها، أحس بثقلها، فاستبشر وفرح، وعندما أخرجها وجد بها سمكة كبيرة، فأمسكها بيده، وظل يسبح في الخيال: ماذا سيفعل بهذه السمكة الكبيرة؟.

فأخذ يحدث نفسه: سأطعم أبنائي من هذه السمكة.. سأحتفظ بجزء منها للوجبات الأخرى.. سأتصدق بجزء منها على الجيران.. سأبيع الجزء الباقي منها..

وقطع عليه أحلامه صوتُ جنود الملك يطلبون منه إعطاءهم السمكة لأن الملك أعجب بها. فلقد قدر الله أن يمر الملك مع موكبه في هذه اللحظة بجانب الصياد ويرى السمكة ويعجب بها فأمر جنوده بإحضارها.

---

(١) كتاب البعث لابن أبي داود (٨٢)، ورواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد! كذا قال اهـ..

رفض الصياد إعطاءهم السمكة، فهي رزقه وطعام أبنائه، وطلب منهم دفع ثمنها أولا، إلا أنهم أخذوها منه بالقوة.

وفي القصر طلب الحاكم من الطباخ أن يجهز السمكة الكبيرة ليتناولها على العشاء، ثم بعد أيام أصاب الملك داء الغرغرينة -وكان يطلق عليه اسم غير هذا الاسم في ذلك الزمان- فاستدعى الأطباء فكشفوا عليه وأخبروه بأن عليهم قطع إصبع رجله حتى لا ينتقل المرض لساقه، فرفض الملك بشدة وأمر بالبحث عن دواء له.

وبعد مدة، أمر بإحضار الأطباء من خارج مدينه، وعندما كشف الأطباء عليه، أخبروه بوجود بتر قدمه لأن المرض انتقل إليها، ولكنه أيضا عارض بشدة.

بعد وقت ليس بالطويل، كشف الأطباء عليه مرة ثالثة، فرأوا أن المرض قد وصل لركبته فألحوا على الملك ليوافق على قطع ساقه لكي لا ينتشر المرض أكثر.. فوافق الملك وفعلا قطعت ساقه.

في هذه الإثناء، حدثت اضطرابات في البلاد، وبدأ الناس يتذمرون. فاستغرب الملك من هذه الأحداث.. أولها المرض وثانيها الاضطرابات.. فاستدعى أحد حكماء المدينة، وسأله عن رأيه فيما حدث فأجابه الحكيم: لا بد أنك قد ظلمت أحدًا؟.

فأجاب الملك باستغراب: لكني لا أذكر أنني ظلمت أحدا من رعيتي.

فقال الحكيم: تذكر جيدا، فلا بد أن هذا نتيجة ظلمك لأحد.

فتذكر الملك السمكة الكبيرة والصياد وأمر الجنود بالبحث عن هذا الصياد وإحضاره على الفور.. فتوجه الجنود للشاطئ، فوجدوا الصياد هناك، فأحضروه للملك فخاطب الملك الصياد قائلا: أصدقني القول، ماذا فعلت عندما أخذت منك السمكة الكبيرة؟

فتكلم الصياد بخوف: لم أفعل شيئا. فقال الملك: تكلم ولك الأمان.

فاطمأن قلب الصياد قليلا وقال: توجهت إلى الله بالدعاء قائلا: اللهم لقد أراني قوته عليّ، فأرني قوتك عليه(معناه أرني أثر القدرة بالانتقام لي منه).

واختم بالحديث القدسي الجليل:

(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) (١)

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) صحيح مسلم » كتاب البر والصلة والآداب » بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٢٥٧٧).

الحلقة الثالثة والعشرون

باب ستر عورات المسلمين

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

وبعد انتهاء حلقة التجويد قرأ حديثا لبيان فضائل الحلقة : عن أنس بن مالك – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أن رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)قَالَ: "إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا".قَالَ: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟قَالَ: " حِلَقُ الذِّكْرِ". (١).

نجلس في الحلقة باليقين والتصديق واالتعظيم والاحترام.

وبعد الانتهاء من مذاكرة القرآن أعطى الأب للأم كتاب رياض الصالحين وقال لها: اقرأئي لنا من(باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة).

فقرأت الأم الباب بأكمله وسأذكر طرفا من أحاديث الباب:

(١) سنن الترمذي » كتاب الدعوات » باب ما جاء في عقد التسبيح باليد(٣٥١٠).

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة ﴾(١).

وعن أَبي هريرة ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ: " لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ " رواه مسلم .

وعنه ، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ ، يقول :" كُلُّ أُمَّتِي مُعَافى إلاَّ المُجَاهِرينَ(٢)، وَإنّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ ، فَيقُولُ : يَا فُلانُ ، عَمِلت البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصبحُ يَكْشِفُ ستْرَ الله عَنْه "مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وعنه ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ :" إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا (٣)، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ " مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وعنه، قَالَ: أُتِيَ النَّبيّ ﷺ برجل قَدْ شَرِبَ خَمْراً، قَالَ :"اضْرِبُوهُ " قَالَ أَبُو هريرة: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعضُ القَومِ: أخْزَاكَ الله، قَالَ:" لا تَقُولُوا هكَذا، لاَ تُعِينُوا عَلَيهِ الشَّيْطَانَ " رواه البخاري .

---

(١) سورة النور _ الآية ١٩ .

(٢)قال النووي في شرح صحيح مسلم ٩/ ٢٧٢ (٢٩٩٠):(هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها، وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم، فيتحدثون بها لغير ضرورة أو حاجة).

(٣) التثريب : التوبيخ .

وبعد الانتهاء من الحلقة:

قال الأب: ماذا استفدتم يا أبنائي من أحاديث ستر المسلم؟

قال الابن محمد: إذا رأيت أحدًا على معصية يجب عليَّ ستره.

وقال معاذ ومريم مثل ذلك.

قال الأب: أحسنتم يا أبنائي! وإذا رأيتم الشاب أو الشابة يخوضون في ذكر الفساق فا علموا أنهم فساق مثلهم: فعَنْ بِلاَلِ بْنِ سَعْدٍ الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ: اكْتُبْ إِلَيَّ فُسَّاقَ دِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا لِي وَفُسَّاقُ دِمَشْقَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَعْرِفُهُمْ؟ فَقَالَ ابْنُهُ بِلاَلٌ: أَنَا أَكْتُبُهُمْ، فَكَتَبَهُمْ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ؟ مَا عَرَفْتَ أَنَّهُمْ فُسَّاقٌ إِلاَّ وَأَنْتَ مِنْهُمْ، ابْدَأْ بِنَفْسِكَ، وَلَمْ يُرْسِلْ بِأَسْمَائِهِمْ(١).

ثم قال الأب: ولا نحاول ألا نتسمع الأخبار من الناس وننشرها، لقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ (٢) وَمَعْنَى " تَلَقَّوْنَهُ " يَأْخُذُهُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ يُقَالُ تَلَقَّى الْقَوْلَ وَتَلَقَّنَهُ وَتَلَقَّفَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ (٣)وَقُرِئَ عَلَى الْأَصْلِ " تَتَلَقَّوْنَهُ " وَ" إِتَّلَقَّوْنَهُ

---

(١)الأدب المفرد للبخاري » بَابُ الظَّنِّ« (١٢٩٠).

(٢)سورة النور- الآية ١٥.

(٣)سورة البقر- الآية ٣٧.

" بِإِدْغَامِ الذَّالِ فِي التَّاءِ وَتَلَقَّوْنَهُ مِنْ لَقِيَهُ بِمَعْنَى لَفِقَهُ وَتُلْقُونَهُ مِنْ إِلْقَائِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَلِقُونَهُ وَتَأْلِقُونَهُ مِنَ الْوَلْقِ وَالْأَلْقِ وَهُوَ الْكَذِبُ .

فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ:(بِأَفْوَاهِكُمْ)وَالْقَوْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفَمِ ؟.

قُلْنَا مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْءَ الْمَعْلُومَ يَكُونُ عِلْمُهُ فِي الْقَلْبِ فَيُتَرْجَمُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَهَذَا الْإِفْكُ لَيْسَ إِلَّا قَوْلًا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْصُلَ فِي الْقَلْبِ عِلْمٌ بِهِ، كَقَوْلِهِ: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)(١)(٢).

وأوضح لكم يا أبنائي التلقي بالفم، تقابل المرأة المرأة، أو الرجل الرجل، فيقول له: ماذا سمعت في الأمر الفلاني، فيقول له: الموضوع كيت وكيت(وهذا تلق الكلام بفاهه)..(وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ).

قالت الأم: لا تنسوا يا أبنائي ! أن من صفات الله تعالى أنه ستير يحب الستر،قَالَ النَّبِيُّ(ﷺ):« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ »(٣).

ولذا جعل الجزاء من جنس العمل:" لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "،(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٦٧ .

(٢) تفسير الرازي ـــ سورة النور.

(٣) أبو داود : ٤٠١٢، وأحمد : ١٧٩٧٠ .

وقال الأب: وإليكم يا أبنائي بعض القصص في الستر:

القصة الأولى: وقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ جَرِيرٌ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مَعَ عُمَرَ فِي بَيْتٍ. فَاشْتَمَّ عُمَرُ مِنْ بَعْضِهِمْ رِيحًا، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ الرِّيحِ لَمَا قَامَ فَتَوَضَّأَ، فَقَالَ جَرِيرٌ: أَوَ نَقُومُ كُلُّنَا فَنَتَوَضَّأَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: نِعْمَ السَّيِّدُ كَنْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَنِعْمَ السَّيِّدُ أَنْتَ فِي الإسلام. (١).

القصة الثانية: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ حَرَسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ لَيْلَةً المَدِينَةَ، فَبَيْنَما هم يَمْشُونَ شَبَّ لَهم سِراجٌ في بَيْتٍ فانْطَلَقُوا يَؤُمُّونَهُ، فَلَمّا دَنَوْا مِنهُ إذا بابٌ مُجافٍ عَلى قَوْمٍ لَهم فِيهِ أصْواتٌ مُرْتَفِعَةٌ ولَغَطٌ، فَقالَ عُمَرُ وأخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أتَدْرِي بَيْتَ مَن هَذا؟ قالَ: هَذا بَيْتُ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وهُمُ الآنَ شَرْبٌ فَما تَرى؟ قالَ: أرى أنْ قَدْ أتَيْنا ما نَهى اللَّهُ عَنْهُ قالَ اللَّهُ: ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ فَقَدْ تَجَسَّسْنا فانْصَرَفَ عُمَرُ عَنْهم وتَرَكَهم (٢).

القصة الثالثة: عَنِ الشَّعْبِيِّ أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطّابِ فَقَدَ رَجُلًا مِن أصْحابِهِ فَقالَ لِابْنِ عَوْفٍ: انْطَلِقْ بِنا إلى مَنزِلِ فُلانٍ فَنَنْظُرَ فَأتَيا مَنزِلَهُ فَوَجَدا بابَهُ مَفْتُوحًا وهو جالِسٌ وامْرَأتُهُ تَصُبُّ لَهُ في إناءٍ فَتُناوِلُهُ إيّاهُ، فَقالَ عُمَرُ لِابْنِ عَوْفٍ: هَذا الَّذِي شَغَلَهُ عَنّا فَقالَ ابْنُ عَوْفٍ لِعُمَرَ وما يُدْرِيكَ ما في الإناءِ فَقالَ عُمَرُ: أتَخافُ أنْ يَكُونَ هَذا التَّجَسُّسَ؟ قالَ: بَلْ هو التَّجَسُّسُ قالَ: وما

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) أخْرَجَه عَبْدُ الرَّزّاقِ، وعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ والخَرائِطِيُّ في مَكارِمِ الأخْلاقِ.

التَّوْبَةُ مِن هَذا؟ قالَ: لا تُعْلِمْهُ بِما اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِن أَمْرِهِ ولا يَكُونَنَّ في نَفْسِكَ إلّا خَيْرٌ ثُمَّ انْصَرَفا (١).

القصة الرابعة: عَنْ ثَوْرٍ الكِنْدِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطّابِ كانَ يَعُسُّ بِالمَدِينَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَسَمِعَ صَوْتَ رَجُلٍ في بَيْتٍ يَتَغَنّى، فَتَسَوَّرَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ امْرَأَةً وعِنْدَهُ خَمْرًا، فَقالَ: يا عَدُوَّ اللهِ، أظْنَنْتَ أَنَّ اللهَ يَسْتُرُكَ وأَنْتَ عَلى مَعْصِيَتِهِ. فَقالَ: وأَنْتَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ؛ إنْ أَكُنْ عَصَيْتُ اللهَ في واحِدَةٍ فَقَدْ عَصَيْتَ اللهَ في ثَلاثٍ؛ قالَ اللهُ: ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ وقَدْ تَجَسَّسْتَ، وقالَ: ﴿وأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبْوابِها﴾(٢) وقَدْ تَسَوَّرْتَ عَلَيَّ، ودَخَلْتَ عَلَيَّ بِغَيْرِ إذْنٍ، وقالَ اللهُ: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكم حَتّى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها﴾ (٣) قالَ عُمَرُ: فَهَلْ عِنْدَكَ مِن خَيْرٍ إنْ عَفَوْتُ عَنْكَ؟ قالَ: نَعَمْ فَعَفا عَنْهُ وخَرَجَ وتَرَكَهُ (٤).

قال الابن محمد: ما أمرنا الله بستر المؤمن إلا أنه له مزية عند الله تعالى.

قال الأب: أجل يا بني، فإن المؤمن له ثقل عند الله بالكلمة الطيبة(لا إله إلا الله) التي يحملها في قلبه، وعلى قدر ثقلها في قلبه يكون ثقله عند الله، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: « رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ ويَقُولُ: ما أَطْيَبَكِ وأَطْيَبَ

---

(١) أَخْرَجَه سَعِيدُ بْنُ مَنصُورٍ، وابْنُ المُنْذِرِ.

(٢) سورة البَقَرَةِ:الآية ١٨٩.

(٣) سورة النُّورِ:الآية ٢٧.

(٤) أَخْرَجَه الخَرائِطِيُّ في "مَكارِمِ الأَخْلاقِ".

رِيحَكِ، ما أعْظَمَكِ وأعْظَمَ حُرْمَتَكِ، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ المُؤْمِنِ أعْظَمُ عِنْدَ اللهِّ حُرْمَةً مِنكِ مالِهِ ودَمِهِ وأنْ يُظَنَّ بِهِ إلّا خَيْرًا » (١).

قالت الابنة مريم: فيجب علينا أن نحسن الظن بالمسلم، فقد وردت أحاديث كثيرة تأمرنا بذلك نذكر منها:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ قالَ: لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِن أخِيكَ سُوءًا وأنْتَ تَجِدُ لَها في الخَيْرِ مَحْمَلًا. (٢).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ قالَ: كَتَبَ إلَيَّ بَعْضُ إخْوانِي مِن أصْحابِ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) أنْ ضَعْ أمْرَ أخِيكَ عَلى أحْسَنِهِ ما لَمْ يَأْتِكَ ما يَغْلِبُكَ ولا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا، وأنْتَ تَجِدُ لَهُ في الخَيْرِ مَحْمَلًا، ومَن عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهَمِ فَلا يَلُومَنَّ إلّا نَفْسَهُ، ومَن كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخِيَرَةُ في يَدِهِ، وما كافَأْتَ مَن عَصى اللهَّ فِيكَ بِمِثْلِ أنْ تُطِيعَ اللهَّ فِيهِ، وعَلَيْكَ بِإخْوانِ الصِّدْقِ فَكُنْ في اكْتِسابِهِمْ فَإنَّهم زِينَةٌ في الرَّخاءِ وعُدَّةٌ عِنْدَ عَظِيمِ البَلاءِ ولا تَهاوَنْ بِالحَلِفِ فَيُهِينَكَ اللهُّ، ولا تَسْألَنَّ عَمّا لَمْ يَكُنْ حَتّى يَكُونَ ولا تَضَعْ حَدِيثَكَ إلّا عِنْدَ مَن يَشْتَهِيهِ وعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وإنْ قَتَلَكَ الصِّدْقُ، واعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، واحْذَرْ صَدِيقَكَ إلّا الأمِينَ، ولا أمِينَ إلّا مَن خَشِيَ اللهَّ، وشاوِرْ في أمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهم بِالغَيْبِ(٣).

---

(١)أخْرَجَه ابْنُ ماجَهْ.

(٢) أخْرَجَه أحْمَدُ، في الزُّهْدِ.

(٣) أخْرَجَه البَيْهَقِيُّ في شُعَبِ الإيمانِ.

قالت الأم: وإليكم نصيحة رسول الله (ﷺ):عَـنْ جُبَـيْرِ بْـنِ نُفَـيْرٍ قالَ: «صَلّى رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) يَوْمًـا بِالنّـاسِ صَـلاةَ الصُّـبْحِ فَلَـمّا فَـرَغَ أَقْبَـلَ بِوَجْهِهِ عَلى النّاسِ رافِعًا صَوْتَهُ حَتّى كادَ يُسْمِعُ مَن في الخُدُورِ، وهو يَقُولُ: يا مَعْشَرَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بِأَلْسِـنَتِهِمْ ولَمْ يَـدْخِلِ الإيـمانُ في قُلُـوبِهِمْ، لا تُـؤْذُوا المُسْلِمِينَ، ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تَتَّبِعُوا عَثَراتِهِمْ فَإِنَّهُ مَن يَتَّبِعْ عَثْرَةَ أَخِيهِ المُسْـلِمِ يَتَّبِعِ اللهُّ عَثْرَتَهُ، ومَن يَتَّبِعِ اللهُّ عَثْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وهو في قَعْرِ بَيْتِهِ. فَقالَ قائِلٌ: يا رَسُولَ اللهِّ، وهَلْ عَلى المُسْلِمِينَ مِن سِتْرٍ؟ فَقالَ رَسُـولُ اللهِّ (ﷺ): سُـتُورُ اللهِّ عَلى المُؤْمِنِ أَكْثَرُ مِن أَنْ تُحْصى؛ إنَّ المُؤْمِنَ لَيَعْمَلُ بِالذُّنُوبِ فَيَهْتِكُ عَنْهُ سِـتْرًا سِتْرًا حَتّى لا يَبْقى عَلَيْهِ مِنها شَيْءٌ، فَيَقُولُ اللهُّ لِلْمَلائِكَةِ: اسْتُرُوا عَلى عَبْدِي مِنَ النّاسِ؛ فَإنَّ النّاسَ يُعَيِّرُونَ ولا يُغَيِّرُونَ. فَتَحُفُّ بِـهِ المَلائِكَـةُ بِأَجْنِحَتِهـا يَسْتُرُونَهُ مِنَ النّاسِ، فَإنْ تابَ قَبِلَ اللهُّ مِنهُ، ورَدَّ عَلَيْهِ سُتُورَهُ، ومَعَ كُلِّ سِـتْرٍ تِسْعَةُ أَسْتارٍ، فَإنْ تَتابَعَ في الذُّنُوبِ قالَتِ المَلائِكَةُ: رَبَّنا إنَّهُ قَدْ غَلَبَنا وأَقْذَرَنا. فَيَقُولُ اللهُّ: اسْتُرُوا عَبْدِي مِنَ النّاسِ؛ فَإنَّ النّاسَ يُعَيِّرُونَ ولا يُغَيِّرُونَ. فَتَحُفُّ بِـهِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها يَسْتُرُونَهُ مِنَ النّاسِ فَـإنْ تـابَ قَبِـلَ اللهُّ مِنـهُ، وإنْ عـادَ قالَـتِ المَلائِكَةُ: رَبَّنا إنَّهُ قَدْ غَلَبَنا وأَقْذَرَنا. فَيَقُولُ اللهُّ لِلْمَلائِكَةِ: تَخَلَّوْا عَنْهُ فَلَوْ عَمِلَ ذَنْبًا في بَيْتٍ مُظْلِمٍ في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ في جُحْرٍ أَبْدى اللهُّ عَنْهُ وعَنْ عَوْرَتِهِ»(١).

---

(١) أَخْرَجَه الحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ.

قال الأب: وهذا الباب الذي تذاكرناه في أي صفة من صفات الصحابة التي نتذاكرها في حلقة التعليم؟. **فبادر الأبناء:** صفة الإكرام وحسن الخلق.

قال الأب: أحسنتم يا أبنائي.. الآن يجدر بنا أن نتكلم عن هذه الصفة:

الإكرام هو إعطاء الحقوق للآخرين وتوفيتها لكل فرد.

وفي الواقع علينا أن نقوم بأكثر من مجرد أن نوفي الحقوق.. علينا كذلك أن نكرم كل مسلم بكونه فردا من أمة سيدنا محمد (ﷺ) وأن نحتفي به ونؤدي حقوقه، ولا نقتضي منه حقوقنا، مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن ترك حقه عوضه قصراً شامخا في الجنة، كما جاء في الحديث:عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)جَالِسٌ، إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ قَالَ: " رَجُلانِ جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: خُذْ لِي بِمَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي. قَالَ اللهُ: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِي" فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ ذَاكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَيَرْفَعُ

رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا ؟ لأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا؟ لأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْتَلِكُ ثَمَنَ هَذَا ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ. قَالَ: بِمَ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ " قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(١).

يجب أن نكرم كل مسلم لكونه من أمة محمد رسول الله (ﷺ)، وكذلك علينا أن نوفي حق كل مسلم، ولا نتوقع أو ننتظر أن يوفي حقنا أحد.

كما أنه يجب أن نسترعيوب إخواننا المسلمين، ومن يستر أخطاء أخيه المسلم فإن الله عز وجل يستر عيوبه وزلاته، ومن يكون مشغولا بقضاء حوائج إخوانه المسلمين، فإن الله عزوجل يكون في قضاء حوائجه وشؤونه

إذا تغاضى المرء عن حقوقه وسامح فيها، فسوف ينعم الله تعالى عليه بقصر في وسط الجنة، والذي يتواضع أمام الآخرين إرضاءا لله سبحانه وتعالى، فإن الله تعالى سوف يرفعه.

وبتحفيز الآخرين على مكارم الأخلاق، هذا يبعث الرغبة فينا أيضا على تنفيذ هذه الصفات.

---

(١) البعث لابن أبي داود» رقم الحديث: (٣٢)، ومستدرك الحاكم _ رقم الحديث: (٨٨٣٦) ، حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (١١٨)، مساوئ الأخلاق للخرائطي(٦٠٦).

علينا أن نكلم الناس نذكر لهم أهمية المسلم ومكانته، وقيمة المسلم عند الله سبحانه وتعالى عندما يتخلق بهذه الأخلاق، وأن نُرغبهم في إكرام المسلم ونحضهم على ذلك، ونحكي لهم ما قدم نبينا (ﷺ) وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من نماذج رائعة لمكارم الأخلاق والإيثار والمواساة والتضحية والنصح والعفو مع الآخرين.

يجب علينا أن تعود أنفسنا على إكرام كل مسلم وتحفز الناس أن يكونوا مثل رسول الله (ﷺ) وأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

وأخيرا علينا أن نستغيث ونتضرع إلى الله تعالى بالبكاء أن ينعم علينا بصفات رسول الله « صلى الله عليه وسلم ».

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الرابعة والعشرون

باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

وبعد انتهاء حلقة التجويد قرأ حديثا لبيان فضائل الحلقة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ)قال:" إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا : لَا ، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟، قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ . قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا :

وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

وفي رواية البخاري : " قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ " (١).

وبعد الانتهاء من مذاكرة القرآن أعطى الأب للابن محمد" كتاب رياض الصالحين"وقال له: اقرأ لنا من (باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة).

فقرأ الابن محمد الباب بأكمله وسأذكر طرفا من أحاديث الباب:

عن أنس (رضي الله عنه)أنَّ رسول الله (ﷺ)، قَالَ: " لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ الله ، أَوْ رَوْحَةٌ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا "متفقٌ عَلَيْهِ .

وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ (رضي الله عنه) قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رسولَ الله (ﷺ)، فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ:" مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ الله" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:" مُؤْمِنٌ في شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ "متفقٌ عَلَيْهِ.

وعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (ﷺ)، قَالَ:" رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيلِ الله تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا " متفقٌ عَلَيْهِ .

(١) صحيح البخاري (٦٤٠٨) وصحيح مسلم (٢٦٨٩) - واللفظ له.

وعن سَلمَانَ (ﷺ)قَالَ : سَمِعْتُ رسول الله (ﷺ) يقول: " رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ " رواه مسلم .

وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْد (ﷺ)أنَّ رسول الله (ﷺ)قَالَ:" كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ المُرَابِطَ فِي سَبيلِ الله، فَإنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ " رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

وعن عثمان (ﷺ) قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله(ﷺ)يقول:" رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبيلِ الله، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ "رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أَبي هريرة (ﷺ) قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ رسولِ الله (ﷺ) بِشِعبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رسولَ الله (ﷺ) فذكَرَ ذَلِكَ لرسول الله (ﷺ) فَقَالَ: " لاَ تَفعلْ؛ فَإنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ؟ أُغْزُوا فِي سَبيلِ الله، من قَاتَلَ فِي سَبيلِ الله فُوَاقَ(١) نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ "رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

بعد انتهاء الابن محمد من القراءة في الفضائل، قال الأب: أحسنت يا محمد على هذه القراءة الطيبة.

قالت الأم: سيدي الغالي ! هذا الباب شوقنا للجهاد في سبيل الله.

---

(١)((الفُوَاقُ)) : مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ ..

قالت الابنة مريم: وهل النساء يجاهدن في سبيل الله؟

قال الأب: نعم، كانت النساء تخرج في سبيل الله يداوين الجرحى ويحملن قرب الماء، كما في صحيح البخاري عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : " كُنَّا نَمْنَعُ عَوَاتِقَنَا (الأبكار) أَنْ يَخْرُجْنَ ، فَقَدِمَتْ امْرَأَةٌ فَنَزَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلَفٍ ، فَحَدَّثَتْ أَنَّ أُخْتَهَا كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)قَدْ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، وَكَانَتْ أُخْتِي مَعَهُ فِي سِتِّ غَزَوَاتٍ ، قَالَتْ : كُنَّا نُدَاوِي الْكَلْمَى (الجرحى) وَنَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى ... " الحديث .

وفي صحيح مسلم عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِّ(ﷺ)سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ، فَأَصْنَعُ لَهُمْ الطَّعَامَ وَأُدَاوِي الْجَرْحَى وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى.

وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَارَةَ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الْمَازِنِيَّةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَتْ : خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)، فَقُمْتُ أُبَاشِرُ الْقِتَالَ ، وَأَذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ ، وَأَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ ، حَتَّى خَلَصَتِ الْجِرَاحُ إِلَيَّ . قَالَتْ: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَصَابَكِ بِهَذَا ؟ قَالَتْ : ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللهُّ ، لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ)أَقْبَلَ يَقُولُ : دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا . فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأُنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللهِّ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعَانِ.

وكذلك خولة بنت الأزور التي كانت مع الجنود في فتح مصر وقتلت في مصر ودفنت في قرية البهنسا الغراء(١).

قالت الابن معاذ: وهل الأطفال كانوا يقاتلون في المعركة مثل الرجال يا أبي؟.

قال الأب: نعم، ففي بيتين من بيوت الأنصار تربي هذان الشبلان (معاذ ابن عمرو بن الجموح – ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما) علي حب الله وعلي حب رسول الله (ﷺ) فهيا بنا إلي ساحة " بدر" لننظر إليهما وهما يقتلان أبا جهل عدو الله، كما في الصحيحين عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي: مِثْلَهَا فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ:" أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ، قَالَ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ، قَالَا : لَا فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ

---

(١) انظر فتوح الشام ومصر للواقدي.

، فَقَالَ : كِلاكُمَا قَتَلَهُ سَلَبُهُ مُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ ومُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ " . متفق عليه .

وعند البخاري أيضا: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ الْتَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ فَقُلْتُ يَا ابْنَ أَخِي وَمَا تَصْنَعُ بِهِ قَالَ عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ قَالَ فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ وَهُمَا ابْنَا عفْرَاءَ.

وحَضَرَتِ الخنساءُ حربَ القادسية، ومعها بنوها أربعةُ رجالٍ، فقالت لهم: "يا بَنِيَّ، أنتم أسلمتم طائعينَ، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إلهَ غيرُه، إنَّكم لبنو رجلٍ واحدٍ، كما أنّكم بنو امرأةٍ واحدةٍ، ما خنتُ أباكم، ولا فضحتُ خالَكم، ولا هجَّنْتُ حسبَكُم، ولا غيَّرْتُ نسبَكم، وقد تعلمونَ ما أعدَّ اللهُ للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين، واعلموا أنَّ الدارَ الباقيةَ خيرٌ من الدار الفانيةِ، يقول الله عزّ وجلّ: (يا أيها الذينَ آمنُوا اصبِروا وصابِروا ورابِطوا، واتَّقوا اللهَ لعلَّكم تُفلِحونَ)، فإذا أصبحتُمْ غداً، فاغدُوا إلى قِتالِ عدوِّكم مُستبصِرينَ، ولله على أعدائه مُستنصِرينَ".

فلمّا أضاءَ لهمُ الصبحُ باكَروا مراكِزَهم، فتقدّموا واحداً بعدَ واحدٍ يُنشِدونَ الأراجيزَ، فقاتلوا حتَّى استُشْهِدُوا جميعاً، فلمّا بلَغَها الخبرُ، قالت: "الحمدُ لله الذي شرَّفَني بقتْلِهم، وأرجو من ربِّي أنْ يجمعني بهم في مستقرِّ رحمته".

يقول عبد الله بن عمر: عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَرَدَّنِيْ ثُمَّ عُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَ أَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِيْ.

وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:رَأَيْتُ أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) لِلْخُرُوجِ إِلَى بَدْرٍ يَتَوَارَى فَقُلْتُ مَالك يَا أَخِي فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) فَيَسْتَصْغِرُنِي فَيَرُدُّنِي وَأَنَا أُحِبُّ الْخُرُوجَلَعَلَّ اللهَّ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ قَالَ فَعُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) فَاسْتَصْغَرَهُ فَقَالَ ارْجِعْ فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) قَالَ سَعْدٌ: فَكُنْتُ أَعْقِدُ لَهُ حَمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ فَقُتِلَ بِبَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ(١).

فشباب الصحابة رضي الله عنهم كانوا يشاركون في الغزوات ويفرحون إذا قبلهم رسول الله.

قالت الابن محمد: وضح لنا يا أبي ! حديث الصحابي الذي أراد أن يعتزل في الشعب.

قال الأب: الصحابي أراد العزلة عن الناس، والتعبد لله مثل الرهبان، ولا رهبانية في الإسلام، ولذلك نهاه النبي(ﷺ)، ودله على ما هو خير من العزلة، فقال له: " لاَ تَفعلْ؛ فَإِنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ في سَبيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ في بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ؟ أُغْزُوا في سَبيلِ الله، من قَاتَلَ في سَبيلِ الله فُوَاقَنَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ".

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي، والثبات عند المات لابن الجوزي(المكتبة الشاملة على شبكة النت).

ومن الحديث نفهم أن الصحابة ما نجحوا في حياتهم إلا بالخروج من الهوى إلى الهدى، ومن البدعة إلى السنة:(وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رسولَ الله) هذه الكلمات أخرجته من الهوى للهدي.

فيا أبنائي الكرام! نحرص كل الحرص أن يكون كل عمل نعمله موافقا لأمر الله ومطابقا لسنة رسول الله.. هل أنتم مستعدون؟.

قال الأبناء: مستعدون.

قال الأب: من منكم يستطيع أن يبين بيان قصير؟ .

قالت الابنة مريم: مستعدة يا أبي.

إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله، ولا سعادة للبشرية إلا بامتثال أمر الله، ولا فلاح للبشرية إلا بطريق رسول الله، ولا صلاح لهم في حياتهم إلا بالصلاة، ولا نجاة من ظلمات الجهل إلا بنور العلم، ولا تطمئن القلوب ولا تحلو الحياة إلا بذكره سبحانه وتعالى، ولا وفاق ولا محبة ولا دخول الجنة إلا بالإكرام، ولا قبول للأعمال إلا بالإخلاص، ولا تسعد البشرية إلا بالدعوة إلى الله.

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة الخامسة والعشرون

باب المزاح

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

ثم قرأ لهم من كتاب مشكاة المصابيح كتَاب الأدَب باب المزاح حتى انتهى من الباب بأكمله.

فضل التعليم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ (١).

مقصد حلقة التعليم: أن نتحصل على نور كلام الله وكلام الرسول وهو التوفيق للعمل بما نسمع من كلام الله وكلام الرسول.

وحصول الخشية من الله تعالى.. وصحبة الملائكة.

قالت الابنة مريم: كيف يا أبي ! نكون في صحبة الملائكة؟

---

(١) رواه الترمذي(٢٦٤٦).

قالت الأب: ففي صحيح مسلم:" لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ".فنظل في صحبة الملائكة ما دمنا في حلقات التعليم، وبصحبة الملائكة نأخذ من صفاتهم؟.

قال الابن معاذ: أبي! ما هي الصفات التي نأخذها من الملائكة؟.

قال الأب: يا أبنائي الصاحب ساحب فلما نصحب الملائكة نأخذ منهم صفتين(طاعة الله وترك معصيته، والخوف منه تعالى) فهاتين الصفتين جبلت عليها الملائكة: قال تعالى(لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (١).

وقال تعالى:(يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (٢).

آداب حلقة التعليم نذكر منها: نجلس بالتوجه، والافتقار إلى لله حتى يعلمنا الله تبارك وتعالى.

ونذكر بعض الأحاديث في الباب:

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ:" يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ (٣) ؟" كَانَ لَهُ نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

---

(١) سورة التحريم _ الآية ٦.

(٢) سورة النحل _ الآية ٥٠.

(٣)والنغير: طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، وقيل هو العصفور، وقيل: هو العصفور صغير المنقار أحمر الرأس، وقيل: أهل المدينة يسمونه البلبل. قاله القاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا. قَالَ : " إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)فَقَالَ:" إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ)قَالَ:" لَهُ يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ " قَالَ مَحْمُودٌ قَالَ أَبُو أُسَامَةَ يَعْنِي مَازَحَهُ .رواه أبو داود والترمذي.

وَعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ(ﷺ)قَالَ لِامْرَأَةٍ عَجُوزٍ :" إِنَّهُ لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ ". فَقَالَتْ: وَمَا لَهُنَّ؟ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ لَهَا:" أَمَا تَقْرَئِينَ الْقُرْآنَ؟ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، رَوَاهُ رَزِينٌ .

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ: رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا ، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)الْهَدِيَّةَ فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ ".وَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ)يُحِبُّهُ، وَكَانَ [رَجُلًا] دَمِيمًا، فَأَتَى النَّبِيُّ(ﷺ)يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مِنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ (ﷺ) فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ (ﷺ)حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ (ﷺ)يَقُولُ:" مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟ ". فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ):

" لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ ". أَوْ قَالَ:" [لَكِنْ] عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ ". رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ (١).

وبعد قراءة الباب كاملا.. قال الأب: رأيتم يا أبنائي كيف كان النبي (ﷺ) يمزح مع أصحابه؟.. وكذلك الصحابة كانوا يمزحون ويضحكون فَعَنْ قَتَادَةَ، سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ، هَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) يَضْحَكُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَالإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الجَبَلِ"، وَقَالَ بِلالُ بْنُ سَعْدٍ: أَدْرَكْتُهُمْ يَشْتَدُّونَ بَيْنَ الأَغْرَاضِ، وَيَضْحَكُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ، كَانُوا رُهْبَانًا (٢).

قالت الأم: سيدي الفاضل، والأكثر من ذلك، ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن بكر بن عبد الله قال: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ (ﷺ) يَتَبَادَحُونَ بِالْبِطِّيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالَ.

قالت الابنة مريم: وما معنى (يَتَبَادَحُونَ بِالْبِطِّيخِ)؟.

قالت الأم: أي: يترامَوْن به(٣).

---

(١)مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد » كتاب المناقب » باب ما جاء في زاهر بن حزام رضي الله عنه(١٥٩٧٩)..

(٢) شرح السّنّة للبغويّ، ج١٢/ ٣١٨.

(٣) غريب الحديث للخطابي (٣ / ١١٤) ، ولسان العرب (٢/ ٤٠٨) .

والمقصود بالبطيخ هنا هو قشره، وهذا منهم رضوان الله عليهم من قبيل المزاح، والدعابة وسماحة النفس ، والمزاح جائز مشروع ، إذا خلا من المخالفات الشرعية .

قال الابن محمد: أبي الكريم لقد لا حظت أن أكثر أحاديث المزاح رواها سيدنا أنس رضي الله عنه.

قال الأب: نعم يا بني، لأن سيدنا أنس كان خادم رسول الله، فكان مقربا إليه فحكى لنا كثيرا من أحواله، فتارة يمزح معه وتارة يمزح مع أخوه، وتارة مع عجوز، ليرفه عنهم، حتى لا تمل القلوب.

نرى يا أبنائي: كثير من المتدينين مكشري الوجه، وهذا خلاف السنة، فلا بد للمسلم وخاصة الداعي أن يكون بشوش الوجه، لا يعبس في وجوه الناس.

أبنائي الأعزاء: سأحكي لكم بعض قصص سلفنا الصالح في مزاحهم مع بعضهم البعض:

غَالِبِ القطان قَالَ: أَتَيْتُ مُحَمَّدًا(١) وَذَكَرَ مِزَاجَهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هِشَامٍ فَقَالَ: تُوُفِّيَ الْبَارِحَةَ(٢) أَمَا شَعَرْتَ؟ فَقُلْتُ: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» فضحك(٣).

ومن العلماء المعاصرين الكبار: الشيخ ابن باز رحمه الله حريصًا على ملاطفة جُلَّاسه، وإدخال السُّرور عليهم، وكان يداعبهم، ويمازحهم مزاحًا لا إسراف فيه ولا إسفاف، فمن ذلك: جاءه -ذات مرَّة- مُطَلِّق، فقال له: ما اسمك؟

---

(١) أي ابن سيرين.

(٢) لعله أراد النوم.

(٣) تايخ الإسلام للذهبي.

قال: ذيب، قال: ما اسم زوجتك؟ قال: ذيبة، فقال رحمه الله –مداعبًا–: أسأل الله العافية! أنت ذيب، وهي ذيبة، كيف يعيش بينكما الأولاد؟!(١).

قال الأب: وفي قصة الصحابي زاهر فوائد منها: أنه كان دَمِيمًا، فاراد النبي يبين له قيمته عند الله:" لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ ". أَوْ قَالَ:" [لَكِنْ] عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ " رفع له معنويته وأشعره بقيمة الدين الذي انتسب إليه فرفع الله شأنه.

وأحكي لكم قصة عجيبة:

عَنْ خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مَرَّ الظَّهْرَانِ قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي، فَإِذَا نِسْوَةٌ يَتَحَدَّثْنَ، فَأَعْجَبْنِي، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا، وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)فَقَالَ:" أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ". فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) هِبْتُهُ وَاخْتَلَطْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَمَلٌ لِي شَرَدَ وَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا، فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الْأَرَاكَ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خُضْرَةِ الْأَرَاكِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، وَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ: " أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ ". ثُمَّ ارْتَحَلْنَا، فَجَعَلَ لَا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ إِلَّا قَالَ: " السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ " . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَمُجَالَسَةَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ

(١)جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز لمحمد الموسى (ص ١٧٢).

الْمَسْجِدِ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقُمْتُ أُصَلِّي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ، فَجَاءَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، وَطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ وَيَدَعَنِي، فَقَالَ : " طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللهِّ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ". فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللهِّ لَأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) وَلَأُبَرِّئَنَّ صَدْرَ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قَالَ:" السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللهِّ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟". فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، فَقَالَ: " رَحِمَكَ اللهُّ " – ثَلَاثًا – ثُمَّ لَمْ يَعُدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ .رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ ، غَيْرَ الْجَرَّاحِ بْنِ مَخْلَدٍ وَهُوَ ثِقَةٌ(١).

فالإسلام عقال لكل جوارح الإنسان(العين والسمع واليد والرجل ..).

و على المزاح: أن لا يكون كذابا، ولا هتاكا لعورة، ولا مغتابا، ولا مستهزئا(٢) ولا مروعا لمسلم، ولا مستهزءًا به.

---

(١)مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد » كتاب المناقب » (بَابُ مَا جَاءَ فِي خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ – رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ – (١٦١٠٥)..

(٢)كالاستهزاء ببعض السنن، ومما انتشر كالاستهزاء باللحية أو الحجاب، أو بتقصير الثوب أو غيرها .قال فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين في المجموع الثمين ١/ ٦٣ : فجانب الربوبية والرسالة والوحي والدين جانب محترم لا يجوز لأحد أن يبعث فيه لا باستهزاء بإضحاك، ولا بسخرية، فإن فعل فإنه كافر ، لأنه يدل على استهانته بالله عز وجل ورسله وكتبه وشرعه، وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله عز وجل مما صنع، لأن هذا من النفاق = =، فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفر ويصلح عمله ويجعل في قلبه خشية من الله عز وجل وتعظيمه وخوفه ومحبته ، والله ولي التوفيق .

مذاكرة الصفات الست:

اليوم نتذاكر الصفة الأولى: اليقين على الله: لا بـد مـن تغيـير اليقـين مـن المخلوق إلى الخالق ومن الدنيا إلى الآخرة ومن الأشياء والأسباب إلى أعمال الدين.

فَنُخْرِج من قلوبنا اليقين الفاسد على الأشياء والمشـاهدات، ونُـدخل اليقـين الصادق على الله تعالى، وأن الله خلق سبع سماوات بغير عمد وسبع أراضين.

عليم: يعلم حبات وقطرات الأمطار وعدد أوراق الأشجار، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب حفيظ.

خالق: كل شيء.. (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [(١)].

مالك: من الفرش إلى العرش، مُلك الله.. ومن الذرة إلى المجـرّة مُلـك الله.. ومن القطرة إلى البحار والمحيطات مُلـك الله.. ومـن النملـة أو أصـغر منهـا إلى أعظم مخلوق ملك الله جل جلاله.

الفضيلة: قال تعال: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقَى وَصَـدَّقَ بِالْحُسـنى فَسَنُيَسِّــرُهُ لِلْيُسْـرَى }، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ (ﷺ): " مَـنْ كَـانَ آخِـرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " رواه أبو داود (٢).

الحقيقة: (أن لا إله إلا الله): عندما تكون في القلب تجـد أن القلـب متوجـه

---

(١) سورة الزمر ـ الآية ٦٢ .

(٢) مشكاة المصابيح» كتاب الجنـائز» بـاب مـا يقـال عنـد مـن حضـره المـوت ـ رقـم الحديث(١٦٢١) .

إلى الله في كل الأحوال.

علامة الحقيقة: تبديل الفكر من الدنيا إلى الآخرة ومـن المخلـوق إلى الخـالق، ومن الأشياء إلى الأعمال.

الأهمية: من كان في قلبه مثقال من:(لا الـه إلا الله)لا يخلد في النار.

طرق تحصيل حقيقة الكلمة الطيبة في القلب :

١) نُكثر من ذكر الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) ونتدرب على اليقين بهذه الكلمة.

٢) نُكثر من الجلوس في مجالس فضائل الكلمة الطيبة(لا إله إلا الله).

٣) نَدعو الناس إلى تحقيق الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) في حياتهم.

٤) ندعو الله أن يرزقنا والأمة حقيقة الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).

مقصد إتباع النبي(ﷺ):-هى أن تكون حياتى خلال ٢٤ ساعه اليوميه على هدى النبى (ﷺ) فى الصورة والسريرة والسيرة.

أولا : فى الصوره .. للرجال أى من الرأس حتى أخمص قدميه على هيئة النبى وصورة النبى (ﷺ) (اللحية ـ الجلباب القصير ـ غطاء الرأس ـ التعطر ـ قص الأظافر ـ نتف الأبط وباقى سنن الفطرة) وكل سنه من سنن النبى الظاهرية.

أما النساء لابد من اتباع أمهات المؤمنين فى الصوره (الحجاب الشرعى ـ النقاب) فى الملبس والزينة للمحارم سنن الفطره عامة .

ثانيا : السريرة .. هى سريرة النبي (ﷺ)والمقصود بها :

١)النية ـ نية النبى (ﷺ)إرضاء الله تعالى فى كل الأعمال والأقوال .

٢)الهم ـ هم النبى (ﷺ){ الأخرة } .

٣)الفكر ـ فكر النبى (ﷺ) هداية البشريه من عبادة الأوثان الصلبان إلى عبادة الله الواحد القهار .

ثالثا : السيرة وهى حياة النبى(ﷺ)وهى تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة فى مثلها الأعلى محمد (ﷺ) فحياته هى مبادئ الاسلام وأحكامه .

طريقة تحصيل صفة إتباع النبى صلى الله عليه وسلم :-

جهد مع الله بالدعاء :ادعو الله أن يرزقنى حقيقة ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم .

جهد على النفس بالأعمال :-بذل الجهد على النفس بتقيدها بحسن الاتباع في كل الأعمال (الصورة والسريرة والسيرة)حتى نصل إلى الاتباع الكامل .

جهد على الناس بالدعوة: تتم بدعوة الناس لاتباع النبى(ﷺ)فى الصورة والسريرة والسيرة .

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الحلقة السادسة والعشرون

باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

وبعد انتهاء حلقة التجويد قرأ من" كتاب رياض الصالحين (باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه)وسنذكر بعض الأحاديث التي سمعناها في الحلقة اليوم:

الحديث الأول: عن أَبي هريرة (ﷺ) قَالَ: قَالَ رسُولُ الله (ﷺ):" كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ " . متفقٌ عَلَيْهِ .

الحديث الثاني: وعنه (ﷺ) قَالَ : قَالَ رسول الله (ﷺ):" لأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ". رواه مسلم .

الحديث الثالث: وعنه: أنَّ رسُولَ الله (ﷺ) قال:" مَنْ قَالَ لا إلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، في يَوْمٍ مِئَةَ

مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ ". وقال: " مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ " . متفقٌ عَلَيْهِ .

الحديث الرابع: وعن أَبِي أيوب الأنصاريِّ (ﷺ)، عن النَّبيِّ (ﷺ) قال:" مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ منْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ". متفقٌ عَلَيْهِ.

الحديث الخامس: وعن أَبي هريرة (ﷺ): أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ الله (ﷺ)، فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أمْوَالٍ ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: " ألاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلاَ يَكُون أَحَدٌ أفْضَل مِنْكُمْ إلاَّ منْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟ " قالوا : بَلَى يا رسول الله ، قَالَ:" تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ " قَالَ أَبُو صالح الراوي عن أَبي هريرة ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ قَالَ: يقول: سُبْحَان اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ واللهُ أَكْبَرُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ. متفقٌ عَلَيْهِ.

وزاد مسلمٌ في روايته : فَرَجَعَ فُقَراءُ الْمُهَاجِرينَ إِلَى رسولِ الله (ﷺ)، فقالوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟ فَقَالَ رسُولُ الله (ﷺ): " ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ " .

الحديث السادس: وعنه ، عن رسولِ الله (ﷺ) قَالَ : " مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاثاً وَثَلاَثِينَ، وقال تَمَامَ المِئَةِ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ ". رواه مسلم .

الحديث السابع: وعن كعب بن عُجْرَةَ (ﷺ)عن رسولِ الله (ﷺ)قَالَ : " مُعَقِّبَاتٌ(١) لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثونَ تَكْبِيرَةً ". رواه مسلم.

الحديث الثامن: وعن معاذ (ﷺ)أن رسُولَ الله (ﷺ)أخذ بيده ، وقال : " يا مُعَاذُ ، وَالله إنِّي لأُحِبُّكَ " فَقَالَ:" أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

الحديث التاسع: وعن سعد بن أَبي وقاصٍ(ﷺ) قَالَ : كنا عِنْدَ رسول الله (ﷺ)، فَقَالَ: " أيعجزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ! " فَسَأَلَهُ

---

(١) معقبات : تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة . وقال أبو الهشيم : سميت معقبات لأنها تفعل مرة بعد أخرى . شرح النووي ٣/ ٨٢ .

سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : كَيْفَ يَكْسِبُ أَلفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : " يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ " . رواه مسلم .

الحديث العاشر: عن أَبِي موسى (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ لِي رسولُ الله (ﷺ):" أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟ " فقلت : بلى يَا رسولَ الله قَالَ :" لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله)) متفق عَلَيْهِ .

وبعد الانتهاء من قراءة الباب:

قال الأب: الذكر يا أبنائي هو استحضار عظمة الله في القلب.

والذكر: عبادة بلا مشقة..يحيي القلب..ويجليه من الصدأ..ويجدد الإيمان .. ويرضي الرحمن.. ويطرد الشيطان.. ويفتح باب المعرفة.. وهو روح الأعمال الصالحة.. وقرين الأعمال الصالحة، قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١).

ويدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا.. ويوصل الذاكر إلى المذكور (الله جل جلاله) بل يدع الذاكر مذكورًا ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢).والذكرعبودية في كل حال:(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم) (٣).

أبنائي الكرام! إن باب ذكر الله تعالى من أعظم الأبواب، به تكون جليس الرحمن(أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي) وما لا يُحل بالأفكار يُحل بالأذكار؟.

---

١) سورة طه – من الآية ١٤ .

٢) سورة البقرة – من الآية ١٥٢ .

٣) سورة آل عمران – من الآية ١٩١ .

قال الابن محمد: وكيف يا أبي، وضح لنا ذلك؟.

قال الأب: يا بني الغالي، الله تبارك وتعالى بيده قضاء الحوائج وحل جميع المشاكل، وكل شيء خزائنه بيده، والله يقول:" أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ " رواه الترمذي.

فإذا كان الله معك قضى لك كل حوائجك، وحل كل مشاكلك.

حتى إذا غاب الإنسان عن المسجد وكان في حاجة أعانته الملائكة، كما في الحديث:" إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ " رواه أحمد.

قال الابن معاذ: وهل ذكر الله تعالى له عدد معين؟.

قال الأب: ابني الغالي! الذكر نوعان:

عام: إذا أطلق " ذكر الله " شمل كل ما يقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى(١).

خاص: وهو ذكر الله: بالألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة، سواء كانت مقيدة أو مطلقة.

وإذا كانت الأذكار مقيدة فقد قامت السنة المشرفة بتحديد عدد الذكر أو الدعاء، أما إذا كانت الأذكار مطلقة فلم يحددها الشارع بعدد معين، كما جاء

---

١) الرياض النضرة (ص٢٤٥).

عن حبر الأمة عبد الله بن عباس: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١): إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضْ عَلَى عِبَادِهِ فَرِيضَةً إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ عَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ عُذْرٍ، غَيْرَ الذِّكْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَلَمْ يَعْذُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ، إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى تَرْكِهِ، فَقَالَ: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ (٢)، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَفِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَالصِّحَّةِ وَالسَّقَمِ ، وَالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ : (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ صَلَّى عَلَيْكُمْ هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ (٣).

قالت الابن محمد: سمعت حديثا فيها معناه:" اذكر الله حتى يقال مجنون " كيف ذلك يا أبي ؟.

قال الأب: ابني الغالي! هذا سؤال جميل، الذكر نوعان:

الأول: انفرادي وهو أن يجلس الإنسان على انفراد يذكر الله، يقول: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله،

١) سورة الجمعة – من الآية ١٠ .

٢) سورة النِّسَاءِ : الآية ١٠٣ .

٣) تفسير القرآن العظيم» تفسير سورة الأحزاب» تفسير قوله تعالى " (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور» تفسير سورة الأحزاب» تفسير قوله تعالى قَوْلُهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، تفسير البغوي» سورة الأحزاب» تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، تفسير الطبري»تفسير سورة الأحزاب» القول في تأويل قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ".

استغفر الله.. وهذا الذكر التعبدي يستمر عليه العبد حتى في الجنة: (يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ) رواه مسلم.

أما الثاني: اجتماعي: وهذا الذكر الجماعي الذي جاء في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ) قَالَ :" أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِّ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ " (١).

وهذا الذكر هو ذكر الدعوة إلى الله، وذلك أن تجلس مع جمع من الناس سواء قلوا أم كثروا تحدثهم عن الله وأسمائه وصفاته وإحسانه وبره وعظمته(وذكرهم بأيام الله)، ومراد هذا الذكر التذكرة بالنظام الغيبي لله، الذي به يخرج يقين المشاهدات من القلب .

قالت الأم: سيدي الغالي! لماذا في الذكر الأول لم يقال عن صاحبه مجنون، أما الذكر الجماعي يقال عن صاحبه مجنون؟.

قال الأب: سيدتي الغالية! أتذكرين لما كان النبي يتعبد في غار حراء ما كان أحد يقول عنه مجنون، بل كانوا يقولون عنه الصادق الأمين، ولكن لما قام بالدعوة، قالوا عنه ساحر ومجنون.

لأن إبليس ليس عنده مشكلة مع العابد، أما مشكلته كبيرة مع الداعي، لأن الداعي يفسد عليه جهده الذي اجتهده في إبعاده خلق الله عن الله.

---

١) المستدرك على الصحيحين » كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر » أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِّ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ (١٨٨٢).

قالت الابنة مريم: أبي الكريم! أحيانا أجد نفسي أثناء الذكر يشوب قلبي الغفلة وعدم حضور القلب، هل في هذه الحالة علي إثم، ويتوجب عليَّ أن أترك الذكر؟.

قال الأب: ابنتي الكريمة! على الإنسان أن يلتزم بذكر الله على كل حال، ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه، بل يذكره بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه.

فإن الغفلة عن وجود ذكره، أشد من الغفلة في وجود ذكره، لأن الغفلة عن ذكره إعراض عنه بالكلية، وفي وجود ذكره أقبال بوجه ما، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله، وفي فقده تعرض لاشتغالها بالمعصية.

قيل لبعضهم: ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل؟ فقال: اشكر الله على ما وفقك من ذكر اللسان، ولو أشغله بالغيبة ما كنت تفعل؟.

فليلزم الإنسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان، فعسى أن ينقله الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، أي انتباه لمعاني الذكر عند الاشتغال به، حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضرًا بقلبه مع دوام ذكره. (١).

قال الابن معاذ: ما فائدة أذكار الصباح والمساء يا أبي؟.

(١) من كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم (بتصرف قليل).

قال الأب:ابني الغالي! عندما يذهب المريض للطبيب فيصف له الدواء، ويقول له: خذ هذه الكبسولة في الصباح وفي المساء، فيلتزم المريض بإرشادات الطبيب فيشفى بإذن الله تعالى، كذلك أذكار الصباح والمساء عبارة عن كبسولتين للحفاظة، إذا قمت بأذكار الصباح أُحفظ حتى المساء، وإذا قلتها في المساء أُحفظ حتى الصباح.

قالت الأم: سيدي الغالي ما هي آداب الذكر ؟.

قال الأب:

١. طهارة الثوب والبدن والمكان.
٢. استعمال السواك.
٣. نجلس في الذكر بعاطفة إرضاء الله.
٤. نجلس في الذكر بصفة الإحسان(إن لم تكن تراه فإنه يراك).
٥. نجلس بحضور القلب.
٦. نجلس متوجهين للقبلة، متذللًا متخشعًا بسكينة ووقار.
٧. نذكر الله بالأذكار المسنونة.

وقال الأب: نظرا لأهمية (الذكر) البالغة في الإسلام وتأكيد الكتاب والسنة المطهرة عليها، اختار الشيخ محمد إلياس (الذكر) كركن أساسي في منهجه العملي للحركة الإيمانية، وذلك لأن (الذكر) له دور أساسي في الحفاظ

على (الإيمان والعبادات والعلم والأخلاق والإخلاص) والقيام بالدعوة والتبليغ وبذل الجهود في إحياء الدين والتضحية ففي الدفاع عنه.

فلا يمكن للإنسان المسلم الوصول إلى قارب النجاة إلا بنصرة الله، ولا تأتي النصرة إلا بالعلاقة الوثيقة مع الناصر، فأقوى وسيلة لتوثيق هذه العلاقة هو الذكر، فكلما انهمك الإنسان في ذكر الله، ازدادت قيمة العمل والعلم والصلاة والإيمان، وكلما غفل الإنسان عن ذكر الله، قلت قيمة أعماله وضعفت قوة إيمانه، وانتكست معنوياته، واختفت طمأنينة القلب وتأثرت حركة القالب، ونتيجة لذلك يبدأ الإنسان يميل إلى اتباع أهواء نفسه أكثر من طاعة الله ورسوله. (١)

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) أهمية العلم والذكر للشيخ عبد الخالق بيرزادة .

الحلقة السابعة والعشرون

باب الاستغفار والتوبة

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

وبعد انتهاء حلقة التجويد قرأ من (باب الاستغفار والتوبة) من كتاب مشكاة المصابيح:

الحديث الأول: أبي هريرة (ﷺ) قال: سَمعتُ رَسُول الله (ﷺ)، يقولُ:" وَالله إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوم أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً " رواه البخاري.

الحديث الثاني: وعن الأَغَرِّ المزني (ﷺ) أَنَّ رسُول الله (ﷺ) قال :" إِنَّهُ لَيُغَانُ (١) عَلَى قَلْبِي، وإِنِّي لأَسْتَغفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ " . رواه مسلم .

---

(١) قال النووي: من الغين: وهو ما يتغشى القلب. وقال القاضي عياض: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه(شرح صحيح مسلم ٩/ ٢٢).

الحديث الثالث: عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسولُ الله (ﷺ): " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ " رواه مسلم .

الحديث الرابع: عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله (ﷺ): " مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيثُ لاَ يَحْتَسِبُ " . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ؛ فَاسْأَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فُقَرَاءُ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ ؛ فَاسْأَلُونِي أُرْزَقْكُمْ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ؛ فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ . وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَحَيَّكُمْ ، وَمَيِّتَكُمْ ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْكُمْ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً، ثُمَّ رَفَعَهَا؛ ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَه .

وفور الانتهاء من قراءة الباب:

قال الأب: أبنائي الكرام! .

التلميذ في الابتدائي يكتب بالقلم الرصاص على الورقة، فإذا أخطأ يمسك الأستيكة(الممحاة) ويمحو بها الكتابة الخطأ، ثم يقوم بالكتابة الصحيحة ثانية على الورقة، هكذا الاستغفار مثل الممحاة نمحو به الخطايا والذنوبن ثم نستأنف العمل الصالح.

رأيتم يا أبنائي! كم رحمة الله واسعة، قال تعالى حكاية عن إبليس:﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً* قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (١).

(لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ)أي لأقودنهم إلى ما شئت من المعاصي والكفر والشرك، كما تقاد الفرس المحتنكة(التي وضع في حنكها اللجام) .

مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: احْتَنَكْتُ الْفَرَسَ: إِذَا جَعَلْتَ الرَّسَنَ فِي حَنَكِهِ لِتَقُودَهُ حَيْثُ شِئْتَ(٢) .

---

(١) سورة الإسراء _ الآيات من ٦٢: ٦٥.

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

وَفي الحديث:عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ)قَالَ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، قَالَ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي " (١).

انظروا يا أبنائي! فكم كرم الله تعالى عباده، فلم يسلمنا للشيطان، فبمجرد ما نستغفر الله يغفر لنا ويضيع كل ألاعيبه.

قال الابن محمد: أبي الغالي! ما الفرق بين التوبة والاستغفار؟.

قال الأب: يا بني! الاستغفار على ما مضى من الذنوب، والتوبة هي العزم على ألا يفعله في المستقبل، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق الله تعالى، لذا قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَّ هو التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)،لأنَّ اللهَ بِصَحابةِ نَبيِّه رؤوفٌ رحيمٌ، ومن رأفَتِه ورَحمَتِه بهم أنَّه لا يريدُ إهلاكَهم، بل رزَقَهم التَّوبةَ وعافاهم مِن زَيغِ القُلوبِ وثَبَّتَهم.

قال ابن القيم (رحمه الله): فَالِاسْتِغْفَارُ مِنْ بَابِ إِزَالَةِ الضَّرَرِ، وَالتَّوْبَةُ طَلَبُ جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ ، فَالْمَغْفِرَةُ أَنْ يَقِيَهُ شَرَّ الذَّنْبِ ، وَالتَّوْبَةُ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْوِقَايَةِ مَا يُحِبُّهُ(٣).

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى، والحاكم في (المستدرك). ولفظ رواية أحمد "إن إبليس" بدل "الشيطان"). قال: «وعزتك» أي: لاجتهدن في إغوائهم بأي طريق ممكن «ما دامت أرواحهم في أجسادهم» أي: مدة دوامها فيها «قال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» أي: طلبوا مني الغفران.

(٢) سورة التوبة _ الآية ١٨ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم .

وقالوا: الْعَبْدُ تَوَّابٌ، وَاللهُ تَوَّابٌ، فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ رُجُوعُهُ إِلَى سَيِّدِهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ ، وَتَوْبَةُ اللهِ نَوْعَانِ: إِذْنٌ وَتَوْفِيقٌ، وَقَبُولٌ وَإِمْدَادٌ .

قال الابن معاذ: أبي الكريم! قال الله تعالى:﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾(١)، فهل هناك فرق بين الذنوب والسيئات؟.

قال الأب: ابني الحبيب! حياك الله! قد بين العلامة ابن القيم(رحمه الله) في شرح منازل السائرين: [فَصْلٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ] وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُمَا مُقْتَرِنَيْنِ، وَذِكْرُ كُلًّا مِنْهُمَا مُنْفَرِدًا عَنِ الْآخَرِ، فَالْمُقْتَرِنَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}(٢) فَالذُّنُوبُ: الْمُرَادُ بِهَا الْكَبَائِرُ، وَالْمُرَادُ بِالسَّيِّئَاتِ: الصَّغَائِرُ، وَهِيَ مَا تَعْمَلُ فِيهِ الْكَفَّارَةُ، مِنَ الْخَطَأِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ، وَلِهَذَا جُعِلَ لَهَا التَّكْفِيرُ، وَمِنْهُ أُخِذَتِ الْكَفَّارَةُ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا سُلْطَانٌ وَلَا عَمَلٌ فِي الْكَبَائِرِ فِي أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ، فَلَا تَعْمَلُ فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، وَلَا فِي الْيَمِينِ الْغَمُوسِ فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَأَبِي حَنِيفَةَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ السَّيِّئَاتِ هِيَ الصَّغَائِرُ وَالتَّكْفِيرِ لَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}(٣).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٩٣ .

(٢) سورة آل عمران _ الآية ١٩٣ .

(٣) سورة النساء _ الآية ٣١ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ» .

وَلَفْظُ الْمَغْفِرَةِ أَكْمَلُ مِنْ لَفْظِ التَّكْفِيرِ وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَالتَّكْفِيرُ مَعَ الصَّغَائِرِ، فَإِنَّ لَفْظَ الْمَغْفِرَةِ يَتَضَمَّنُ الْوِقَايَةَ وَالْحِفْظَ، وَلَفْظَ التَّكْفِيرِ يَتَضَمَّنُ السَّتْرَ وَالْإِزَالَةَ، وَعِنْدَ الْإِفْرَادِ يَدْخُلُ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي الْآخَرِ كَمَا تَقَدَّمَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}(١) يَتَنَاوَلُ صَغَائِرَهَا وَكَبَائِرَهَا، وَمَحْوَهَا وَوِقَايَةَ شَرِّهَا(٢).

قالت الابنة مريم: ما معنى التوبة النصوح في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهَّ تَوْبَةً نَّصُوحًا}(٣).

قال الأب: ابنتي الغالية! التوبة النصوح: هي التوبة الصَّادِقَةُ النَّاصِحَةُ، مأخوذة من المنصحة(الإبرة)، فكما أن الإبرة تلم شعث الثوب، فكذلك الذَّنْبَ يُمَزِّقُ الدِّينَ وَالتَّوْبَةُ تَخِيطُهُ .

قالت الأم: سيدي الفاضل! رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَيْهِ الْجُدْبَ فَقَالَ: اسْتَغْفِرِ اللهَّ، وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ الْفَقْرَ، وَآخَرُ قِلَّةَ النَّسْلِ، وَآخَرُ قِلَّةَ رِيعِ أَرْضِهِ، فَأَمَرَهُمْ كُلَّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ؛ فَقِيلَ لَهُ: شَكَوْا إِلَيْكَ أَنْوَاعًا، فَأَمَرْتَهُمْ كُلَّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَتَلَا الْآيَةَ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ

---

(١) سورة محمد _ الآية ٢ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم .

(٣) سورة التحريم _ الآية ٨ .

عَلَيْكُم مِّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ (١)(٢).فلماذا أمرنا الله في الآية بالاستغفار دون غيره من الذكر والتسبيح؟.

قال الأب: سيدتي الغالية ! لأن المال والبنون والجنة في الآخرة من رزق الله تعالى، ولابما يحجب عنا هذا الرزق ببعض ما اكتسبنا من المعاصي والذنوب، فقد رَوَى الإمام أحمَدُ فِي مُسنَدِهِ: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ "، لذا أمرنا الله بالاستغفار.

قال الابن معاذ: ومتى نستفيد من الاستغفار يا أبي! لأننا كثيرا ما نرى كثير من الناس يستغفرون ولا تحقق لهم ما يرجونه؟.

قال الأب: ابني الكريم ! صدقت، فكثير من الذين يتعاطون الدواء لا ينتظمون على تناوله فلا يحصل لهم الشفاء، فكذلك الذين لا يداومون على الاستغفار لا تقضى حوائجهم، ففي الحديث عن ابن عباس قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):" مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" رواه أبو داود (٣).

---

(١) سورة نوح – الآيات ١٠ : ١٢ .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» كتاب أسماء الله تعالى» باب الاستغفار والتوبة).

(٣) رياض الصالحين باب الاستغفار.

ونختم هذه الحلقة بقصة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابَّيْنِ ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالْآخَرُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي .حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ. فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي؟ فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ. قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ" . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

«اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»

«رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي وجَهْلِي، وإسْرَافِي في أمْرِي كُلِّه، وما أنْتَ أعْلَمُ به مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطَايَايَ، وعَمْدِي وجَهْلِي وهَزْلِي، وكُلُّ ذلكَ عِندِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وأَنْتَ علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ»

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) سورة الأعراف:الآية ٢٣.

الحلقة الثامنة والعشرون

باب الجنة

جلس الأب كعادته مع أولاده وزوجته لإقامة حلقة التعليم في البيت، وبدأ بقراءة العشر سور من القرآن من سورة الفيل حتى سورة الناس مع قراءة سورة الفاتحة، وقرأ أمامه كل فرد منهم سورة سورة وهو يوضح لهم أحكام التلاوة ويصحح لهم الأخطاء.

وبعد انتهاء حلقة التجويد قرأ حديثين لبيان فضائل الحلقة:

عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله (ﷺ)قال:"مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَّ عزّ وجلّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّماءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ "(١).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:" مَا أَجْلَسَكُمْ ؟"قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا

(١) رواه أحمد، ورواته محتجّ بهم في "الصّحيح" إلاّ ميمون المرائي-بفتح الميم والرّاء بعدها ألف نسبة إلى امرئ القيس-، وأبو يعلى، والبزار، والطّبراني، ورواه البيهقيّ من حديث عبدِ الله بنِ مُغَفَّل رضي الله عنه.ورواه الطبراني عن سهْلِ بنِ الحنظليَّةِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم:((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ عزّ وجلّ فِيهِ، فَيَقُومُونَ، حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ: قُومُوا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ)).

هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ:" آللهِ، مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟".قَالُوا: اللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلكَ. قَالَ:" أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرَائِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَّ عزّ وجلّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ " (١).

وبعد الانتهاء من مذاكرة القرآن: أعطى الأب للأم" كتاب رياض الصالحين"وقال له: اقرأ لنا من (باب بيان مَا أعدَّ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة).

فبدأت القراءة :عن جابر(ﷺ)قَالَ: قَالَ رسولُ الله(ﷺ)قال:"يَأكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ(٢) كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ " رواه مسلم .

وعن أَبي هريرة (ﷺ) قَالَ : قَالَ رسولُ الله (ﷺ)قال:"قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) . متفق عَلَيْهِ .

وعنه، قَالَ : قَالَ رسولُ الله (ﷺ)قال:"أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءةً ، لاَ

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٢) التجشؤ : هو تنفس المعدة عند الامتلاء . لسان العرب ٢/ ٢٨٥ (جشأ) .

(٣) سورة السجدة – الآية ١٧ .

يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ – عُودُ الطِّيبِ – أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ" متفق عَلَيْهِ.

وعن المغيرةِ بن شعبة (رضي الله عنه) ، عن رسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم)قال:"سأَلَ مُوسَى (عليه السلام) رَبَّهُ: ما أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ . فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ ، وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ فِي الخَامِسَةِ . رَضِيْتُ رَبِّ، فَيقُولُ : هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ . فَيقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " . رواه مسلم .

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ الله(صلى الله عليه وسلم)قال:" إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ . رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً ، فَيقُولُ اللهُ (عز وجل) له : اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى ، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى ! فَيَقُولُ اللهُ (عز وجل) له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ، فيأتِيهَا ، فَيُخيَّلُ إليهِ أنَّهَا مَلأى ، فيَرْجِعُ . فَيَقولُ : يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى ، فيقُولُ اللهُ (عز وجل) لَهُ : اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ . فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا ؛ أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ، فيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ

" قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله (ﷺ) ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: " ذلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً " متفق عليه .

وعن أبي موسى (رضي الله عنه) : أنَّ النبيَّ(ﷺ)قال:"إنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا في السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلاً (١) لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً " متفق عليه .

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبيِّ (ﷺ)قال:"إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ(٢) السَّرِيعَ مِئَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها)) متفق عليه

وفي الصحيحين أيضاً: ((يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها)) .

وعنه، عن النبيِّ (ﷺ)قال:"إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ " قالُوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لاَ يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ قال: " بَلَى والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ " متفق عليه .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه): أنَّ رسولَ الله (ﷺ)قال:"لَقَابُ(٣) قَوْسٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ " متفق عليه .

---

(١) ((المِيلُ)) : سِتة آلافِ ذِراعٍ ..

(٢) وتضمير الخيل : هو أن يظاهر عليها العلف حتى تسمن ، ثم لا تعلف إلا قوتاً لتخف . النهاية ٣/ ٩٩ .

(٣) القاب: بمعنى القدر، يقال: بيني وبينه قاب رمحٍ وقاب قوسٍ : أي مقدارهما . النهاية ٤/ ١١٨.

وعن أنس(ﷺ)أنَّ رسول الله (ﷺ)قال:"إنَّ في الجَنَّةِ سُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ . فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزدَادُونَ حُسناً وَجَمالاً فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمالاً ، فَيقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَالله لقدِ ازْدَدْتُم حُسْناً وَجَمالاً ! فَيقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمالاً " . رواه مسلم .

وعن سهل بن سعد(ﷺ)أنَّ رسول الله(ﷺ)قال:"إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءون الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءونَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ " متفق عليه .

وعنه (ﷺ)، قال: شَهِدْتُ مِنَ النبيّ (ﷺ) مَجْلِساً وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ : " فيهَا مَا لاَ عَينٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(١) رواه البخاري .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما : أنَّ رسولَ الله (ﷺ)قال:"إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا ، فَلاَ تَمُوتُوا أَبَداً ، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا ، فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَداً " . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة (ﷺ)أنَّ رسولَ الله (ﷺ)قال:"إنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أنْ يَقُولَ لَهُ : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فَيقُولُ لَهُ : هَلْ تَمَنَّيتَ ؟ فيقولُ : نَعَمْ ، فيقُولُ لَهُ : فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ " . رواه مسلم .

---

(١) سورة السجدة _ الآيتين ١٦ ، ١٧ .

وعن أبي سعيد الخدري (ﷺ)أنَّ رسول الله (ﷺ)قال:"إنَّ الله (ﷻ) يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ في يَديْكَ ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم ؟ فيقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحداً مِنْ خَلْقِكَ ، فيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ ؟ فيقُولُونَ: وَأيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً "متفق عليه .

وعن جرير بن عبد الله (ﷺ)قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ : "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَاناً كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ " متفق عليه .

وعن صُهيب (ﷺ)أنَّ رسول الله (ﷺ)قال:"إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئاً أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ".رواه مسلم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فيها سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ (١)﴾.

(الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعلى آلِ إِبْراهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ

---

(١) سورة يونس _ الآيتين ٩ ، ١٠ .

النَّبيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كما بَاركْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آل إبراهيم في العالَمِينَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

(مَا أَقَلَّ حَيَاءِ مَنْ يَطْمَعُ فِي جَنَّتِي بغَيْرِ عَمَلٍ، كَيْفَ أَجُودُ بِرَحْمَتِي عَلَى مَنْ يَبْخَلُ بطَاعَتِي).

. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



الخاتمة

أخي الحبيب الداعي إلى الله ! شرفك الله ورفع قدرك .

وأنا أختم هذا الجهد البسيط المتواضع.. اسأل الله (تعالى) أن يقبله، وينفعني وجميع المسلمين به..وأن يقبل هذا الجهد ويجعله لنا لا علينا.

وإنني أُشهد الله(تعالى) أنني ما ألوت جهدًا في أن يصلك _ أخي الحبيب _ الكتاب بهذه الصورة، فإن وجدت خيرًا فاحمد الله تعالى وخصنا بدعوة بظهر الغيب تكن سابقة لنا يوم القيامة، وإن وجدت غير ذلك فادعو لنا بالمغفرة، فما كان من خير فهو محض فضل من الله تعالى، وما كان غير ذلك فهو من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء.

والله المسؤول أن ينفع بهذا الجهد، وأن يرزقه القبول – على ما يعتريه من نقص، ويتحيفه من الخطأ والزلل – وإني لأورد قول القائل:

وَإِنْ تَجِـــدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا   جَلَّ مَنْ لَا فِيهِ عَيْبٌ وَعَـــلَا
والحمـــــدُ لله على مَا أَوْلَى   فَنِعمَ مَا أَوْلَى وَنِعمَ المَولَى(١)

وإني أقول:

إن وجدت عيبًا فهات الخللا *** فرحم الله عبدا أهدى إليّ عيوبيا

---

(١)ملحة الأعراب في صناعة الإعراب المؤلف : الحريري، أبو محمد الجزء : ١ صفحة : ٨٧.

فانظر - أيها القارئ - في هذا الكتاب نظر الناقد الناصح، وأهد إليَّ عيوبي؛ تجدني لك شاكراً ولفضلك ذاكرًا.

فَيَا شَرَفِي إنْ كُنْتَ رَبِّي قَبِلْتَهُ   وَإِنْ كَانَ كُلُّ النَّاسِ رَدُّوهُ عَنْ حَسَدْ(١)



(١) من خاتمة كتاب رد المحتار على الدر المختار.

كتب مهمة في تخصص الدعوة والتبليغ(١)

١- كتب المؤلف وقد ذكرتها في آخر الكتاب تحت عنوان(إصدارات المؤلف).

٢- كتب الشيخ عبد الخالق بيرزاده(مطبعة الإيمان بالأزهر الشريف).

٣- كتب الشيخ أبو الحسن الندوي.

٤- كتب العلامة الشيخ وحيد الدين خان.

٥- كتب الشيخ سليمان العايدي.

٦- كتاب الدعوة التامة للشيخ/ محمد إبرهيم .

٧- كتاب نفحة التبليغ.

٨- كتاب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(حياته ومنهجه).

٩- كتاب حياة الصحابة للدكتور محمد وسام.

١٠- كتاب لسان الدعوة للدكتور محمد علي شرقاوي.

١١- كتاب هذا هو الطريق للشيخ رجب مدكور.

١٢- كتاب الشيخ إبراهيم عزت(حياته ومنهجه وبياناته وخطبه في الدعوة).



قائمة المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير ابن كثير.
٣- تفسير القرطبي.
٤- تفسير الطبري.
٥- مفاتيح الغيب ـ دار الغد العربي.
٦- رياض الصالحين.
٧- مشكاة المصابيح ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت لبنان.
٨- الأدب المفرد للبخاري.
٩- المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح.
١٠- صحيح البخاري.
١١- صحيح مسلم.
١٢- سنن أبي داود.
١٣- سنن النسائي.
١٤- سنن الترمذي.
١٥- سنن ابن ماجة.
١٦- مسند الإمام أحمد.
١٧- مصنف ابن أبي شيبة.
١٨- التاريخ الكبير للبخاري.

١٩- الموطأ للإمام ملك طبعة دار الشعب.
٢٠- المستدرك على الصحيحين للحاكم – طبعة بيروت لبنان.
٢١- الجامع لمعمر بن راشد .
٢٢- مصنف عبد الرازق.
٢٣- مرقاة المفاتيح علي القاري.
٢٤- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.
٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
٢٦- شرح صحيح مسلم للنووي.
٢٧- تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي
٢٨- مدارج السالكين لابن القيم .
٢٩- حلية الأولياء لأبي نعيم.
٣٠- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار
٣١- إحياء علوم الدين للغزالي.
٣٢- منهاج المسلم.
٣٣- صفة الصفوة لابن الجوزي.
٣٤- ذم الهوى لابن الجوزي.
٣٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم.
٣٦- البداية والنهاية لابن كثير.
٣٧- سير أعلام النبلاء للذهبي.
٣٨- منهاج القاصدين.
٣٩- التّوبيخ والتّنبيه.
٤٠- تاريخ المدين لابن أبي شبة.

٤١- تاريخ الإسلام للذهبي- مطبعة دار الغد العربي.

٤٢- الزهد للإمام أحمد.

٤٣- ملحة الأعراب في صناعة الإعراب المؤلف : الحريري.

٤٤- كتب ابن ابي الدنيا.

٤٥- طبقات الحنابلة.

٤٦- مساوئ الأخلاق - للخرائطي.



الفهـرس


ما شاء الله

إصدارات المؤلف (١)

١	كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله
٢	الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة (٤ مجلدات)
٣	المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة(٢ مجلد)
٤	اليقين في معرفة رب العالمين
٥	الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين
٦	التاج الجامع للأصول(٧ مجلدات)
٧	الأسئلة المهمة في جهد الدعوة والتبليغ(٢ مجلد)
٨	صلاح البيوت في جهد الرسول(٢ مجلد)
٩	الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية
١٠	أحلى الكلام في مناجاة ذي الجلال والإكرام
١١	جمال الأقوال في ضرب القصص والأمثال
١٢	دعوة المؤمنين لحمل أمانة سيد المرسلين
١٣	التبليغ بين يديك(روائع الندوي)
١٤	فرضية الدعوة إلى الله
١٥	الباعث على الاستقامة
١٦	روائع العلامة البالمبوري

تم بحمد الله تعالى

للتواصل مع المؤلف

تليفون المؤلف/ ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

بريد إلكتروني/ Emam203@gmail.com

